الإنسجام الصوتي في النص القرآني

الدكتور
تحسين فاضل عباس





مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع . نشر . توزيع

www.redwanpublisher.com



﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

الانسجام الصوتي

في النص القرآني

الانسجام الصوتي

في النص القرآني

الدكتور
تحسين فاضل عباس

الطبعة الأولى
2012م - 1433هـ





مؤسسة دار الصادق الثقافية

دار الرضوان للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (173/ 1/ 2011)

223.2

عباس، تحسين فاضل

الانسجام الصوتي في النص القرآني/ تحسين فاضل عباس.ـ عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع 2011.

( ) ص

ر. إ: 2011/1/173

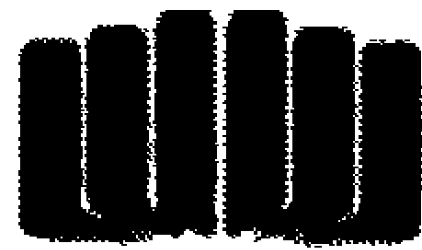
الواصفات: قراءات القرآن/القرآن/

◆ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

الطبعة الأولى

2012م - 1433هـ





دار الرضوان للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية - عمّان - العبدلي

هاتف : 1/5/ 79 36 465 6 962+

فاكس : 41 36 465 6 962+

e-mail: info@redwanpublisher.com

www.redwanpublisher.com

مؤسسة دار الصادق الثقافية

طبع، نشر، توزيع

الفرع الاول: العراق - الحلة - شارع ابو القاسم - مجمع الزهور

الفرع الثاني: الحلة - شارع ابو القاسم، مقابل مسجد ابن نما

نقال: 009647801233129 / 009647803087758

e-mail: alssadiq@yahoo.com

ISBN: 978-9957-76-055-7

الإهداء

إلى الأرض المعطاء أبي وأمي

إلى من اشد بهم أزري إخوتي

إلى قسيمتي في السراء والضراء زوجتي

إلى الأمل أولادي

اهدي هذا الجهد

الفهرس

الفصل الثاني

الانسجام الصوتي في بنية الكلمة

الفصل الثالث

الانسجام الصوتي في المتجاورين

الفصل الرابع

الانسجام الصوتي في الظواهر اللغوية

تقديم

لقد أودع الله تعالى في هذا القرآن سر الخلود. فعلى الرغم من أنه مؤلف من الحروف العربية التي يتألف منها كلام العرب من الشعر والنثر نراه يختلف عنها في قضية مهمة هي نظمه وقراءته، واستمرار هذه القراءة في العصر الواحد، أو في العصور المختلفة أو لدى قارئ أو قراء في عصر واحد. نجد قارئه لا يملّ قراءته. كما أن العصور لا تمل قراءته. لقد قرأه المسلمون وقرأه غير المسلمين كل يقرؤه ويعي دلالاته ويستنبط منه دلالات.

إنه منبع لا ينضب ومعين لا ينتهي و أفق يمتد ويمتد ولا نهاية. لا أقول هذا الكلام إعجابا عاطفيا وإنما هو كذلك واقعاً. فهذا الكتاب يُقرأ منذ خمسة عشر قرناً، و يحلّق في آفاقه وعوالمه العلماء والمؤلفون وما زال بكرا يستجيب لكل عصر ويجيب على كل سؤال.

القراءة من المصطلحات المعروفة في العربية، لكنها متعددة الدلالة فهي بمعنى الجمع والضم كما في المعجم وهي بمعنى التتبع لجزئيات الشئ، فقرأت الكتاب أي تتبعت كلماته نظراً ونطقاً بها، وهي لدى قرّاء القرآن الكريم طريقة أدائه وفهمه. واستعمل مصطلح القراءة أيضاً في النقد الأدبي الحديث، فهو مصطلح دال على وعي النص المقروء. والقراءة في تقسيم نقّاد كبار ثلاثة أقسام: القراءة المستهلكة وهي ما لا يقف وراءها فكر ولا نظر. والقراءة المفسِّرة وهي التي تعيد معاني النص بصورة لفظية أخرى لتوضيحه. والقراءة الابداعية أو الخالقة وهي أعلى مراتب القراءة إذ يكون قارئ النص هنا مبدعاً نصا على النص في قراءته وإعادة تشكيله.

وتـردد أيـضا مـصطلح تعـدد القـراءة في دراسـة الـنص، والـنص القابـل لقراءات متعددة المستجيب للقراءة في عصر واحـد أو في عـصور مختلفـة والـذي تتولد منه في آفاق القارئ المعرفية دلالات إضافية بل عوالم مـن المعرفـة، وصـف هذا النص بالنص الخالد.

القرآن الكريم نص خالد فهو متعدد القراءة بكـل فنونهـا وأنواعهـا، فقـد جعلها الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) سبعة وأربعين نوعا، وزادهـا السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) إلى ثمانين نوعا. كانت هذه الـصورة من أسرار هذا النص الخالد لم يُلتفَتْ إليها بعناية كافيـة علـى كثـرة الدراسـات القرآنية وضروبها المختلفـة. لقـد كـان القـرآن الكـريم مـصدراً للعلـوم العربيـة والدينية. قرئ قراءة نحوية في كتب إعراب القرآن ومشكله، وقرئ قراءة دلاليـة في كتب معاني القـرآن ومجـازه، وقـرئ قـراءة لغويـة في كتـب (غريـب القـرآن) ومعجم ألفاظه، ثم قرئ قراءة بيانيـة تفـسيرية وتأويليـة في كتـب التفـسير علـى اختلاف ضروبها ومناهجهـا, وتعـددت تفاسـيره ومـا تـضمنته هـذه التفاسـير الموجزة والموسوعية من معارف وعلوم، فتعددت مناهج التفسير على وفق تعـدد قراءتهم ومعارفهم، فمنها التفسير بـالأثر كتفـسير الطـبري ((جـامع البيـان عـن وجوه تأويل آي القرآن))، ومنها التفسير البياني والذي أكد علـى روعـة الـنظم القرآني واختيار ألفاظه وبلاغة عبارته كتفـسير الزمخـشري ((الكـشاف)) ومنهـا التفسير العرفاني لدى أهل التصوف والفلاسفة، ومنها التفسير الفقهي كتفسير الشيخ الطوسي والطبرسي وموسوعة الميزان للسيد الطباطبائي وغيرها كثير. كما كان المصدر الأول للفقيه والأصولي ومعه الحديث النبوي الشريف.

لقد كان نصا معجزاً أعجز فصحاء عصره وبلغاءه عن أن يجاروه أو يـأتوا بمثله ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (28 الإسراء) قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (23 البقرة)

واختلف الدارسون في وجوه إعجازه فمنهم من عزا الإعجاز إلى الصرفة بأن الله تعالى صرف الهمم عن معارضته أو الإتيان بمثله. ذهب إلى ذلك واصل بن عطاء (ت 181 هـ) وتلميذه ابراهيم النظام (ت231 هـ) وهو شيخ الجاحظ، ومنهم من عزا إعجازه إلى بديع بيانه وتركيبه، وعلو عبارته وإحكام نظمه وتناسب آياته وتماسكها, وقد رد الجاحظ (ت255 هـ) قول القائلين السابق بالصرفة بكتاب سماه ((نظم القرآن)) وكذا عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت316 هـ) وغيره، ومنهم من عزا إعجازه إلى ما فيه من أخبار ونبوءات عن الغيب في مستقبل الأمور مما فصلت فيه الكتب التي تحدثت عن إعجاز القرآن وبيان أدلة إعجازه.

لقد صار هذا النص الإلهي عالما تضم آفاقه عوالم متنوعة المعارف والعلوم والأفكار, فقارئه لا يمل قراءته على مر السنين والأعصار كما وصفه الإمام علي عليه السلام: ((لا تفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد)) (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1/ 288)

وقال ابن قتيبة ((وقَطَع بعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين وجعله متلواً لا يُملّ على طول التلاوة ومسموعاً لاتمجه الآذان وغضاً لايخلق على كثرة الترداد وعجيباً لاتنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقطع فوائده)) (تأويل مشكل القرآن ص10) فكلما قرأه العلماء اكتشفوا فيه عوالم معرفية لم تخطر لمن سبقهم على بال، لذا نجد مجال الكتابة والكشف يتجدد فيه على مر العصور، وسر خلوده أنه يستجيب لقراءة العصور المختلفة، فهو جديد يتجدد لا تنطبق عليه أحكام النصوص الأخرى شعرية كانت أم نثرية

مهما بلغت من الجودة والسمو والتي أشار إليها ابن قتيبة في مقدمة ((الشعر والشعراء)) بأن كل قديم كان جديدا في عصره، وكل جديد يكون قديما بعد عصره.

لقد كان الخلاف في ماهيته منذ أول نزوله حين حار فرسان الفصاحة من العرب في ماهيته، فوصفوه بالشعر والنبيَّ بالشاعر في قولهم: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ (36: الصافات)، ثم تراجعوا ووصفوه بالسحر ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ (36: القصص) ثم انثنوا فالشعر والسحر كانا معروفين لديهم قبل الإسلام، وحين وصف المشركون القرآن بالشعر قال الوليد بن المغيرة – وهو من سادتهم – منكراً عليهم: ((قد عرضت ما يقرؤه محمد على أقراء الشعر هزجه ورجزه وكذا وكذا فلم أره يشبه شيئاً من ذلك)) (الصاحبي لابن فارس 13-14) ومنهم من التقط آيات أو أجزاء آيات فرآها موافقة لأحد قوالب الشعر، ومنهم من نفى عنه الشعر نفيا قاطعا ووضع قاعدة للشعر تتمثل بالقصد. وجاء النفي في نصوصه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ (69: يس)

وحار المحدثون والمعاصرون في وصف هذا النص الخالد، وكثر الجدل حينا في قضية ما إذا كان القرآن شعراً أو نثرا، ومن أي أنواع النثر إن كان نثرا حتى ذهب بعضهم إلى أنه قرآن لا هو شعر ولا نثر، وهو ما جاء في الآية السابقة.

وتظل كلمة الإمام علي (عليه السّلام) نافذة تختزل الدهور في وعيها إذ قال لابن عباس حين بعثه إلى الخوارج: ((لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون)) (شرح نهج البلاغة لمحمد عبدة 563).

تلك الوجوه هي قبوله القراءة والتأويل، فهو لا ينغلق على قراءة محدودة ليُستَهلَك في مرحلة مهما طالت. وتلك خصائص هذا النص الخالد، لتقرأه

الأجيال المتعاقبة فتفهم فيه ما يواكب حياتها.

وسيبقى هذا النص مصدر حركة فكرية للأجيال المتعاقبة من المسلمين وغيرهم نصا مفتوحا يضم عوالم متجددة بتجدد العصور والأجيال، وبتطور العلوم ووسائل المعرفة وكل نظرات القارئين وأفكار المفكرين وتفاسير المفسرين تقبع في بعض حروفه, وكلها يشهد على خلوده، وتبقى الأقلام والأفكار تحوم حول سر هذا الخلود كما ظلت الأفكار والعقول تحوم حول سر ماهية الروح ولم تصل ولن تصل إلى ذلك ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (85: الإسراء).

يبقى هذا النص الخالد مجالاً لأقلام الدارسين كما تبقى قراءته تُشيع ألوان الطمأنينة والتأمل في النفس كما تشيع الفصاحة والدربة في ألسن قارئيه، فهذا النص الخالد يفتح الآفاق للعلماء وذوي المعرفة للتفكير والتأمل.

وهذه الاطروحة للباحث الدكتور تحسين فاضل التي أقدمها للقارئ الكريم هي أثر من آثار هذا النص الخالد، وعنوانها (الإنسجام الصوتي في النص القرآني) كان هذا البحث مجال نظر دقيق استطاع ذكاء الباحث وفطنته أن ينفذا منه إلى عوالم إبداع فني في هذا النص، وقد جاء نسق فصول هذا البحث نسقاً متلائماً وعنوانها، فكانت فيها مباحث صوتية دلالية دقيقة في الصوت المفرد ثم الصوت المتآلف مع الأصوات الأخرى وظواهر كل ذلك اللغوية والدلالية، كما نجد فيها مباحث صرفية من خلال علم الأصوات وهو من المباحث الحديثة في المجال الصرفي تناوله الدارسون المحدثون كالدكتور تمام حسان في ((العربية معناها ومبناها)) والدكتور عبد الصبور شاهين في ((المنهج الصوتي للبنية العربية)) وغيرهما من العلماء، وهي مباحث عالج فيها ظواهر صوتية صرفية كالإدغام والإقلاب والإخفاء والوقف والإمالة معالجة تطبيقية مختاراً

شواهدها من نصوص القرآن الكريم، كما نسق مستويات الـدرس اللغـوي فيـه باحكام بحيث يؤدي كـل مـستوى ومبحـث الى مـا بعـده، لأن الدلالـة الـسياقية للنص تضم كل دلالات المستويات اللغوية, وأنا معنيّ بتشجيع طلـبتي الأذكيـاء للأفادة من الدرس اللغوي الحـديث ومناهجـه، فـالإطلاع علـى كتـب الـتراث اللغوي مهم ولكنـه لا يكفـي الباحـث إذا أراد أن يكـون شـيئاً في عـالم المعرفـة والبحث خصوصا في مجال الجامعة الاكاديمي، فعليه وعي المنهج اللغوي الحديث الى جانب وعيه المناهج التراثيه والالمام بها.

هذا ما امتاز به منهج الباحث، وهـذا الكتـاب يعـرب عـن نفـسه وقيمتـه العلمية، وقراءته ذات فائدة علمية للمثقفين والباحثين من طلبة الجامعات أو من تهمه الدراسات القرآنية.

أرجو للباحث الدكتور تحسين فاضل اطراد التقدم في حياته العلمية فهو موهبة تَعِد بالعطاء إن شاء الله.

المقدمـة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على محمد خاتم المرسلين، وعلى آله الطاهرين، وصحبه المنتجبين الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد. . . فلقد حظي القرآن الكريم بعناية علماء العربية بوصفه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل، والمحفوظ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ولأنه مصدر أصيل في دراسة العربية، وكان لعلم الصوت نصيب كبير من عناياتهم. لأنهم يعدون دراسة الأصوات أول خطوة في دراسة اللغة، فهي المادة الخام للكلام الإنساني، وقد توجهت عنايتهم لهذه الدراسة من خلال الحروف المقطعة والتوازن العددي لصفات الأصوات فيها، وفي المخارج، والتعبير للحدث الجلل والكبير بالأصوات المجهورة، وللحدث اللين بالمهموسة. فتآلفت كلماته، ولو سقط واحد منها أو أبدل بغيره لكان ذلك خللا وضعفا في الجرس والنغمة وفي انسجام العبارة.

والجمال الصوتي للقرآن هو ما شعرت به العرب، ولم تكن عهدت مثله، حتى خُيِّل إليهم أنه شعر في إيقاعه وترجيعه، ثم سرعان ما قالوا إنه ليس كذلك، معللين بأنه ليس على أعاريض الشعر. وكان الانسجام الصوتي في نصوصه يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان، إلى القرآن.

والقـرآن نـص خالـد بـأدوات عربيـة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ والـصوت اللغـوي هـو الـذي أوصـل دلالات إعجـازه إلى المتلقـي، فخاطـب عقلـه مـرة وعواطفه مرة أخرى، بنمط جمالي أخاذ بالانسجام بين عباراته وأصواته وأسلوبه المتنوع الذي طرد فيه السأم والملل من المتلقي وحل محلها الشد واللذة والنـشوة. فالخطاب القرآني خطاب لغوي، لذا جمع البحث بـين ميـدان اللغـة وظواهرهـا التي كفلت الانسجام، وبين مواطن الشاهد القرآني الذي وضح فيه تلك الظاهرة اللغويـة. فكـان عنـوان الأطروحـة (الانـسجام الـصوتي في الـنص القرآنـي)، واقتـضت طبيعـة البحـث أن يكـون علـى أربعـة فـصول تقـدمها التمهيـد بعنوان"الانسجام الصوتي في العربية"، وحمل الفصل الأول عنوان (أصوات التـأثر والتأثير)، إذ تتأثر الأصوات بعضها ببعض من خلال النطق، مما يؤدي إلى تغـيير مخارج بعضها أو صفاتها، ومن ثمَّ تحقيـق توازنـات صـوتية في مواقـف تعبيريـة معينة، فالانسجام يشيع التوازن الصوتي الذي يسهم في تشكيل الإيقاع القرآنـي، ومناسبته للمقام والسياق، فقد وظّفها نظم تراكيبة لتحقيق هـذه التوازنـات مـن خلال ظواهر وزعت على فـصول ومباحـث الأطروحـة. فتفـرع الفـصل الأول على مباحث، فكان المبحث الأول: المماثلة، والمبحث الثاني: الإبدال، والمبحـث الثالث: الإدغام بأنواعه، والمبحث الرابع: الأصوات الأنفية وأحكامها.

وكان الفصل الثاني (الانسجام الصوتي في بنيـة الكلمـة)، والعلاقـة بـين الصرف والصوت، فكثير من الموضوعات الصرفية تبنـى علـى قـوانين صـوتية. ويقع هذا الانـسجام في مواضـع فالمبحـث الأول تنـاول الانـسجام الـصوتي في الأسماء:

1. بالفتحة.

2. بالكسرة.

3. بالضمة.

والمبحث الثاني: الانسجام الصوتي في الأفعال، والمبحث الثالث: الفاصلة القرآنية، وقيمتها ومكانتها في تحقيق التوافق والمماثلة بين أصوات النسق القرآني.

وجاء الفصل الثالث السائر في ركب الانسجام حاملا عنوان: (الانسجام الصوتي في المتجاورين)، وما يحققه التجاور من ايجاد علاقات صوتية متماثلة، فتفرع على مباحث: الأول: التقاء الساكنين، والثاني: المجاورة، والمبحث الثالث في ما سماه النحاة النعت السببي.

وجاء الفصل الرابع ليتمم مسيرة (الانسجام الصوتي في الظواهر اللغوية)، فإنّ وقوع هذه الظواهر حقق ذلك التوافق، فكان على ثلاثة مباحث، الأول: الإمالة، والثاني: تسهيل الهمز، والثالث: الوقف.

فالبحث إذن اختص بجانب الاتساق والانسجام في النص القرآني، فكانت ينابيع الأطروحة ومصادرها مرتبطة بالقرآن واللغة، فنوعت بين كتب القراءات القرآنية، وإعراب القرآن ومعانيه، وتفسيره، ومعها الكتب الصوتية، والنحوية، والصرفية، والموازنة بين الكتب القديمة والحديثة العربية منها وغير العربية، دارسا ثلاثة مستويات أساسية من مستويات اللغة هي الصوت، والصرف، والتركيب، والرابط الذي كان ضالتي هو الانسجام، لأن النص القرآني الخالد يقوم بتوظيف كل المستويات في موضع واحد. واعتمد طريقي على المنهج الوصفي في بيان هذه الظاهرة القرآنية.

شكري الخالص للأستاذ الدكتور (زهير غازي زاهـد) للقـراءة المتفحـصة الدقيقة، وحرصه الكبير على أنْ يحقق البحث أهدافه المنشودة، إذ رفـد البحـث بكل ما من شأنه أن يكون بحثا أكاديميا منهجيا. وختاما اسأل الله تعـالى أن يجعـل عملي خالصا لوجهه الكريم خدمة للنص المعجز الخالد، وخدمة للغـة العربيـة. إنه سميع الدعاء، هذا هو جهدي راجيـا منـه تعـالى الـسداد في القـول والعمـل ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ﴾

(البقرة: 286).

التمهيد
الانسجام الصوتي في العربية

إنّ القرآن الكريم هو الوحي المنزل للبيان والإعجاز، وصفه الله بقوله ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1]. لقد بُذلت جهود وما زالت لتتبع ظواهره اللغوية، للكشف عن أسراره في الإعجاز، أسرار أصواته المؤلفة في كلماته ونظم تراكيبه ودلالاته، وأُلِفت في ذلك كتب في غريبه ومعانيه وإعرابه وقراءاته وتفسيره، فكان النص القرآني مجالا لظهور العلوم الإسلامية من فقه وأصول ونحو وبلاغة وغيرَ ذلك من العلوم.

وعلى الرغم من وفرة الدراسات القرآنية، إلا أنّ النصوص القرآنية ما تزال تستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة، في قوله سبحانه: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾[2]. ولغة القرآن مغايرة إفرادا وتركيبا وسياقا لأي لغة نصية أخرى. وهي تتحرك في إطار شمولي ليتحد الشكل بالمضمون، والمضمون بالشكل في نظام جميل معجز[3]

والقرآن الكريم أوجه إعجازه متعددة، ومنها إعجازه بانتظام أصواته وتآلفها وانسجامها والانسجام في اللغة من، ((انسجم الماء والدمع، فهو منسجم إذا انسجم أي انصب))[4]، والانسجام الصوتي أو المماثلة هو تأثر الأصوات

---

(1) سورة هود: 1.

(2) سورة الكهف: 109.

(3) التقابل الجمالي في النص القرآني (حسين جمعة): 108.

(4) لسان العرب: (سجم).

وتأثيرها فيما بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج. وهي ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أنّ اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه.

إنّ جمال القرآن اللغوي يتمثل في رصف حروفه وترتيب كلماته، الجامعة بين اللين والشدة، والخشونة والرقة، والجهر والخفية، على وجه دقيق محكم، وضع كل من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان حتى تآلف من المجموع أساليب امتزجت فيها جزالة البداوة من غير خشونة، وبرقة الحضارة من غير ميوعة. ومن نتيجة الجمال اللغوي والنظام الصوتي، أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى القرآن(1).

وصف العرب عند سماعهم للقرآن أنّه سحر يؤثر. فأي سحر هذا ؟وأين يكمن؟ لابد من أنّ السحر المراد والمعبر عنه موجود في صميم النسق القرآني ذاته.

والانسجام بين الصوت والمعنى قال به ابن جني في وجود علاقة بين الصوت والفعل، أو بين الصوت والاسم، وذكرها في أبواب من كتابه (الخصائص)، منها (في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، أي محاكاة الألفاظ لمعانيها، و(تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، أي العلاقة بين اللفظ ومدلوله. وليس في هذين البابين فقط بل يشير إلى وجود الصلة بين الصوت ومدلوله في أغلب أبواب كتابه ـ وإنْ لم يصرح به ـ(2). وهو أمر قاله الخليل قبله(1). ولكنّ الفرق بينهما أنّ ابن جني ربط تلك العلاقة بنظريات نشأة اللغة(2).

---

(1) مناهل العرفان (الزرقاني): 1/ 302 ـ 313.

(2) ينظر: الخصائص: 2/ 145 ـ 168.

لقد ((اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساساً لتطلعاتها، وآياته مضمارا لاستلهام نتائجها، وهي حينما تمازج بين الأصوات واللغة، وتقارب بين اللغة والفكر، فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القرآن الكريم))[3]. وسعى الدارسون العرب لإثبات إعجاز القرآن بنظمه وحسن تأليف أصواته وجودة ائتلاف ألفاظه مع معانيه، بما يعطي الجانب التشكيلي في الأصوات أثرا بارزا في الإعجاز النظمي للقرآن الذي يستند إلى محاولة الربط بين أصوات اللفظ المفرد مع الجملة المركبة[4]

والعربية من اللغات التي عرفت الانسجام الصوتي، وحصوله حدث لاعتماد العربي على السمع وحده، لذلك لجأ إلى ربط الألفاظ فيما اتصل منها في كلامه ربطا وثيقا أدى إلى ظهور تلك الحركات التي وصلت بين الكلمات. وسميت فيما بعد بحركات الإعراب[5].

ومتى اقتصر((أمر اللغة على السمع وعلى الإنشاد، فلابد لها أن تُعنى بالانسجام الصوتي، لأنه ضرب من المماثلة الحركية، أو التقريب الصوتي))[6]، وهي ظاهرة صوتية تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة، والمقاطع المتجاورة نزوعا

---

(1) ينظر: العين (صوقر)، (صر).

(2) ينظر: الخصائص: 1/ 46 فما بعدها.

(3) الصوت اللغوي في القرآن (محمد حسين الصغير): 73.

(4) ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم (سمير إبراهيم): 87.

(5) ينظر: دلالة الألفاظ (إبراهيم أنيس): 206.

(6) في البحث الصوتي عند العرب (خليل إبراهيم العطية): 76.

إلى التوافـق الحركـي، واقتـصادا في الجهـد المبـذول ((ليكـون العمـل مـن وجـه واحد))[1]، أو ((لتقريب صوت من صوت))[2].

والانسجام الصوتي ظـاهرة مـن ظـواهر التطـور في حركـات الكلمـات. فالكلمة المشتملة على حركات متباينة تميل في تطورها إلى التوافق والانسجام بين هذه الحركات، لئلا ينتقل اللـسان مـن ضـم إلى كـسر إلى فـتح فيمـا تـوالى مـن الحركات[3].

لقد كان للقدماء من علماء العربية في الأصوات اللغوية شأن كبير، وشهد المحدثون أنهـا جليلـة القـدر بالنـسبة إلى عـصورهم، بـل حتـى بالنـسبة للعـصر الحديث، ويكفي العرب فخرا في مجال الأصـوات أنْ يـشهد لهـم عالمـان غربيـان كبيران همـا برجـشتراسر الألمـاني، وفـيرث الأنجليـزي. يقـول الأول: لم يـسبق الأوربيين في هـذا العلـم إلا قومـان: العـرب والهنـود، ويقـول الثـاني: إنّ علـم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية [4].

والعرب أهل بيان، وأنّ البيان يقضي أنْ يكونوا مالكين جملة أدوات تتصل بالكلمة وبنيتها ثم أصواتها وعلاقة الصوت بالصوت الذي يليه[5]. ((إنّ البيـان يحتاج إلى تمييز وسياسة، والى ترتيب ورياضة، وإلى تمـام الآلـة وإحكـام الـصنعة، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن، وأنّ حاجة

---

(1) الكتاب: 3/ 287.

(2) الخصائص: 1/ 531.

(3) ينظر: في اللهجات العربية (إبراهيم أنيس): 96.

(4) ينظر: البحث اللغوي عند العرب (أحمد مختار عمر): 79.

(5) ينظر: من وحي القرآن (إبراهيم السامرائي): 171.

المنطق إلى الحلاوة والطلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة. . .))[1].

واشترط الجاحظ في جودة الشعر ((وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أُفرغ إفراغا واحدا، وسُبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان))[2]. وتناول نسج الكلمة العربية، وعدم اجتماع بعض الحروف مع بعض، وذلك في قوله: ((فإنّ الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير. والزاي لا تقارن الظاء ولا السين والضاد ولا الذال، بتقديم ولا بتأخير. وهذا باب كبير. وقد يُكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها يُجرى))[3].

والعرب تؤثر الخفة في الحروف لتجنب الثقل في النطق، و((لا يكاد يجيء في كلام العرب ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة، لحزونة ذلك على ألسنتهم، وثقله. وقد رُوي أنَّ الخليل بن أحمد قال: سمعنا كلمة شنعاء وهي الهُعْخع. . . ، وقالوا: نعرف الخُعْخع. وهذا أقرب إلى تأليفهم. . . كل ذلك اعتمادا للخفة، وتجنبا للثقل في النطق))[4].

والعرب في القرن الثاني الهجري أدركوا من علم الأصوات(الفونتيك) وما يسمى بعلم وظائف الأصوات (الفونولوجيا). إنَّ ضبط مخارج الأصوات ومعرفة أحيازها ووصف صفاتها ليُعد فتحا في العلم أدركه الخليل. أدّت بهم إلى معرفة البيان وكيف تكون الكلمة ثم الكلام بيّنا فصيحا ينتهي إلى حد من البلاغة[5].

(1) البيان و التبيين (طبعة دار الفكر): 1/ 14.

(2) م . ن: 1/ 67.

(3) م . ن: 1/ 69.

(4) سر الفصاحة: 58.

(5) ينظر: من وحي القرآن: 171 ـ 172.

والصوت ((مصدر صائت الشيء يَصُوت صوتا فهو صائت. وصوت تصويتا فهو مصوّت))[1]. وهو بمعناه العام ـ (الذي يشمل اللغوي وغير اللغوي) - الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة حتى لو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا. ويتوقف فهم الصوت على: درجة الصوت (Pitch) وعلو الصوت (Loudness)، وجرس الصوت (aualitgortimbre)، والصوت اللغوي ذو جانبين أحدهما عضوي والآخر صوتي، أو حركي، والثاني تنفسي، أو أحدهما يتصل بعملية النطق والثاني يتصل بصفته[2].

(1) سر الفصاحة: 5.

(2) ينظر: مناهج البحث في اللغة (تمام حسان): 67 ـ 72.

الفصل الأول

أصوات التأثر والتأثير

الفصل الأول

أصوات التأثر والتأثير

- المبحث الأول: المماثلة
- المبحث الثاني: الإبدال
- المبحث الثالث: الإدغام
  1. إدغام المتماثلين
  2. إدغام المتجانسين
  3. إدغام المتقاربين
  4. الإدغام الصغير والكبير
- المبحث الرابع: الأصوات الأنفية وأحكامها
  1. أحكام النون
  2. أحكام الميم الساكنة

الفصل الأول

أصوات التأثر والتأثير

الصوت الإنساني هو جوهر الكلام ومادته، ((الصوت هو آلة اللفظ، و الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف))[1].

وكان تحليل الصوت اللغوي محور التفكير الصوتي عند علماء اللغة قديما وحديثا، حتى أنهم كادوا يجمعون على أن اللغة أصوات[2]، وقد حد ابن جني اللغة بأنها((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[3]. وهذه الأصوات ((هي اللبنات التي تشكل اللغة، أو المادة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة)) [4].

إنّ ((الأصوات لا تقدم وظيفة تواصلية ـ وإن كانت المادة الرئيسة لها ـ من دون أن تتحول من المستوى المجرد المنعزل، إلى المستوى المادي المتصل، أي أن تدخل في سياقات صوتية منطوقة؛ للتعبير عن المعاني المرادة من التواصل.

وما دام التجاور حاضرا في السياقات الصوتية، والأصوات ذات سمات

(1) البيان والتبيين: 1/ 79.

(2) الكلام إنتاجه وتحليله (عبد الرحمن أيوب): 19 ـ 26.

(3) الخصائص: 1/ 33.

(4) دراسة الصوت اللغوي (أحمد مختار): 347.

ومخارج متنوعة: متقاربة ومتوسطة ومتباعدة، سيحصل ـ من دون أدنى شك ـ تأثر وتأثير بين الأصوات، وعلى مديات مختلفة من التأثر أو التأثير))[1].

يعد علماء اللغة المحدثون دراسة الأصوات أول خطوة في أي دراسة لغوية، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة ـ الصوت ـ الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني[2]. بل انّ القرآن وجه الدارسين إلى أهمية الأصوات من خلال (الحروف المقطعة) في بداية السور فـ(ألم) فيها انسجام وتوافق في المخارج الصوتية. فالهمزة أول المخارج، واللام من وسط المخارج، وهي أشد الحروف اعتمادا على اللسان، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم. فيكون الترتيب من البداية إلى الوسط إلى النهاية [3].

وكذلك وجّهَ القرآن الدارسين إلى الانسجام والتوازن في صفات الأصوات في الحروف المقطعة بنصف الحروف الهجائية، وبنصف المهموسة، ونصف المجهورة، ونصف الشديدة، ونصف الرخوة، ونصف المطبقة، والمنفتحة[4].

والأصوات تشتمل على ثلاثة أجزاء: الجزء الخاص بإنتاج الصوت، والجزء الخاص بانتقاله، والجزء الخاص باستقباله[5]، ومن((العسير أن تكون عناصر الكلمة الصوتية متساوية القيمة في داخلها نغمها القوي ومنها الضعيف؛

---

(1) المدارس الصوتية عند العرب (علاء جبر): 121.

(2) ينظر: البحث اللغوي عند العرب (أحمد مختار عمر): 72.

(3) البرهان (الزركشي): 1/ 168.

(4) مناهل العرفان (الزرقاني): 1/ 162 ـ 163.

(5) اللغة (فندريس): 43.

منها ما يسود ومنها ما يُساد))[1]. ويحصل التأثر والتأثير بين الأصوات لا المتلامسة فقط بل يصيب أصواتا يفصل بينها عدة عناصر، بل أصواتا أيضا تنتسب لمقطعين مختلفين. والعمليات التي تنتج هنا هي عمليات التشابه والانتقال والتخالف[2].

والكلمة العربية ((اتصفت بالتكافؤ والانسجام بين أجزائها في الحركات والأصوات، ومن أجل ذلك يؤتى بالهمزة التي يستعان بها على النطق بالساكن، مكسورة أو مفتوحة أو مضمومة إذا كان الحرف الذي يلي الساكن مضموما، مثل اسْتنصر، واعْترف فتضم الهمزة. ليتماثل الصوت ويكون العمل فيها على وجه واحد))[3] ويحدث ((في الكلام أن تجتمع أصوات لا انسجام فيما بينها، بحيث يَشعر المتكلم بثقلها على لسانه، أو يجد مشقة في تحقيقها، فيهرب من ذلك بتغيير بعض الأصوات ببعض، أو بتعديل بعض صفات الأصوات لتوفير الانسجام في أصوات الكلام، ولجعلها أسهل في النطق على نفسه))[4]. وإذا التقى صوتان أحدهما مهموس والآخر مجهور، تغير أحدهما ليصبح الصوتان إما مهموسين وإما مجهورين. فصيغة (افتعل) من الفعل (زاد) هي (ازداد) بدلا من (ازتاد)[5]. كما سيأتي في موضوع الإبدال.

والانسجام حاضر في لهجات العرب، ولكن لهجات البدو أميل إليه من

---

(1) م . ن: 90.

(2) م . ن: 93.

(3) التطور اللغوي التاريخي (إبراهيم السامرائي): 66.

(4) الوجيز في فقه اللغة (محمد الأنطاكي): 252.

(5) ينظر: الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس): 252 ـ 253.

لهجات الحضر. وقد يوجد عند الحضر ولكن بنسبة أقل، فالحجازيون كانوا يقولون (بَرَأت) وسائر العرب يقولون (بَرِئت)، فالأصل هو الصيغة الثانية، وأنّ نوعا من الانسجام بين الحركات قد أدى إلى الصيغة الأولى. فلظاهرة الانسجام فائدة في تمييز الأصل والفرع، وأن نتبيّن ما كانت عليه الكلمة وما صارت عليه[1].

وقد ((تعمل الحروف المتتابعة أو المتجاورة في بعضها فيحدث عن ذلك ظواهر مختلفة تابعة لعلم تعامل الأصوات. وأهم هذه الظواهر هي الإدغام والتباين والقلب))[2]، وذكر بعض المحدثين أن هذه التغيرات تتم بثلاث طرق، هي التماثل والتخالف والانتقال المكاني[3].

ويظهر أن السر في ميل العربية إلى هذا التقريب أو الانسجام، أنّ اللغات نشأت شفوية لم تقيد بقيود الكتابة، واكتفى فيها أول الأمر بالسماع والنطق، ومتى اقتصر أمر اللغة على السماع وعلى النطق وعلى الإنشاء فلابد أن تعنى كل العناية بهذا الانسجام[4].

ولاحظ العربي الفرق قبل نزول القرآن وبعده. فالآن لم يعد يسمع الألفاظ الثقيلة (الهُعْخُع) بسبب تقارب الحروف، أو(متشزرات)بسبب توسط الشين المهموسة الرخوة بين التاء المهموسة الشديدة فاختلفتا في الشدة والرخاوة، فلفت

(1) ينظر: في اللهجات العربية (إبراهيم أنيس سنة الطبع 2003): 86 ـ 87.

(2) دروس في علم أصوات العربية (جان كانتينو): 26.

(3) ينظر: الوجيز في فقه اللغة: 252 ـ 257.

(4) ينظر: اللهجات العربية في التراث (الجندي): 1/ 26.

القرآن الكريم انتباه المتلقي بتناسق ألفاظه وانسجامها، فأصواته قامت على الائتلاف، بل وصل قمة في السلامة مع ضخامة الصوت، وتناسق أصواته، فحقق الانسجام موازنة بين الأصوات، واقتصاد في الجهد العضلي النطقي، مع قوة التأثير في المتلقي.

ومن ظواهر هذه المشاكلة بين الأصوات التأثير لصوت وتأثر صوت آخر به من خلال الشد والجذب، أو تأثير الصوت الأقوى في الأضعف، أو البدل بين الأصوات.

المبحث الاول

المماثلة

(Assimilation)

المماثلة لغة تعني المشاكلة أو الكفاءة أو المشابهه، ولا تكون إلا بين المتفقين[1]. وفي الاصطلاح إنها ضرب من التأثير والتأثر بين الأصوات، عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة، مع الأصوات المحيطة بها، فيحدث بعد ذلك نوع من التوافق والانسجام[2]، أو هي ((التعديلات التكيفية للصوت حين مجاورته للأصوات الأخرى))[3]، ومن المحدثين من حدها بـ((تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلا جزئيا أو كليا))[4]، ويعرفها بعضهم بقوله: ((تغير صوت ليماثل صوتا آخر مجاورا له))[5].

والمماثلة عنوان كبير يشمل مجموعة ظواهر هي الإدغام، والإبدال الحركي والحرفي، والإمالة. فهو أقرب إلى مصطلح المشاكلة. فالمماثلة من قوانين علم الصوت تعالج تأثر الأصوات المتجاورة في الكلمات والجمل وميلها إلى الاتفاق في المخارج والصفات، فيحصل الانسجام الصوتي والاقتصاد في جهد المتكلم.

---

(1) ينظر لسان العرب (م ث ل)، المعجم الوسيط: 1/ 491، 2/ 791، 853.

(2) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه (رمضان عبد التواب): 22، الأصوات اللغوية: 178.

(3) الأصوات اللغوية (عبد القادر عبد الجليل): 283.

(4) دراسة الصوت اللغوي (أحمد مختار عمر): 324.

(5) معجم علم اللغة النظري: 24، نقلا عن المصطلح الصوتي (عبد العزيز الصيغ): 280.

والأصـوات اللغويـة تختلـف فيمـا بينهـا في المخـارج والـصفات، فمنهـا المهموس والمجهور، ومنها المفخم والمرقق، ومنها الـشديد والرخـو. فـإذا اجتمـع صوتان من مخـرج واحـد أو مـن مخـرجين متقـاربين وأحـدهما مجهـور والآخـر مهموس كان بينهما تأثر وتأثير وتجاذب حتى يحدث التماثل الانسجام بينهمـا في كل صفاته أو بعضها. ويحصل هذا الانـسجام بـين الـصوائت كمـا يحـصل بـين الصوامت.

ويمكن أن أعرفها بأنها: تنازل صوت لآخر في مجموعـة صـوتية متحـدة أو متقاربة عن قيمته في المخرج والـصفة، كليـا أو جزئيـا، بـسبب المجـاورة بينهمـا، لأجل السهولة النطقية، وتحقيق المشابهة بين تلك الأصوات.

ومن ذلك نجد أنَّ المماثلة نتيجة وليـست سـببا في حـدوث هـذه الظـاهرة الصوتية: وبصورة أوضح أنه بوجود المجاورة والخلاف بـين الأصـوات تنـتج لنـا المماثلة.

ومصطلح المماثلة حديث وعُولج معالجة خاصة على وفق ضوابط معينـة. في حين أن القدماء عرَفوه لكن كانت مظاهره موزعة على أبواب شتى في الإمالة والإدغام والإعلال والإبدال والقلب، وغيرها من المسائل الـصوتية الـتي يحـدث فيها التأثر والتـأثير. فهـي عنـد سـيبويه تعـني (المـضارعة)[1]، والمـضارعة تعـني المشابهة، والمضارعة للشيء أن يضارعه كأنه مثلـه[2]، وعنـد ابـن جـني((تقريـب صوت مـن صـوت))[3]، وعالجـه ابـن يعـيش تحـت عنـوان (تـشاكل الـصوت

(1) الكتاب: 4/ 477.

(2) لسان العرب (ض ر ع).

(3) الخصائص: 1/ 531.

وتجانسه)[1] وعند ابن الحاجب (المناسبة)[2].

وقسم العلماء المماثلة بحسب تأثر الصوت إلى نوعين:

أولاً: التأثر المقبل: وهو تأثير الصوت الأول في الثاني.

ثانياً: التأثر المدبر: وهو تأثير الصوت الثاني في الأول.

وللتأثر المقبل أكثر من صورة هي:

1. التأثر الكلي في حالة الانفصال:

ويكون فيه التقارب كليا في الصفة والمخرج. ومن أمثلته: تتأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر(ـهُ) وجمع المذكر(ـهُم) وجمع المؤنث(ـهُنَّ) والمثنى(هُما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة، أو ياء، فتقلب الضمة كسرة، مثل برجلِهُ وبرجلِهِ، ـ فيهُ ـ فيهِ؛ بصاحبهُم ـ بصاحبهِم؛ بهُنَّ ـ بهِنَّ ؛ بهُما ـ بِهِما[3].

وأجاز المبرد مماثلة الصوائت هذه بقوله مررتُ بهمي، ونزلت عليهمي، ومررت بهمو، ومررت بهمي، ونزلت عليهمي، وضربتكمو، وأكرمتكمو[4]، وهي مسألة لهجية فقد أرجعها سيبويه إلى الحجاز[5] والمبرد إلى بكر بن وائل[6].

(1) شرح المفصل: 10/ 318.

(2) شرح الرضي على الشافية: 3/ 4.

(3) ينظر: المقتضب: 1/ 269 ـ 271، التطور اللغوي: 24 ـ 25.

(4) ينظر: المقتضب: 1/ 269 ـ 271.

(5) الكتاب: 4/ 195

(6) المقتضب: 1/ 269.

ومن القراء الذين ظهر عندهم هذا النوع من التأثر ابن كثير ونافع في قراءتهم(عليهِمُو) بكسر الهاء ووصل الميم بواو، لأن الكسرة من جنس الياء والهاء مؤاخية للياء، لأن الهاء قد تقع في موقع الياء في بعض القوافي، والإتيان بالميم موصولة بواو الجمع لأنه أصل الكلمة بدليل نقول عند التثنية (عليهما) وعند الجمع (عليهمو) كما تقول قام وقاما وقاموا[1]، في حين قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائي (عليهِمْ) بكسر الهاء واسكان الميم طلبا للتخفيف[2].

والظاهر أنّ قول ابن مجاهد بأصالة واو الجمع في (عليهمو) مسألة فيها نظر فالضمائر ليست من صلب الكلمة إنما هي كناية عن الجمع أو التثنية فهي عارضة. فيبدو أنّ الإتيان بالواو جاء لإشباع الحركة لأنّ القراءة أداء وتلقٍ، أو أنّه جاء بها في الوقف لأنّ الوصل مع الإشباع ينتج عنه صعوبة الانتقال من صائت طويل (الواو) إلى الفتحة في (غَيْر)، لذلك قال من أسكن الميم في (عليهمْ) جاء للتخفيف، لذلك نجد في قراءة عاصم أنه يسكن الميم إذا جاء بعدها فتحة في مواضع القرآن كلها، نحو قوله سبحانه ﴿عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾[3]، ﴿عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[4] في حين نرى عاصما وغيره يضم الميم إذا جاء بعدها ساكن، كقوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾[5]، و﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ﴾[6]. وكل ذلك يدخل في باب التسهيل النطقي والعلاقة بين الأصوات فيما بينها.

---

(1) ينظر: السبعة في القراءات (ابن مجاهد): 109 ـ 110، البحر المحيط (أبو حيان): 1/ 145.

(2) م . ن: 110.

(3) سورة البقرة: 20.

(4) سورة البقرة: 38.

(5) سورة البقرة: 61، سورة آل عمران: 112.

(6) سورة آل عمران: 154 .

وجاءت قراءة عاصم على الأصل في الحركة للضمير بروايتين، فروى أبو بكر عنه (وما أنسانيهِ) بكسر الهاء من غير بلوغ ياء، وروى حفص عنه ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[1] بضم الهاء من غير بلوغ واو[2].

2. التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال:

ومعناه تقريب صوت من آخر في الصفة وحدها أو في المخرج، ومن أمثلته تأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالضاد أو بالزاي قبلها فتقلب طاء في الحالتين الأولين، ودالا في الحالة الثالثة مثل: اصتبغ - اصطبغ ؛ اضتجع - اضطجع؛ ازتجر - ازدجر[3]، ونحو قوله سبحانه ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[4]، والأصل ((مزتجر بالتاء إلا أنّ التاء مهموسة والزاي مجهورة، فثقل الجمع بينهما فأبدل من التاء ما هو من مخرجها وهو الدال))[5]، وقرأ زيد بن علي ((مزّجر))[6]، على تغليب الزاي بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام فيها[7].

إنّ سبب وجود الإبدال في الأصوات المارة الذكر هو صعوبة الانتقال من صوت مطبق يتصف بالقوة والتفخيم الصوتي (ص. ض) إلى صوت مهموس ضعيف فتحدث بسبب المجاورة (تنازع صوتي)، فيتغلب الصوت الأقوى ليغير

(1) سورة الكهف: 63.

(2) السبعة: 131.

(3) ينظر أمالي القالي: 2/ 186، التطور اللغوي: 26.

(4) سورة القمر: 4.

(5) إعراب القرآن (النحاس): 4/ 286.

(6) البحر المحيط: 8/ 174.

(7) الكشاف (الزمخشري): 4/ 36، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): 17/ 128.

بدوره صوت يناسبه وينسجم معه في قوته ومجموعته وهو (الطاء) الذي ينتمي إلى مجموعة أصوات الإطباق.

أما الزاي فهو صوت صفيري حاد فلا ينسجم مع التاء المهموس ويكون التحكم بالتغيير إلى القوي فيبدل التاء إلى الدال المجهور القوي. وكل ذلك هدفه الانسجام والتوافق الصوتي، الذي هو أحد مظاهر السهولة النطقية التي ينشدها المتحدث الراغب في سرعة القول، والسرعة تكمن بالسهولة.

ومن أمثلته أيضا تأثر تاء الافتعال بالجيم إذا كانت للفعل فتقلب دالا في بعض اللهجات مثل: اجتمع – اجدمع؛ اجتزّ – اجدزّ[1]، وسبب التنازع الصوتي هو بين جهر الجيم الواضح القوي والتاء المهموس فيبدل المهموس إلى مجهور (الدال).

3. التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال:

ومنه تأثير صوت الراء مع الأصوات المجاورة فيؤثر فيها بالتفخيم نحو قوله تعالى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾[2] ((تقرأ بالصاد والسين واشمام الزاي. فالحجة لمن قرأ بالسين أنه جاء به على أصل الكلمة، والحجة لمن قرأ بالصاد أنه أبدلها من السين لتؤاخي السين في الهمس والصفير، وتؤاخي الطاء في الإطباق لأنّ السين مهموسة والطاء مجهورة، والحجة لمن أشم الزاي أنها تؤاخي السين في الصَفير وتؤاخي الطاء في الجهر))[3] والقراءة بالسين في (السراط) هي قراءة ابن كثير في

(1) سر صناعة الإعراب (تح/ هنداوي): 1/ 187، التطور اللغوي: 26.

(2) سورة الفاتحة: 6.

(3) الحجة في القراءات السبع (ابن خالويه): 62 ـ 63.

كل القرآن في رواية القواس وعبيد بن عقيل عن شبل، وفي رواية عبيد نفسه عن أبي عمرو أنه كان يقرأ بالسين، وربما قرأ مرة بالسين ومرة بالصاد[1].

والأصل هو (السراط) لأنه من سرطت الشيء إذا ابتلعته، والطريق يبتلع المارة[2]. فالسين في (السراط) من أصوات الصفير، والصاد من الأصوات المطبقة المفخمة فهي تناسب الراء في التفخيم نحو قوله سبحانه ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[3]، مجيء الصاد مع الطاء أنسب انسجاما فهي تؤاخي الطاء بالإطباق والإستعلاء وتؤاخي السين بالمخرج. ومنه ((قولنا صور وسور وأخرص وأخرس))[4].

ثانيا: التأثر المدبر

ويأتي على صور هي:

1. التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال:

وهو الأكثر شيوعا في العربية الذي يسير على قياس مطرد[5] ومن أمثلته: في مضارع صيغتي: تفعّل وتفاعل، إذ تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف، بفاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة: الفعل الماضي؛ مثل:

---

(1) ينظر: السبعة: 105.

(2) التيسير في القراءات السبع: 18 ـ 19، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 123.

(3) سورة الغاشية: 22.

(4) التطور اللغوي: 28.

(5) المنهج الصوتي للبنية العربية (عبد الصبور شاهين): 210.

يَتَذَكَّر – يَتْذَكَر – يَذَّكّر – اذكّر

يَتَطَهَّر – يَتْطَهّر – يَطَّهَّر – اطَّهَّر

يَتَداراَ – يَتْداراَ – يَدّاراَ – ادّاراَ

يَتَثَاقَل – يَتْثَاقل – يَثَّاقل – اثّاقل

وتمثل هذه الظاهرة الصوتية لونا من ألوان التطور للعربية في المرحلة الجاهلية، وجاء القرآن جنبا إلى جنب مع الصيغة الأخرى[1]، فجاءت القراءات في صيغتين، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[3] و﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾[4] واختلف القراء في ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ﴾ فعن عاصم اختلف الرواة عنه، فروى يحيى بن آدم وحفص عنه بالياء مشددة الدال، وفي رواية الكسائي وحسين عن أبي بكر ((لتدبروا)) بالتاء خفيفة الدال[5].

وقرأ أبو جعفر بالتاء وتخفيف الدال كذلك، وأصل الاختلاف بين القراءتين هو أصل الفعل، فمن قرأ بهذه القراءة الأخيرة أنّ الأصل (لتتدبروا)، ومن قرأ القراءة الأولى (ليدّبروا) بياء الغيب وتشديد الدال فالأصل عنده (ليتدبروا) أدغمت التاء في الدال[6].

---

(1) ينظر: التطور اللغوي: 29.

(2) سورة المؤمنون: 68

(3) سورة ص: 29.

(4) سورة محمد: 24.

(5) ينظر: السبعة: 553.

(6) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: 477.

وقوله عز من قال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] و ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾[2] (﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ﴾[3] ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4].

واختلف القراء في (لِيَذَّكَّرُوا) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر مشددا، وقرأ حمزة والكسائي خفيفة، والفارق بين القراءتين هو المعنى، فحجة من قرأ مشددا أراد ليتعظوا، ومن قرأ مخففا أراد الذكر بعد النسيان[5]

وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[6]، و﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾[7].

وقد يستعمل القرآن صورتين معا على الصورة القديمة(من دون إدغام) والصورة المتطورة (بإدغام)، كقوله سبحانه: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[8].

واستمر هذا التطور سائدا في اللهجات مثل: فلان اطّاول على فلان، واسّاهل معه، بدلا من تطاول عليه، وتساهل[9].

قد يرد سؤال عن سبب حدوث هذا التغيير، ثم عن ورود الصورتين في القراءات. ولبيان ذلك نقول إنَّ أغلب الأصوات التي يحدث فيها هذا التغيير هي

(1) سورة البقرة: 269.

(2) سورة الإسراء: 41.

(3) سورة الفرقان: 50.

(4) سورة الرعد: 19

(5) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 226، السبعة: 380 ـ 381، حجة القراءات (أبو زرعة): 511.

(6) سورة النمل: 47.

(7) سورة يس: 18.

(8) سورة ص: 29.

(9) ينظر: التطور اللغوي: 29 ـ 30.

(ت، ز، ذ، د، ص، ض، ط، ظ)، إذ أنها تتمتع بالقوة والتفخيم الصوتي، من أصوات انفجارية أو صفير أو أصوات الإطباق، مما يتطلب جهدا عضليا في نطقها. وهذا يصل إلى ذروته بتوالي أكثر من مقطع يحمل صفة القوة أيضا، ففي (تتابع) نقول(اتّابع)، و(تزينت) نقول (ازّينت) كما جاء في النص القرآني: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ﴾[1]، يتسمعون - يَسّمّعون، كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[2].

ولـ(يَسَّمَّعُونَ) قراءتان بالتشديد والتخفيف، فقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم مشددة، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو (لا يسْمَعون) خفيفة، و دليل القراءة الأولى أنه أراد (يتسمّعون)، فأسكن التاء لدخول حرف المضارعة على(تسمَّعوا)، وأدغمها في السين فصارتا سينا مشددة، لقرب المخرجين، وحجة القراءة الثانية أنه أخذه من(سمع يَسْمَع)[3].

ونجد أنَّ فاء الكلمة في تلك الصيغ سكنت، وعند التسكين لابد من الإتيان بهمزة الوصل للنطق بالساكن، ثم حصل إبدال بصوت آخر يماثله في القيمة الصوتية، ثم الإدغام، وكل ذلك يصب في السهولة والانسجام.

وأرجع الدكتور تمام حسان تطور(تثاقلتم) إلى (اثّاقلتم) إلى التأثر والتأثير في أسلوب نطق الحروف، في قوله سبحانه: ﴿مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ

---

(1) سورة يونس: 24.

(2) سورة الصافات: 8.

(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 301، السبعة في القراءات: 547.

ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾[1]، إذ ((تحولت التاء إلى مخرج الثاء وأدغمت فيها للإيحاء بواسطة الثاء المشددة يتسرب الطاقة المعينة على الحركة ثم جاءت عبارة(إلى الأرض) للإشارة إلى نتيجة هذا التسرب بالإخلاد إلى الأرض))[2].

والظاهر أنَّ هناك علاقة بين هذا التحول الصوتي ومدلول السياق الذي جاءت فيه، فبتحويل التاء إلى الثاء وحصول الإدغام الذي هو (تشديد) مع الإتيان بالهمزة، كل التحولات الصوتية الثلاثة كوّنت لنا مقطعا قويا استنادا إلى ذلك التحول الصوتي، إدراكا منسجما مع مدلول المقام والحدث الكبير هو تقاعس من أهل الأرض عن طلب السماء، والخلود إلى السكينة. عُبِّرَ عنه (اثّاقلتم).

ومن أمثلة التطور في الصيغة ما جاء في النص القرآني ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا ﴾[3] و(ادَّارَكُ) يقرأ ((بقطع الألف وإسكان الدال وبوصل الألف وتشديد الدال وزيادة ألف بين الدال والراء، فالحجة لمن قطع الألف أنه جعله ماضيا من الأفعال الرباعية ومنه قوله(إِنَّا لَمُدْرَكُونَ)، والحجة لمن وصل وشدد وزاد ألفا أنّ الأصل عنده تدارك، ثم أسكن التاء وأدغمها في الدال فصارتا دالاً مشددة ساكنة، فأتى بألف الوصل ليقع بها الابتداء. . . ومثله فادّارأتم فيها، قالوا اطّيرنا بك، وازّينت))[4].

فجاءت الصيغة (ادّاركوا) متوافقة مع الأسلوب، ((لكن مقاصد

(1) سورة التوبة: 38.

(2) البيان في روائع القرآن: 1/ 428.

(3) سورة الأعراف: 38.

(4) الحجة في القراءات السبع: 273.

الأسلوب استبدلت جهر التاء بهمسها فتحولت التاء إلى دال ثم أدغمت الدال في الدال فكانت النتيجة دالاً مشددة مكونة من ساكنة ومتحركة جاء من تواليها إيحاء بالتوقف الذي يعقبه اندفاع فجاء الانطباع بأن الأمم التي يلعن بعضها بعضا تكأكأت على مشارف النار ثم اندفعت فيها جملة في تتابع))[1].

ويبدو أنّ صيغة (ادّاركوا) تحمل صفتين من فخامة الانفجار في الدال المدعم بالإدغام حقق للأسلوب والمعنى السرعة، فالقوة الصوتية للمدلول، والإدغام للسرعة، فتعاضد معنى (ادّاركوا) أي تلاحقوا، والإدغام أتى ليعين توضيح الصورة على أبواب جهنم في اداركهم بعضهم بعضاً.

ومن نماذج التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال: تتأثر النون في إنْ وأنْ ومن وعن، بالميم واللام التي تليها، فتقلب ميما أو لاما، مثل إمّا وأمّا ومّما وعمّا وإلا وألا ومّا وعمّا[2] وتسمى مماثلة في المخرج[3] لأنّ المخرج للنون واللام واحد فهما أسنانيان لثويان، والميم مقارب لهما شفوي. ولكنها تجتمع في صفة الجهر، والنون تدغم مع مجموعة من الأصوات هي(ر ـ ل ـ ي ـ و ـ م).

إذن المماثلة حاصلة بين النون و الميم واللام من المخرج والصفة وتتأثر لام التعريف بما بعدها، من أصوات الصفير والأسنان والأصوات المائعة(ر ـ ل ـ ن)، المسماة الحروف الشمسية[4]، وسبب اختفائها مع أصوات الأسنان بسبب التقارب الصوتي والمخرجي، وبسبب ضعف موقع اللام، وقوة موقع الصوت

(1) البيان في روائع القرآن: 1/ 429.

(2) التطور اللغوي: 30.

(3) دراسة الصوت اللغوي: 326.

(4) التطور اللغوي: 30، دراسة الصوت اللغوي: 326.

بعدها[1]، ومن أمثلته ودّ (التميمية) والأصل وَتِدَ(الحجازية)[2].

2. التأثر المدبّر الكلي في حالة الإنفصال:

من أمثلته تطور كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة مِفْعَل مِفْعَلَـة، إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين، مثل مَقوَد، ومَخَدّة للوسادة[3].

3. التأثر المدبر (الجزئي) في حالة الاتصال:

ومـن أمثلتـه تتحـول الـصاد قبـل الـدال إلى زاي، في اللـهجات القديمـة، مثل(يَزْدُق) في (يـصدق)، وجـاءت قـراءة حمـزة والكـسائي ورويـس ووافقهـم الأعمش بإشمام الصاد الزاي في قولـه تعـالى: ﴿يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾[4]، للمجانـسة والخفة، فتكون القراءة (يـزدر الرعـاء)، وقـرأ البـاقون بالـصادر الخالـصة علـى الأصل[5].

ويبدو أن لوجـود الـدال أثـراً في تحـول وإبـدال الـصاد إلى زاي، فالـصاد صوت ضعيف في همـسه ويـزداد ضـعفا بمجـاورة الـدال المجهـورة الانفجاريـة، والذي يناسبه قيمة هو الزاي المجهور الصفيري القوي.

ومن أمثلة ذلك التأثر هو تأثر النون الساكنة بالباء التالية لهـا، فتقلـب إلى صوت يماثله في المخرج هو الميم (شفويان)، نحو انبعث، انبرى، تنطقـان، امبعـث وامبرى[6].

(1) المنهج الصوتي للبنية العربية: 212.

(2) الكتاب: 4/ 482، سر صناعة الإعراب: 1/ 187.

(3) معاني الفراء: 3/ 280 ـ 281، الكشف: 1/ 386.

(4) سورة القصص: 23.

(5) ينظر: المزهر: 366، الإتحاف: 244.

(6) دراسة الصوت اللغوي: 326، التطور اللغوي: 35.

4. التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال،

ومن أمثلته: الصاد قبل الراء تقلب زايا في بعض القراءات، مثل: (زراط) في ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾[1]، برواية الاصمعي عن أبي عمرو، وقال الكسائي عن حمزة أنه كان يُشِمّ الصاد زايا في الصاد الساكنة، وفي الصاد المتحركة كان يقرأ (الزراط) بالزاي، فيقرأ (صراط الذين) بالصاد[2]. فأبدلت منها صوتا مجهورا حتى يشبه الطاء في الجهر.

وجملة القول إنَّ للمماثلة أنواعاً أربعة رئيسة هي:

1. التأثر المقبل: هو تأثر الصوت الثاني بالأول. ويحصل بصورة قياسية في صيغة (افتعل) فقط، ومن هنا كان محدودا.
2. التأثر المدبر: هو أن يتأثر الصوت الأول بالثاني، نحو مِنْ بعيد.
3. التأثر المتبادل: المتبادل: نحو ادّكر والأصل اذتكر؛ فإن فاء الفعل، أي الذال، وتاء الافتعال، تشابهتا واستبدلتا بحرف آخر مخالف لهما وهو الدال.
4. التأثر التباعدي، مثل تفخيم السين في سراط ومسيطر تحت تأثير الطاء المفخمة[3].

ومثلما تقع المماثلة في الصوامت تقع كذلك في الصوائت، كقراءة إبراهيم بن أبي عبلة(الحمدُ لُله) في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[4]، وهي قراءة أهل البادية، مضمومة

(1) سورة الفاتحة: 6.

(2) ينظر السبعة: 105 ـ 106، المزهر: 1/ 365.

(3) ينظر: مصطفى جمال الدين جهوده وظواهر لغوية في شعره: 105.

(4) سورة الفاتحة: 2.

الدال واللام، وهو (تأثر مقبل)، وقرأ الحسن البصري ورؤبة (الحمدِ لله)، وهو تأثر مدبر)[1]. فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم[2].

وعلل ابن جني القراءتين بكثرة الاستعمال، لذا((أتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزء الواحد وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصار (الحمدُ لُلّه) كعُنُق وطُنُب، و(الحمدِ لِله) كإبِلٍ وإطِل))[3].

وبعد هذا عرفنا أنَّ الأصوات تنماز بفروق في المخارج والصفات إلا أنّها حين تتجاور يحصل بينها شد وجذب بسبب قوة الصوت أو ضعفه، فهذا التنازع أو التنافر سبب إلى حدوث الانسجام عن طريق تغليب صوت على آخر. وعند غياب مخرج الصوت أو صفته بسبب المجاورة يكون هناك مبدأ التعويض للصوت الغائب بأن يطول الصوت عن طريق الإدغام أو تأتي قوته من خلال دمج صوتين يتصفان بالتفخيم، الأول: البدل عن الصوت الفاني، والثاني الصوت الموجود أصلا.

ويحصل هذا كله بتحكم غير شعوري ميلا إلى السهولة والوضوح السمعي، لأن غاية المتكلم هو التأثير في المتلقي، وهمزة الوصل بين الطرفين هي اللغة، واللغة أصوات.

(1) مختصر في شواذ القراءات: 1، والقراءات هو الصحيح لأن فيها يقع الشواذ والمطبوع هو (مختصر في شواذ القرآن) وهو خطأ لأن القرآن لا يقع فيه الشاذ

(2) ينظر: معاني القرآن (الفراء): 1/ 3 ـ 4.

(3) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1/ 111.

وفي الجدول الآتي بيان

أنّ الإبدال + الإدغام = سهولة وقوة صوتية

الفعل	صيغة افتعل	إبدال	إدغام
طَلَع	اطْتَلع	اطْطَلَع	اطَّلعَ
ظَلَم	اظتلم	اضْطَلَم	اطّلم (قليلة الاستعمال) اظّلم (كثيرة الاستعمال)
زان	ازتان	ازدان	-
دعا	ادتعى	اذْدَعى	ادّعى
ذكر	اذتكر	اذْدكر	ادّكر اذّكر

وعرفت اللهجات العربية المماثلة وقطعت مرحلة طويلة، ولاسيما لهجات البدو، التي مالت إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض، لضرب من التشاكل ومراعاة لظاهرة الانسجام، لأن لهجة البدو متطورة وفي تطورها تجنح إلى الانسجام، بينما نجد القبائل المتحضرة كالحجاز ومن سار سيرها قد بالغوا في عدم التقريب والمماثلة بينها، لأن لهجتهم محافظة وعوامل التطور عندهم ليست لها نفس القوة عند البدويين[1].

والمماثلة عنوان واسع يضم تحته الإبدال والإدغام والإمالة، لأنَّ السمة

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 1/ 273.

المشتركة بينها هو التقريب، بل إنَّ ((المماثلة من أهم العوامل التي سببت إبدال الحروف))[1]. والأصوات ((الصادرة عن الحروف تشكل وحدة صوتية دلالية مستقلة بذاتها فإذا اندرجت في سياق نسقي اجتمعت بوحدات أخرى متعددة ومتعاونة، فوجد الفضاء الدلالي والايقاعي ذو الأبعاد الجمالية المتنوعة))[2]

(1) التطور النحوي للغة العربية (برجشتراسر): 33.

(2) التقابل الجمالي في النص القرآني: 202.

المبحث الثاني

الإبـدال

يلتقي الإبدال في نقطـة بدايـة الإدغـام والمماثلـة والإمالـة، وهـو تقريـب صوت من صوت. واهتم العلماء العرب بالإبدال بوصفه ظـاهرة مـن الظـواهر الشائعة، وألّفوا فيه مؤلفات[1]. واستمر عناية اللغويين به لأنه يمثـل ظـاهرة مـن ظواهر التطور الصوتي.

والبدل حده: (وضع الشيء مكان غـيره))[2]، وهـو إقامـة حـرف((مقـام حرف إما ضرورة وإما صفة واستحسانا وربما فرقوا بين البدل والعـوض فقـالوا البدل أشبه بالمبدل منه من العوض ولذلك يقـع موقعـه))[3]. ويـسمى الإبـدال: البدل، والمبدل منه، والتعاقب، والنظائر، والقلب والمقلوب، والمضارعة.

والإبدال على ضربين: الأول: بدل حـرف مـن حـرف لأجـل الإدغـام[4] كقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبي عمرو(أن يَـصّلَحَا)) بفـتح اليـاء والـلام وتشديد الصاد في ﴿أَن يُصْلِحَا﴾[5]، وفي قراءة عاصـم وحمـزة والكـسائي بـضم

---

(1) ممن كتب في الإبدال: الأصمعي، وابن السكيت، وأبو القاسم الزجـاجي، وأبـو الطيـب اللغوي.

(2) المخصص ة (ابن سيده): 13/ 267.

(3) شرح المفصل (ابن يعيش): 10/ 7، الإتقان (السيوطي): 2/ 239.

(4) التكملة (أبو علي): 243، سر صناعة الإعراب: 1/ 172.

(5) سورة النساء: 128.

الياء و التخفيف للصاد بإسكانها وكسر اللام[1]. والثاني بدل حرف من حرف لغير الإدغام، وهو على ثلاثة أنواع:

أولها: الإبدال النادر الواقع في سبعة أحرف(ق، خ، ذ، ظ ض، ح، غ)، نحو أخن في أغن.

وثانيها: الإبدال القياسي الشائع المضطر إليه في التصريف بحيث يوقع تركه في الخطأ. يقع في ثمانية أحرف تجمع في (طويت دائما)،

وثالثها: الإبدال الشائع من غير اضطرار إليه في التصريف، ويكون مقصورا على السماع، بأن تختص به قبيلة دون أخرى: كالعنعنة والفخفخة وغيرهما[2].

وللإبدال فائدة في تعرف اللغوي على كم كبير من المفردات، واستبطان أسرار اللغة، وتجنب الخطأ في فهم النصوص الأدبية، ودفع الاتهام بالتصحيف[3].

واشترط ابن جني تقارب المخارج في وقوع الإبدال، ((وهذا وإن كان عندنا غلطا لإبدال الحرف مما ليس من مخرجه ولا مقاربا في المخرج له))[4]، وإنَّ

(1) ينظر: السبعة في القراءات: 238، التيسير في القراءات السبع: 97، اتحاف فضلاء البشر: 246.

(2) ينظر: همع الهوامع (السيوطي): 3/ 476، اللهجات العربية في التراث: 1/ 347 ـ 348.

(3) الإبدال (مقدمة التنوخي): 1/ 40 ـ 42.

(4) الخصائص: 2/ 55.

((أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء. . . مما تدانت مخارجه))[1].

وقد وردت في كتب ابن جني الحروف المتدانية في المخرج، والمتجاورة، والمتقاربة. فالمتدانية هي الحروف الأقرب إلى بعضها في المخرج من غيرها، كالهمزة، والهاء، والمتجاورة ما كانت من مخرج واحد إلا أنها ليس فيها صفة التداني، كتجاور الهمزة والعين، والمتقاربة التي من مخرجين مختلفين ولكن موضعيهما في النطق متقاربان كالثاء والفاء[2].

ومن أمثلة ذلك ((إبدال الهاء من الهمزة الزائدة فقولهم في (أرقت هرقت) وفي (أنرت الثوب هنرته))[3]، ((والعين من الحاء في بعض المواضع، قرأ بعضهم (عتى حين) يرد (حتى حين))[4]. وهي قراءة ابن مسعود بإبدال الحاء عينا، وهي لغة هذيل[5].

والظاهر أن المسألة لا تستحق أنْ تكونَ شائعة أو قياسية، ومن المرجح أن يكون أحد نطقها عينا بسبب خلل نطقي، لأن الحاء تمثل صعوبة في نطقها، ويبدو أنَّ السبب في إبدالها عينا لوجود أكثر من نقطة تلاقي بينهما، ((فهي النظير المجهور للحاء))[6]، يزاد على ذلك باحتكاكهما، ولو أنَّ العين أقل احتكاكا من الحاء، ((ولولا بحة في الحاء لكانت عينا))[7].

---

(1) سر صناعة الإعراب: 1/ 180.

(2) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني (حسام النعيمي): 98.

(3) سر صناعة الإعراب: 2/ 554، وينظر: أمالي القالي: 2/ 68.

(4) سر صناعة الإعراب: 1/ 241.

(5) البحر المحيط: 5/ 42.

(6) علم اللغة العام (الأصوات) (كمال بشر): 121.

(7) سر صناعة الإعراب: 1/ 241، أمالي القالي: 2/ 67 ـ 68.

ومن ذلك الإبدال بين السين الصاد في قرب المخرج، سبقت وصبقت، وسقت وصقت[1]، فهناك اتحاد مخرج بين الصوتين فهما لثويان، ومن الصفة مجهوران، وصفيريان، إلا أن الصاد فيها استعلاء وهو مما يماثل القاف وبذلك يظهر أثر القاف في ذلك الإبدال. وشرط الإبدال، ((أن تكون السين متقدمة. . . ، وأن تكون السين هي الأصل، فان كانت هي الأصل لم يجز قلبها سينا لأن الأضعف يقلب إلى الأقوى ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف))[2]، ومن الإبدال في المخرج الواحد (اللثوي)، إبدال الصاد زايا، مثل التَصْدير التزدير، وفي القصد القزد. ومن علل الإبدال سكون الصاد إذ لو كانت متحركة لم تبدل[3].

وهناك رأي لبعض اللغويين الذين توسعوا في الإبدال، فلم يشترطوا ذلك الشرط، فهو يقع بين كل حرف وآخر، بغض النظر عن كونها متقاربة المخارج، أو متباعدة. ومن سار على هذا الرأي أبو الطيب اللغوي، نحو (يجوس ويحوس) أي يدوس[4]، فالجيم شجري مجهور، والحاء حلقي مهموس، ومنه حُرِف وجُرِف، إذا ذهب شيء من ماله[5].

إنَّ تعليل الجدل بين اللغويين في اشتراط وقوع الإبدال بتقارب المخارج الصوتية، أو عدمه، أن هناك تقاربا عاما لكل الأصوات الصامتة فهي تنطلق من بداية واحدة، إنَّ الصوامت ((ذات طبيعة مشتركة، ناتجة من أنها جميعا تنشأ من اعتراض طريق الهواء المندفع من الرئتين إلى خارج الفم، . . . يمكن التبادل

(1) شرح المفصل: 10/ 52، المخصص: 13/ 272.

(2) المزهر: 1/ 362.

(3) ينظر: الكتاب: 4/ 478، أمالي القالي: 2/ 113، 114.

(4) ينظر: الإبدال (أبو الطيب): 1/ 205.

(5) ينظر: م. ن: 1/ 209.

بينها))[1]. والتقارب الخاص هو ((الاتحاد أو التقارب في المخرج، وهو مكان اعتراض الهواء بعد خروجه من الرئتين، فهذا المكان هو النقطة التي يتكون عندها الصوت))[2]

وكان الدكتور عبد الصبور قد فتح الباب لي في إمكانية تعليل هذا الخلاف. فالذين لم يشترطوا تقارب أو اتحاد المخارج بين الأصوات لتحقيق الإبدال، ينظرون إليها نظرة شمولية في أنّ كل صوت يمكن أن يحل محل صوت آخر، فنسميه تقاربا عاما.

أما الذين ضيقوا الإبدال في وجوب اتحاد أو تقارب المخرج فهم يريدون تقاربا خاصا في نقطة ولادة الصوت. فالانطلاق الخاص والولادة الواحدة أو النشأة للصوت اللغوي هو سمة للأصوات المنطلقة من هذا المصدر أنه يمكن أن تتبادل فيما بينها فقط.

ولنا وقفة تأمل في قول ابن فارس الذي عدَّ الإبدال ظاهرة تنشأ في المجتمع بصورة قصدية قائلا: ((من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض))[3]، في حين أنَّ الإبدال يحصل نتيجة تطور صوتي يحتاج إلى مدة زمنية، فالقوانين الصوتية تسير بحالة عفوية , ((القوانين الصوتية تسير في صورة عمياء، وبحتمية عمياء))[4]، وهذا التغير غير شعوري، بدليل أنَّ ذلك يفسر لنا استمراره

(1) المنهج الصوتي للبنية العربية: 168.

(2) م . ن .

(3) الصاحبي: 203، المزهر: 1/ 355.

(4) اللغة (فندريس): 71.

لأنَّ الطفل قد يسعى إلى تصحيح خطئه لو أنّه شعر به[1].

واعترض أبو الطيب اللغوي على تعمد الإبدال((ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنّما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة))[2].

إن تغييرات الأصوات أمر طبيعي ما دامت اللغة تحيا وسط المجتمع بل إنها تستمد مقوماتها وحياتها منه. وعليه فإن المجتمع في تغير ونمو فإنّ اللغة كذلك تموت بموت المجتمع، وتحيا بحياته.

ومما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3] فاللام، والراء يتعاقبان، كما تقول العرب فلقَ الصبح وفَرَقَهُ[4]، وذكر أبو عبيدة في قوله سبحانه ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[5]، معناه تصددة. فأخرج الدال الثانية ياء لكسر الدال الأولى[6].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[7] ((تقرأ بالصاد والسين واشمام الزاي، فالحجة لمن قرأ بالسين أنه جاء به على أصل الكلمة، والحجة لمنْ قرأ بالصاد أنّه أبدلها من السين لتؤاخي السين في الهمس والصفير، وتؤاخي الطاء في الإطباق، لأن السين مهموسة والطاء مجهورة))[8]، وفي قوله عزَّ من قال (تَتْرَا)[1]

---

(1) م . ن: 64، 65، 82، 83.

(2) المزهر: 1/ 356.

(3) سورة الشعراء: 63.

(4) الصاحبي: 204، الإتقان: 2/ 239.

(5) سورة الأنفال: 35.

(6) البرهان: 3/ 389

(7) سورة الفاتحة: 6.

(8) الحجة في القراءات السبع: 62.

تقرأ بالتنوين بوصفها ((مصدرا من قولك وترا يترا وترا ثم أبدل من الواو تاء كما أبدلوها في تراث))[2]، وقرأ الاعشى عن أبي بكر((فما اصطاعوا)) في ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ ﴾ [3] وهي قراءة الجمهور بحذف التاء تخفيفا لقربها من الطاء. وقراءة أبي بكر جاءت بالإبدال من السين صادا لأجل الطاء[4]. وفي ﴿ٱلنَّسِيٓءُ ﴾[5] قرأ((ورش من طريق الأزرق، وكذا أبو جعفر بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء قبلها فيها، والباقون بالهمز))[6]، والتاء تبدل في الوقف هاء[7]، نحو قوله سبحانه﴿ رَحْمَةً ﴾[8] و﴿ نِعْمَةَ ﴾[9] ومواضع الإبدال في القراءات كثيرة[10].

(1) سورة المؤمنون: 44.

(2) الحجة في القراءات السبع: 257.

(3) سورة الكهف: 97.

(4) البحر المحيط: 5/ 446.

(5) سورة التوبة: 37.

(6)اتحاف فضلاء البشر: 81 .

(7) م . ن: 123.

(8) سورة البقرة: 157، 178، آل عمران: 8، 107، وغيرها.

(9) سورة البقرة: 211، آل عمران: 103، المائدة: 7، وغيرها.

(10) ينظر مثلا: التيسير في القراءات السبع: 34، 37، 74، 173، 180 ـ 182، 203ـ 226، اتحاف فضلاء البشر: 33، 57، 72، 76، 85، 91، 123، 168.

المبحث الثالث

الإدغــام

للإدغام صلة بالظواهر الصوتية التي يظهر فيها الانسجام الصوتي، أعني بها: المماثلة والإبدال والإتباع والإمالة. والصلة جاءت من تقريب صوت من صوت بسبب المجاورة، كما عبر عنه ابن جني[1].

والإدغام ((بالتشديد من ألفاظ البصريين والإدغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين))[2]، والتشابه أو المماثلة عند المحدثين[3]، لأن ((شرط تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أن تكون متشابهة في المخرج أو الصفة))[4].

وخصص سيبويه للإدغام أكثر من باب لاتساع موضوعه، فقد عالجه في باب إدغام الحرفين المثلين سماه ((هذا باب الإدغام في الحرفين المثلين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه))[5]، وفي باب آخر عالج إدغام الحرفين المتقاربين أطلق عليه ((هذا باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد))[6]، والباب الآخر سماه ((هذا باب الإدغام في حروف اللسان والثنايا))[7].

---

(1) ينظر: الخصائص: 2/ 139 ـ 140.

(2) شرح المفصل: 10/ 121.

(3) ينظر: التطور النحوي: 29.

(4) في اللهجات العربية: 62.

(5) الكتاب: 4/ 437.

(6) م. ن: 4/ 445.

(7) م.ن: 4/ 410.

ظهر الإدغام في مناطق واسعة عند العرب[1] لأنه أحد أبرز سمات الانسجام الصوتي الذي اهتم به العرب، وهو يحقق السهولة الصوتية[2]، أو لأن غايته الخفة[3]، والعرب تميل إلى الخفة، ((لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك على ألسنتهم))[4].

وقد بالغ أبو عمرو في وصفه إياه حين قال: ((الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها، ولا يحسنون غيره))[5] فالظاهر أنّ الإدغام كان يوازي الإظهار من كلامه. على حين أنَّ الإظهار أصل، والإدغام إجازة صوتية بقصد التخفيف.

فالإدغام لغة: دغم الغيث الأرض يدغمها وأدغمها إذا غشيها وقهرها، وهو إدخال حرف في حرف، وأدغم الفرس اللجام أدخله في فيه، قال الأزهري: وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا[6]، ومعنى هذا أنّ المعنى الاصطلاحي مأخوذ من المعنى اللغوي فهو: ((فناء الصوت الأول في الثاني))[7].

ويبدو لي أنَّ تعميم لفظة (فناء) على الإدغام بأنواعها كلها مسألة فيها نظر فلو أخذنا مثالا على إدغام المثلين (قَطْطَعَ) والإدغام يكون (قَطَّعَ) فإن الطاء الساكنة الأولى لم تُفنَ إنما ازدوجت مع الطاء الثانية فكوّنت لنا((صامتا

(1) اللهجات العربية في التراث: 1/ 313.

(2) النشر في القراءات العشر (ابن الجزري): 1/ 257.

(3) الإدغام الكبير (الداني): 40.

(4) المزهر: 1/ 153.

(5) النشر: 1/ 275.

(6) لسان العرب: (دغم)

(7) الأصوات اللغوية: 187.

طويلا))[1] (طّ) فلولا وجود (الطاء الساكنة) لم يحصل ذلك مع القوة بالمقارنة مع عدم الإدغام، ومن ثم اختصار زمن النطق ـ في الثانية ـ أو إدغام السين في الزاي(إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ)[2] فإن السين المهموسة لم تفنَ بل خفت صوتها بمجاورة الزاي المجهورة ذات الصفير القوي. وذهب بعض المحدثين إلى رفض الإدغام للمثلين، ((فهو ليس في رأينا إدغاما، ولكنه تضعيف محض))[3].

والراجح ما قاله الرضي في تعريفه للإدغام إنه إيصال حرف بحرف ((وليس إدغام الحرف في الحرف إدخاله فيه على الحقيقة، بل هو إيصاله من غير أن يفك بينهما))[4] وكذلك أبو عمرو الداني في حده إياه أنه ((وصلك حرفا ساكنا بحرف آخر متحرك من غير أن يُفصل بينهما بحركة أو وقف))[5]، وهو يقصد هنا الادغام الصغير.

إذن الصوت في التقريب بينه وبين صوت آخر قوي لا يفنى تماما بل تكون له بقية أو يحصل له تطويل بسبب التعويض الموقعي. وبناءً على ذلك استطيع تعريف الإدغام بأنه تأثر صوت ساكن بتأثير صوت متحرك فيلتقيان في مجموعة صوتية، فيحدث فيه تأثير الصوت الأقوى في الصوت الأضعف، تأثراً تاماً أو ناقصاً.

وهناك أساسيات للإدغام ينبغي أن تكون حاضرة في ذهنه وهي التماثل والتجانس والتقارب الصوتي. فالأول هو ((أن يتفقا مخرجا وصفة كالباء في الباء

(1) المنهج الصوتي: 207، التفكير الصوتي عند الخليل (حلمي خليل): 86.
(2) التكوير: 7.
(3) علم الأصوات (مالمبرج): 147.
(4) شرح الشافية: 3/ 235.
(5) الإدغام الكبير: 40.

والتاء في التاء وسائر المتماثلين))[1]، والتجانس هو ((أن يتفقا مخرجا ويختلفا صفة كالذال في الثاء والثاء في الظاء والتاء في الدال))[2]، والتقارب ((أن يتقاربا مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة))[3].

ذكر الداني الحروف التي يحدث فيها الإدغام أو يضعف، ((أنّ أصل الإدغام إنما هو حروف الفم واللسان لكثرتها في الكلام وقرب تناولها، ويضعف في حروف الحلق وحروف الشفتين لقلتها وبعد تناولها))[4]، والإدغام نادر بين أصوات الحلق لأنها ليست بأصل للإدغام[5]

إدغام المتماثلين:

يعتمد هذا التقسيم للإدغام على أساس قرب الأصوات بعضها من بعض. والإدغام الحاصل بين المتماثلين يكون بسكون الأول، وهو الإدغام الصغير الذي هو أكثر شيوعا في اللغة. أو بحركة الأول، وهو الإدغام الكبير عند القراء وكَثر في قراءة أبي عمرو بن العلاء، والغاية تخفيف النطق.

فالتماثل (المثلان): هو الاتفاق في المخرج والصفة في الأصوات، فمثال سكون الأول وتحرك الثاني في الذال، نحو قوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾[6]،

(1) النشر: 1/ 278.

(2) م.ن.

(3) م .ن.

(4) الإدغام الكبير: 41، الكتاب، 4/ 449، 450، 462.

(5) الكتاب، 4/ 451، الأصوات اللغوية: 7 18.

(6) سورة الأنبياء: 87.

وفي البـاء ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾[1]. ويحـصل بتحـرك الحـرف الأول والثاني نحو قوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾[2]، و ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[3]. وقد يكون المتماثلان في كلمة واحدة مع حركة الأول، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ ﴾[4]، والإدغام هنا جائز أي (مناسكم)[5]، و ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾[6]، وعلـل الـداني هـذا الإدغـام بتحـرك الحـرف قبـل المـثلين ((لوجـود الخفـة في الإدغـام مـع كثـرة تـوالي الحركـات فيهمـا))[7]، وفـضّل سـيبويه ذلـك الإدغـام بتـوالي الحركـات((وكلمـا توالـت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن))[8].

وكان مذهب أبي عمرو: إذا التقى الحرفان وهما مـن كلمـتين علـى مثـال واحد، متحركين أسكن الأول وأدغمه في الثاني. ولا يبالي أكـان مـا قبـل الأول ساكنا أم متحركا إلا في أربعة مواضع لم يكن يدغم الأول في الثاني:

1. إن كـان مـشددا نحـو ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾[9] و﴿ بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ ﴾[10]، وعلـة عـدم الإدغام هو تضعيف الحرف، فلو أدغم لأخل به لتعذر حرفين في حرف.

---

(1) سورة الأعراف: 160.

(2) سورة البقرة: 20.

(3) سورة البقرة: 30.

(4) سورة البقرة: 200.

(5) إعراب القرآن (النحاس): 1/ 297.

(6) سورة المدثر: 42.

(7) الإدغام الكبير: 44.

(8) الكتاب: 4/ 437.

(9) سورة النساء: 24.

(10) سورة الأنعام: 30.

2. إذا لحقه تنوين، نحو﴿ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[1]، و﴿ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[2] لوجود الفاصل بين الحرفين بالتنوين.

3. إذا وجد التاء الطويلة، نحو ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ﴾[3]، ﴿ كُنتُ تُرَابًا ﴾[4]، لعلة التاء في قلتها وفي اسميتها وهي على حرف واحد.

4. إذا كان معتلا ﴿ يَكُ كَٰذِبًا ﴾[5] و ﴿ كِدتَّ تَرْكَنُ ﴾[6] لعلتين: الإدغام بسبب الخلل له، وإنّ الإعلال قد حقق الخفة بديلاً عن الإدغام فلا ضرورة للإدغام[7].

إدغام المتجانسين:

هو ((أن يتفقا مخرجا ويختلفا صفة كالذال في الثاء، والثاء في الظاء، والتاء في الدال))[8]، ونلاحظ أنّ الإدغام المتجانس لم يظهر عند المتقدمين بل ظهر المثلان والمتقاربان، والثاني يؤدي دور المتجانسين والمتقاربين[9]، إلا أنّ ابن الجزري نظر إلى هذه الأنواع من باب التوسع في شروط الإدغام وجعله في

---

(1) سورة آل عمران: 192، 193.

(2) سورة يوسف: 31.

(3) سورة يوسف: 99.

(4) سورة النبأ: 40.

(5) سورة فاطر: 28.

(6) سورة الإسراء: 74.

(7) الإدغام الكبير: 44 ـ 45، السبعة: 116 ـ 117.

(8) النشر: 1/ 278، الدراسات الصوتية: 396.

(9) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (غانم قدوري): 397.

((التماثـل والتجـانس والتقـارب والتـشارك والتلاصـق والتكـافؤ))[1]، وأكثـر العلماء جعلوا الإدغام في تماثل الحروف وتقاربها[2].

ومثال المتجانس ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[3]، نجد أن التـاء الـساكنة في(آمَنَت) قد أدغمت في الطاء المتحركة، ونطق بهمـا حرفـا واحـدا مـشددا مـن جنس الثاني فينطـق (فآمنطّائفـة)، لأنهمـا تجانـسا، أي اتحـدا مخرجـا فهمـا مـن الأصوات الأسنانية اللثوية، واختلفا في الصفة فالتاء من الأصوات المرققة والطاء من الأصوات المطبقة المفخمة لذا أثر الطـاء في التـاء وانتـزع منـه بعـض صـفته، ومنه(عَبَدْتُ) أدغمت الدال في التاء، فاتحدا في المخرج الأسناني اللثوي، واختلفا في الصفة، فالدال مجهور، والتاء مهموس.

إدغام المتقاربين:

هو أن ((يتقاربا مخرجا أو صفة، أو مخرجا وصـفة))[4]، وإدغـام المتقـاربين يمر بمرحلتين أن يندمج الأول إلى لفظ الثاني، ومن ثم يحصل الإدغام[5]، وجمالـه يحصل في الحروف المتقاربة المخارج[6].

الذي يحصل في هذا النـوع مـن الإدغـام أنّ تجـاور الأصـوات المتحـدة أو المتقاربة المخارج تسبب ثقـلا في النطـق فيـدغم الأول في الثـاني لـسهولة عمليـة

(1) النشر: 1/ 278.

(2) م . ن .

(3) سورة الصف: 14.

(4) النشر: 1/ 287.

(5) ينظر: الإدغام الكبير: 41.

(6) ينظر: الكتاب: 4/ 445، الكشف: 1/ 135.

النطق لذلك ((كلما تباعدت المخارج ازداد حسنا))[1]، نحو ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2] أدغمت اللام في الراء فأصبح (وقُرَّبٌ زدني علما) فاللام أسناني لثوي والراء لثوي فيحصل ثقل عند النطق به قبل الإدغام وبعده تحصل الخفة في النطق، ومثل ﴿وَمَن لَّمْ﴾[3] إدغام النون في اللام بلا غُنَّة، وكذلك الراء ﴿أَن رَّأَى﴾[4]، فالنون مع اللام اتحاد مخرج من الأسناني اللثوي، والراء لثوي، فالتقارب المخرجي ثقل والبعد خفة.

الإدغام الصغير والكبير:

ينقسم الإدغام عند القراء على قسمين:

صغير وكبير، فالصغير هو الذي يكون الأول منهما ساكنا[5] فيتجاور الصوتان، دون فاصل، وهو الذي شاع في معظم اللغات، لأن شرط تأثر صوت بآخر هو التقاؤهما التقاءً مباشرا، ويعزى كذلك سبب انتشاره لعدم وجود التعقيد كما في الكبير[6]. وأطلق ابن جني على الإدغام الصغير بالإدغام الأكبر[7]، بل هو الإدغام حقيقة[8].

---

(1) الكتاب: 4/ 446.

(2) سورة طه: 114.

(3) سورة المائدة: 44.

(4) سورة يوسف: 24.

(5) ينظر: النشر: 1/ 274.

(6) ينظر: في اللهجات العربية: 62 ـ 63.

(7) ينظر: الخصائص: 2/ 139 ـ 140.

(8) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 341.

والقسم الثاني: الإدغام الكبير، هو ما كان الأول متحركا، سواء أكان مثلين أم جنسين أم متقاربين[1]، ويفصل فيه بين الصوتين حركة(صائت قصير)، و نسب هذا النوع من الإدغام إلى أبي عمرو بن العلاء، وبها قرأ شيخه الحسن البصري وابن محيصن والأعمش وطلحة. ويتطلب عمليات صوتية معقدة قبل أن يتحقق[2].

واختُلف في سبب التسمية فمنهم من علل ((كثرة وقوعه إذ الحركة أكثر من السكون. وقيل لتأثيره في إسكان المتحرك قبل إدغامه. وقيل لما فيه من الصعوبة. وقيل لشموله نوعي المثلين والجنسين المتقاربين))[3] على أن سبب وجوده طلب التخفيف[4]. وأفرد الداني باباً سماه (باب ذكر بيان مذهب أبي عمرو في الإدغام الكبير)[5].

أود أن أؤكد حقيقتين هنا بالنسبة للقراء:

- الأولى: لما كانت القراءة تعتمد على النقل والرواية عن الأئمة، كان كل قارئ يقرأ كما أخذ عن شيوخه.
- الثانية: أنَّ القارئ قد يقرأ بهذه الظاهرة مخالفا بيئته اللغوية، فمثلا قراءة أبي عمرو بن العلاء اتصفت بتخفيف الهمز أو حذفها وهو بصري وبيئة البصرة تميمية تميل إلى تحقيق الهمز. أما ابن كثير قارئ مكة فكان

(1) النشر: 1/ 274.

(2) ينظر: أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو (زهير زاهد): 80، في اللهجات: 62- 63.

(3) النشر: 1/ 247- 275.

(4) م . ن: 1/ 275.

(5) التيسير في القراءات السبع: 19 . كما أفرد كتابا عنوانه (الإدغام الكبير)، وهو مطبوع.

تحقيق الهمز في قراءته، وبيئته كانت تميل إلى تخفيف الهمز، فالقارئ لا يمثل بيئته اللغوية في قراءته وإنما يؤدي ما أخذه عن شيوخه.

أما مذاهب القرّاء في ظاهرة الإدغام فكانت تختلف فمنهم من تكثر ظاهرة الإدغام في قراءته، بل قرأ بالإدغام الكبير أيضا كأبي عمرو بن العلاء[1]، والكسائي وحمزة وابن عامر، وهم قراء البيئة الكوفية والشامية[2] ومنهم من كان لا يكاد يدغم إلا ما كان إظهاره خروجا من كلام العرب، بحروف يسيرة مثل نافع وابن كثير وعاصم من السبعة[3]، ((ويعقوب وهم قراء البيئة الحجازية سوى عاصم ويعقوب فمن الكوفة والبصرة))[4] والإظهار لهجة الحجازيين، والإدغام لهجة تميم[5].

(1) ينظر: السبعة في القراءات: 116

(2) اللهجات العربية في القراءات القرآنية (عبده الراجي): 156.

(3) ينظر: السبعة في القراءات: 113، 115.

(4) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 156 .

(5) م. ن: 157.

المبحث الرابع

الأصوات الأنفية وأحكامها

من الصفات الخاصة للأصوات ما سماه العلماء العرب: الذلاقة. فالذلاقة يدخل فيها نوعان من الأصوات:

- أحدهما: شفوية وهي أصوات الفاء والميم والباء، ومخرجها الشفة.
- والآخر ذلقي: وهي أصوات الراء والنون واللام، أي تخرج من طرف اللسان، وقد سمي النوعان بالذلقية على التغليب [1]، وكان الخليل يرى أنه ليس((من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحدا أو إثنان أو أكثر)) [2].

وقد أيد المحدثون في تطبيقاتهم شيوع حروف مثل النون والميم واللام شيوعا واسعا في العربية، فقد لوحظ أنّ عدد النونات والميمات في السور العشر الأولى من القرآن الكريم يزيد كل منها عن عشرة آلاف [3]. وقد قام الدكتور إبراهيم أنيس بإحصاء رياضي لنسب شيوع حروف اللام والميم والنون، فكانت النتيجة أنّ نسبة شيوع اللام (127) مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة، والميم (124) مرة، والنون(112) مرة، في حين أن الظاء يتكرر ثلاث مرات في كل ألف من الأصوات [4].

---

(1) ينظر: كتاب العين: 1/ 51، الجمهرة (ابن دريد): 1/ 7.

(2) كتاب العين: 1/ 52.

(3) ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 342، في البحث الصوتي عند العرب: 54.

(4) ينظر: الأصوات اللغوية: 243.

وسيكون حديثي في أصوات أعطيت صفة الغُنَّة وهي من الذلقية:

الغُنّـَة:

هي صفة اختصت بالنون والميم، لأن فيهما غُنَّة((من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون وكذلك الميم))[1]، والغُنَّة: صوت في الخيشوم، والأغنُّ الذي يتكلم من قبل خياشيمه، أو صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم تكون من نفس الأنف[2]، أو أن يشرب الحرف صوت الخيشوم، والخنة أشد منها[3].

والميم مؤاخية النون للغُنَّة في أن كلاً منهما تخرج من الخيشوم، وأنهما مجهورتان، ولذلك أبدلت العرب إحداهما من الأخرى، فقالوا: غين وغيم. وقالوا في الغاية: الندى والمدى[4]. وقد عرّف بعض المحدثين الغُنَّة بأنها: ((إطالة في النون والميم))[5]، ومما سماه القدماء بإخفاء الميم والنون وهو في الحقيقة إطالة لهذين الصوتين، رغبة في الإبقاء عليهما[6].

وهنالك علاقة بين أصوات المد واللين وأصوات الغُنَّة تتمثل في أنّ((الأنفيات تمتلك تركيبا حزميا مماثلا لذلك الذي تملكه العلل، نتيجة الممر الحر للصوت خلال الأنف، وإن كانت الحزم مع الأنفيات أضعف لوجود الغلق

(1) الكتاب: 4/ 435.

(2) لسان العرب (غنن)، مختار الصحاح (غنن).

(3) التمهيد في علم التجويد: 165.

(4) م. ن: 115.

(5) الأصوات اللغوية: 156.

(6) م . ن.

في الفم))[1]، أو تسمى الأصوات الأنفية أصوات شبه علّة في صحبة ذبذبات أو نغمات من الأوتار الصوتية[2].

والنون والميم تمران بمرحلتين في الغُنَّة هما: ((قفل المجرى في نقطة وتسريح الهواء من الأنف))[3] فالحروف التي تتصف بهذه الصفة يصحبها حبس تام للهواء، ثم تسريبه عن طريق الأنف.

النون:

صوت أسناني لثوي أنفي، ولها وظيفة مستقلة في البناء الصوتي للكلمة، وهي من أكثر الأصوات قابلية للتغيير في الأداء النطقي[4]. واكتسبت هذه الأصوات الأنفية كثرة الورود والاستعمال بسبب شبهها بالحركات من حيث قوة الوضوح السمعي[5].

ويعرض للنون من الظواهر اللغوية ما لا يشركها فيه غيرها لسرعة تأثرها بما يجاورها من أصوات، وحينما تكون مشكّلة بالسكون تتأثر بما يجاورها من أصوات اتصالا مباشرا بما بعدها. وقد خصت كتب القراءات (النون) بالبحث الخاص، وأفردت لها فصولا درست فيها أحكام النون من إظهار وإخفاء وإدغام وقلب[6]. ((والتنوين بمنزلة النون لأنها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير

(1) دراسة الصوت اللغوي: 95.

(2) ينظر: م. ن: 100 ـ 101.

(3) م . ن: 276.

(4) علم الأصوات (كمال بشر): 348 ـ 349.

(5) م. ن: 366.

(6) الأصوات اللغوية: 67.

فأجروها مجراها))[1].

فالاتجاه الغالب في دراسة الظواهر الصوتية بالنون أنهم قسموها على أربعة أقسام، وبعضهم زاد فجعلها خمسة من علماء التجويد، فمع الإظهار والقلب والإخفاء، إدغام كامل بلا غُنَّة في الراء واللام، وإدغام ناقص لبقاء الغُنَّة مع بقية حروف الإدغام[2]. ومن يجعل الأحكام ستة يجعل الإدغام ثلاثة أقسام: إدغام في الراء واللام، وفي النون والميم، وفي الياء والواو[3].

أما أحكام النون الساكنة والتنوين فهي:

أولاً: الإظهار:

هو أن يكون مخرج النون الساكنة والتنوين مع حروف الحلق من الفم[4]. ويظهر إذا جاء بعدهما أحد حروف الحلق الستة وهي: (الهمزة والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، نحو قوله سبحانه: ﴿وَيَنْءَوْنَ﴾[5]، و﴿يَنْهَوْنَ﴾[6]، و﴿أَنْعَمْتَ﴾[7]، و﴿تَنْحِتُونَ﴾[8]، و﴿مِّنْ غِلٍّ﴾[9]، و﴿يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾[10].

(1) كتاب سيبويه: 1/ 18.
(2) ينظر: التمهيد في علم التجويد: 165 فما بعدها.
(3) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: 427.
(4) ينظر: كتاب سيبويه: 4/ 254.
(5) سورة الأنعام: 6.
(6) سورة آل عمران: 104.
(7) سورة الفاتحة: 7.
(8) سورة الأعراف: 74.
(9) سورة الأعراف: 43.
(10) سورة الغاشية: 2.

والعلة في إظهارهما مع حروف الحلق الستة بعد مخرجهما عن مخارج تلك الحروف، لذلك وجب الإظهار وامتنع الإدغام[1]، ولبعد الصفة بين النون وهذه الأصوات[2] واختلف القراء في حكم النون حين تجاور الغين والخاء بين الإظهار والإخفاء، لأنَّ مخرج هذين الحرفين هو أدنى الحلق إلى الفم، فمن نظر إليهما على أنهما أقرب إلى أصوات الفم أخفى النون معهما، ومن نظر إليهما على أنهما من أصوات الحلق أظهرها[3].

ومن المحدثين من قد خطأ القدماء بإطلاق صفة(الحلق) على تلك الحروف، لأنَّ الحلق هو محبس اثنين هما الحاء، والعين، أما الهمزة والهاء فهما من الحنجرة، وأما الخاء والغين فهما من أقصى الحنك الأعلى، وإنّ سبب الإظهار وعدم الإخفاء هو تعذر إحداث صوت من الحنجرة أو الحلق مع إخراج الهواء من الأنف بدل الفم[4]. وعلى من ذهب بإخفاء النون مع الخاء والغين جاءت قراءة من قرأ: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾[5]، و﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾[6] بالإخفاء[7].

ثانياً: الإدغام

تدغم النون مع خمسة أحرف: الراء واللام والياء والواو والميم[8]. مع

---

(1) ينظر: كتاب سيبويه: 4/ 454.

(2) الأصوات اللغوية: 68.

(3) الأصوات اللغوية: 69، المحيط في أصوات العربية: 1/ 135.

(4) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها (محمد الأنطاكي): 1/ 135.

(5) سورة الإسراء: 51.

(6) سورة المائدة: 3.

(7) إتحاف فضلاء البشر: 46.

(8) ينظر: كتاب سيبويه: 4/ 452ـ 453، وأصوات النون والميم والراء واللام تسمى الأصوات المائعة وهي شبيهة بأصوات اللين لوضوحها في السمع، (في البحث الصوتي عند العرب): 53.

إضافة النون لها للتماثل الصوتي من حيث المخرج أو الصفة. يحصل التأثر مع هذه الأصوات ويكون على قسمين: كاملا بلا غُنَّة وناقصا بغُنَّة.

واختلف النحاة في مسألة الاحتفاظ بالغُنَّة في حالة إدغام النون في الراء واللام والواو والياء، فذهب بعضهم إلى أنّ إدغام النون في اللام والراء إدغام تام بغير غُنَّة، بخلاف إدغامها

في الواو والياء والميم والنون، فهو إدغام غير تام بوجود الغُنَّة[1]. فمثال الإدغام الكامل بغير

غُنَّة قوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾[2]: ﴿وَمَن لَّمْ﴾[3]، وعلة ذلك أنَّ إدغام النون مع الراء

واللام هو لقرب المخرجين، لأنّهنَّ من حروف طرف اللسان، فيحسن الإدغام بذلك[4].

ومثال الإدغام الناقص بغُنَّة كقوله تعالى: ﴿مِن وَالٍ﴾[5]، و ﴿وَمَن يَقُلْ﴾[6]، و﴿مِن مَّآءٍ﴾[7] و﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾[8] ((وعلة الإدغام في النون اجتماع المثلين والأول ساكن. وفي الواو والياء أنَّ الغُنَّة التي فيها أشبهت المد واللين اللذيْن

(1) ينظر: دروس في علم الأصوات العربية: 61.

(2) سورة طه: 49.

(3) سورة الحجرات: 11.

(4) ينظر: كتاب سيبويه: 4/ 452، التمهيد في علم التجويد: 166 ـ 167.

(5) سورة الرعد: 11.

(6) سورة الأنبياء: 29.

(7) سورة البقرة: 164، إبراهيم 16، وغيرها.

(8) سورة النحل: 53، الليل: 19.

فيهما فحسن الإدغام لهذه المشابهة، وعلة الإدغام في الميم الاشتراك في الغُنَّة، فتقاربا بهذا، فحسن الإدغام))[1].

فالنون في الإدغام الناقص لم تُفنَ فناءً تاما في الحرف الذي أدغمت فيه، بل احتفظت بصفتها الأنفية (الغُنَّة).

ثالثاً: الاقلاب

ومعناه: إذا أتى بعد النون الساكنة والتنوين باء ((تقلب النون مع الباء ميما))[2] من غير إدغام، وبوجود الغُنَّة، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾[3]، و﴿أَنبِئْهُم﴾[4]، و﴿ظُلُمَٰتٌ بَعْضُهَا﴾[5]. وعلَّةُ ذلكَ أنَّ الميمَ تُشابه النون في الغُنَّة، والجهر، والمخرج الصوتي، فلما وقعت النون قبل الباء، ولم يمكن إدغامها فيها لبعد المخرجين، وأنَّها ليست فيها غُنَّة، أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم[6]. ليخففِ النطق[7]. فإنَّ هذا التأثر في المجاورة بين النون والباء أنتج لنا الميم بتأثير الباء، فهو يسمى قلبا أو إبدالا، ومنهم من سماه إخفاء للنون[8].

---

(1) التمهيد في علم التجويد: 167.

(2) كتاب سيبويه: 4/ 453.

(3) النمل: 8.

(4) سورة البقرة: 33.

(5) سورة النور: 40.

(6) كتاب سيبويه: 4/ 453.

(7) إبراز المعاني: 1/ 202.

(8) هذا الرأي للفراء (الإقناع في القراءات السبع (أبو جعفر الأنصاري (ابن الباذش)): 1/ 258.

رابعاً: الإخفاء

لغة هو الستر[1]، واصطلاحا هو النطق بصفة بين الإظهار والإدغام عاريا عن التشديد مع بقاء الغُنَّة في الحرف المخفي[2].

وتخفى النون الساكنة والتنوين عند باقي الحروف وهي خمسة عشرة حرفا وهي: (ق، ك، ج، ش، س، ص، ز، ض، د، ت، ، ط، ذ، ث، ظ، ف). وتكون ((النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيفا مخرجه من الخياشيم، وذلك أنها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة))[3].

فتخفى النون مع القاف، نحو قوله سبحانه: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[4]، ومع الكاف ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾[5]، ومع الجيم ﴿حُبًّا جَمًّا﴾[6]، ومع الشين ﴿وَلَئِن شِئْنَا﴾[7]، ومع الضاد ﴿وَمَن ضَلَّ﴾[8]، ومع الصاد ﴿صَفًّا صَفًّا﴾[9] ومع السين

---

(1) العين: 7/ 405.

(2) الكتاب: 4/ 454.

(3) الكتاب: 4/ 454.

(4) سورة السجدة: 17.

(5) سورة البقرة: 98.

(6) سورة الفجر: 20.

(7) سورة الإسراء: 86.

(8) سورة يونس: 108.

(9) سورة الفجر: 22.

﴿ مِن سُوٓءٍ ﴾[1]، ومــع الــزاي ﴿ مِّن زَوَالٍ ﴾[2]، ومــع الطــاء ﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[3]، ومع الدال ﴿ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ ﴾[4]، ومـع التـاء ﴿ أَن تَبَوَّءَا ﴾[5]، ومـع الظاء ﴿ مِّنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[6]، ومـع الـذال ﴿ مِّن ذِكْرِى ﴾[7]، ومـع الثـاء ﴿ مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ﴾[8]، ومع الفاء ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ ﴾[9].

وعلة هذا أنَّ النون صار لها مخرجان: مخرج لها، ومخرج لغنتها، فاتسعت في المخرج فأحاطت عند اتساعها بحروف الفم، فشاركتها بالإحاطة فخفيت عنـدها. وإن إخفاءهما على قدر قرب الحروف وبعدهما. فما قـرب منهمـا كـان أخفـى عندهما مما بعد عنهما[10] لذلك خفيت مع حروف الفم لقربها منها وبانـت مـع حروف الحلق لبعدها منها[11].

وقد وصف المحدثون ظاهرة الإخفاء، بأنهـا ((محاولـة الإبقـاء علـى النـون

(1) سورة آل عمران: 30.

(2) سورة إبراهيم: 44.

(3) سورة البقرة: 184.

(4) سورة فصلت: 49.

(5) سورة يونس: 87.

(6) سورة سبأ: 22

(7) سورة ص: 8.

(8) سورة البقرة: 25.

(9) سورة الأنبياء: 59.

(10) ينظر: التمهيد في علم التجويد: 171.

(11) لسان العرب: (نون).

وذلك بإطالتها مما أدى إلى ما نسميه بالغُنَّة))[1]، وإنها إطالة وميل إلى مخرج الصوت الذي بعدها[2].

أحكام الميم الساكنة:

الميم يشترك مع النون في صفة الغُنَّة كما سبق القول وهي صفة تلازمها تحركا أو سكنا ظاهرتين، أو مخففتين، أو مدغمتين، وهي في الساكن أكمل من المتحرك، وفي المخفي أزيد من المظهر، وفي المدغم أوفى من المخفي، والميم ((صوت شفوي أنفي مجهور))[3] وهو راجع إلى ((الخياشيم بما فيها من الغُنَّة، فلذلك تسمعها كالنون؛ لأن النون المتحركة مشربة غُنَّة، والغُنَّة من الخياشيم، والنون الخفيفة خالصة من الخياشيم، وإنما سميتا باسم واحد لاشتباه الصوتين، وإلا فإنهما ليسا من مخرج واحد))[4].

وموضوعنا الميم الساكنة التي تتأثر تأثرا بسيطا بمن جاورها، ويترتب عليه ثلاثة أحكام وهي: الإخفاء، والإدغام، والإظهار.

1. الإخفاء:

تعزى قلة تأثر الميم الساكنة مع غيرها من الأصوات إلى قلة الأصوات الشفوية التي تنتمي إليه الميم، وبعد تناوله، كما عبر عن ذلك سيبويه والداني[5] ويحصل الإخفاء عند التقاء الميم (بالباء) فقط، لانطباق الشفتين عليها كانطباقهما

(1) الأصوات اللغوية: 71.

(2) م . ن، دراسة الصوت اللغوي: 334.

(3) علم اللغة العام (الأصوات): 130.

(4) المقتضب: 1/ 194.

(5) ينظر: الكتاب: 4/ 448 ـ 450، الإدغام الكبير: 41.

على أحدهما[1] وعزى آخرون للغُنَّة التي فيه[2]. والظاهر أنَّ المسألةَ في الإخفاء الشفوي تعود إلى تأثر الميم الساكنةِ بالباء التي تحمل الحركة نحو ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[3]، ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾[4]، ففي النص القرآني الأول نجد الميم في(أنتُم) قد خفت صوته بمجاورة الباء في (بِـهِ) ، فـنلاحظ بـروز البـاء لمـرتين: الأولى لسكون الميم، وحركة الباء، والثانية: لشدته وانفجاره. على الرغم مـن أنَّ الصوتين مجهوران ولكن الغلبة كانت للباء فتمدد دويّه على حساب الميم. أمـا في النص القرآني الثاني ينطبق الشيء نفسه على (هُم بَارِزُونَ)، ولكن يقابـل الـضد في (يَوْمَ هُم) فالميم ظهر صوته لكونه مجهورا وجاور المهموس(الهاء). على تـأثير الأقوى في الأضعف.

ويسمى اخفاءً شفويا لخروج الميم والباء من الشفتين، أي أنهما اشـتركا في المخرج، وتجانسا في بعض الصفات، فثقل الإظهار المحض والإدغام المحض فعـدل إلى الإخفاء[5]، وهذا مذهب مجاهد وأبي عمـرو الـداني، ومـنهم مـن ذهـب إلى إظهار الميم الساكنة عند الباء على خلاف بينهم في بقاء الغُنَّة أو عـدمها، ومـنهم مكي بن أبي طالب[6].

وبالجملة ((إن الميم والباء يخرجان بانطباق الشفتين، والباء أدخـل وأقـوى

(1) ينظر: أحكام الميم الساكنة، بحث منشور عن طريق الأنترنيت: www.al-eman.com.

(2) م . ن: 168.

(3) سورة المائدة: 88.

(4) سورة غافر: 16.

(5) أحكام الميم الساكنة، www.al-eman.com

(6) م.ن.

انطباقا. . . . . فتلفظ بالميم (أن بُورِكَ) بغُنَّة ظاهرة وبتقليل انطباق الشفتين جدا، ثم تلفظ بالباء قبل فتح الشفتين بتقوية انطباقهما وتجعل المنطبق من الشفتين في الباء أدخل من المنطبق في الميم))[1] .

2. الإدغام:

يكون الإدغام على سبيل الوجوب إذا وقع بعد الميم الساكنة ميم متحركة، فتدغمان وتصيران ميما واحدة مشددة، مع وجود الغُنَّة[2]، ويكون الحكم حينئذ حكم الأصوات المتماثلة، نحو﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾[3]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[4]، ﴿ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾[5].

3. الإظهار:

الإظهار يعني أن يقع بعد الميم الساكنة أي حرف من حروف الهجاء عدا أحرف الباء والميم، من غير غُنَّة[6]. وسبب الإظهار يعود إلى ((حرفين تباعدا إما في المخرج أو في الخاصية، والأول منهما ساكن))[7] نحو ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

(1) الدراسات الصوتية: 465.

(2) أحكام الميم الساكنة: www.al-eman.com.

(3) سورة المائدة: 9.

(4) سورة البقرة: 29.

(5) سورة البقرة: 134.

(6) النشر: 1/ 222، 2/ 26

(7) الدراسات الصوتية: 461.

ﵟتُرۡجَعُونَﵞ[1] و ﵟسِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُﵞ[2] و ﵟبُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَاﵞ[3]، ففي الآية الكريمة الأولى حصل التباعد بين الميم والثاء، فالميم صوت مجهور شفوي والثاء مهموس أسناني، وفي الشاهد القرآني الثاني بين الميم والزاي، فالأخير مجهور لثوي، والشاهد الثالث بين الميم والهاء، فالهاء حنجري مهموس.

(1) سورة البقرة: 28.

(2) سورة ص: 63.

(3) سورة الأنبياء: 24.

الفصل الثاني

الانسجام الصوتي في بنية الكلمة

الفصل الثاني

الانسجام الصوتي في بنية الكلمة

المبحث الأول: الانسجام الصوتي في الأسماء

أولاً: الانسجام الصوتي بالفتحة

1. فَعَلَ
2. فَعَالى
3. فَعَلات
4. فَعَال. فعّال. فعّالة
4. مَفعَل
5. مَفْعَلة

ثانياً: الانسجام الصوتي بالكسرة

1. فِعِل
2. فِعِيل
3. فِعِلات
4. مِفْعِل

ثالثاً: الانسجام الصوتي بالضمة

1. فُعُل
2. فُعلة
3. فُعُول
4. مُفْعُل

المبحث الثاني: الانسجام الصوتي في الأفعال

1. فَعَلَ
2. يَفْعَل

المبحث الثالث: الفاصلة القرآنية

الفصل الثاني

الانسجام الصوتي في بنية الكلمة

الصوت والصرف:

علاقة الصوت والصرف علاقة قائمة لذلك ((إنّ كثيرا من الموضوعات التي يدور حولها الصرف إنما تبنى على قوانين صوتية مرجعها ذلك التأثير المتبادل بين الحروف حين تتألف ويتصل بعضها ببعض))[1]، إلا أنَّ ((التغيرات الصرفية تنبعث دائما عن استعمال قد وقع ـ أي أنها خاضعة للقياس ـ ومن ثم كانت محدودة الإمتداد، فليس النظام إذن هو الذي يتغير كما هي الحال في بعض التغييرات الصوتية، وإنما الذي يتغير هو عنصر من عناصر النظام فحسب وفي استعمال واحد من الاستعمالات))[2].

النظام الصرفي لا يثبت على حال، وكذلك الحال في النظام الصوتي. ولكن نظام التغير مختلف. فالتغيرات الصرفية تصيب الكلمات لا العناصر الصرفية، في حين أنَّ التغيرات الصوتية تصيب الأصوات بصورة مستقلة عن الكلمات. والعناصر الصرفية ـ في الغالب ـ تكون جزءا من الكلمة، والتغيرات الصرفية محدودة الامتداد لأنها تتعلق باستعمال قد وقع، والذي يتغير في النظام

---

(1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 159، 190.

(2) اللغة: 204.

الصرفي عنصر من عناصره، وفي استعمال واحد. على أنَّ التغيرات الصوتية عامة وشاملة[1].

والقالب الصرفي هو: ((الهيئة التي توضع عليها المادة اللغوية، وتتحد هذه الهيئة من خلال: عدد حروف الكلمة، وترتيب هذه الحروف، وضبطها، وأصالتها، وزيادتها، وإثباتها، أو حذف بعضها، وتعد هذه الجهات الخمس العناصر التي يتكون منها القالب الصرفي))[2].

من خصائص العربية اتساع معاني الأبنية, والذي يميز تلك الأبنية هو التصريف، ((أما التصريف فإن من فاته علمه فاته المعظم))[3]، يقال: ((القاسط للجائر، والمُقسِط للعادل، فتحول المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل. ..))[4]، واللغة العربية ((محظوظة جدا بوجود الصيغ الصرفية، لأن هذه الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق، وتشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الأساس الذي يمكن به أن تحدد الكلمات))[5].

إنّ دراسة الأصوات مقدمة لابد منها لدراسة اللغة، وأنَّ النظام الصوتي ضروري لمن أراد دراسة النظام الصرفي، بل لعل النظام الصوتي ـ عند سيبويه ـ

---

(1) ينظر: اللغة: 203 ـ 204.

(2) أثر أقسام الكلم في الجملة العربية (أطروحة دكتوراه): 91.

(3) المزهر: 1/ 330.

(4) المزهر: 1/ 330.

(5) مناهج البحث في اللغة (تمام حسان): 176.

جزء لاحق من دراسة الصرف نفسها[1].

البنية مشتقة من البناء، والبناء هو ضم الشيء بعضه إلى بعض[2]. ويطلق أيضا على المبنى، كما يطلق البناء على الجسم[3]. وعقد ابن جني فصولا أربعة في اختلاف البنية. سمى الأول (باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا)، والثاني (في تركب اللغات)، والثالث (في الأصلين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه)، والرابع (في الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه)[4].

والصيغ الصرفية لها أهمية وخطورة، فالخطأ فيها يحول المعنى من الضد إلى الضد. فضلا عن أن الصيغ لا تكلفنا مادة جديدة بل يأتي المعنى الوظيفي للصيغة محمولا على المادة متراكبا مع الدلالة المعجمية أو اللفظية وذلك عن طريق صورة اللفظ التي تتلبس به لتعطى للكلمة صيغتها ومن ثم معناها الوظيفي. فضلا عن أن المعاني الوظيفية ذاتها تتعدد وتتراكب للصيغة الواحدة في الوقت الواخد في السياق الواحد[5].

والانسجام الصوتي شامل، ومن بين شموله يكون في الصوائت، ويسمى كذلك الإتباع أو التوافق الحركي، أو انسجام أصوات اللين (vowel – Harmony)[6].

---

(1) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها (تمام حسان) (ط3): 50.

(2) ينظر: مقاييس اللغة: 1/ 302.

(3) ينظر: تاج العروس: 10/ 46.

(4) ينظر: الخصائص: 1/ 378، 1/ 374، 2/ 69، 2/ 82، في اللهجات العربية: 143.

(5) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (عبد الحميد هنداوي): 8.

(6) ينظر: في اللهجات: 86، علم اللغة العربية (حجازي) 228 ـ 230 .

وهي ظاهرة صوتية تهدف إلى الانسجام بين الحركات المتباينة، لكي ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية، ويكون هذا الميل من قبل المتكلم غير شعوري يهدف الاقتصاد في الجهد العضلي[1]، وهي هنا مماثلة تامة، مماثلة حركة لحركة أخرى[2]. والإتباع الحركي عند ابن جني هو تقريب صوت من صوت. وجعله في باب الإدغام الأصغر، والإمالة[3].

والحركات تؤدي وظيفتين، الأولى في دلالة الكلمة إذ تؤثر في تغير المعنى، والثانية في بناء الجملة إذ تؤلف في العربية النظام الإعرابي الذي يحدد مواقع الكلمات، والمعنى العام للجملة[4]. إنَّ أصوات المد في العربية لها أثر كبير في تغير النطق في الكثير من الأبنية الصرفية، وذلك لأن تغير هذه الأصوات يؤدي إلى تجدد الصيغ الاشتقاقية وتنوعها، مما يؤدي إلى وفرة في المعاني[5] وهذا التناوب يمثل انقلابا في اللغة، ومن نتائجه انحراف أوزان الكلمات، حتى لا نكاد نجد في اللهجات العامية كلمة واحدة باقية على وزنها العربي القديم[6].

يبدو لي أنَّ ذلك الحكم فيه نظر، ذلك أنَّ اللغة تتكون من روافد أما من وساعة اللغة نفسها وإمكانيتها في الاشتقاق والتوليد والنحت، أو من اللهجات واللغات التي ترفد اللغة بثروة لفظية التي أنتجت القراءات، يزداد على ذلك أنَّ لقانون السهولة النطقية دوره في تبدل الصائت الذي يحصل بعمل غير شعوري.

---

(1) ينظر: في اللهجات: 86.

(2) ينظر: علم اللغة العربية (محمود حجازي): 228 ـ 230.

(3) ينظر: الخصائص: 2/ 139.

(4) ينظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة (غالب المطلبي): 120.

(5) ينظر: الإتباع الحركي في اللغة العربية (رسالة ماجستير): 93.

(6) ينظر: علم اللغة (وافي): 281.

ومصطلح د. علي عبد الواحد (انقلاب) يوحي بوجود قصدي لذلك، والأمر لا شعوري في حقيقته.

كان علماء العربية يعدون الحركات أشياء عارضة تعرض للأصوات الصامتة، فهي تبع لها وليست مستقلة مثلها[1]، والدرس الصوتي الحديث يقرر أنَّ الإنسان يتكلم بمقاطع، يكون الصامت قاعدة والصائت قمة. وللصوائت أهمية في أنَّ لها القدرة على تغير المعنى، فمثلا كَتَبَ: ك ـَ / ت ـَ / ب ـَ / وكُتِبَ: ك ـُ / ت ـِ / ب ـَ /. ومن هنا عدت الصوائت في الدراسة الصويتية صويتات[2]، وقد نلتمس للقدماء عذرا في ذلك، هو أن العربية الأولى لم تكن فيها رموز مستقلة للحركات، وكان الاعتماد كله على الأصوات الصامتة. أما الحركات قبل أبي الأسود, والخليل فكانت تستنتج بمساعدة السياق[3].

والصوائت بنطقها المفتوح، وعدم وجود عائق، تعد اصواتا رنانة أكثر من الصوامت (السواكن)[4]. ولاحظ د. طه حسين في أصوات العلة هذه من قوة الاسماع فيها أنها طابع الأدب العربي وسماها الطابع الإنشادي في الاداب. وهي تقوم بالتفريق بين الصيغ الإشتقاقية، فهي تتحمل أخطر الوظائف في تركيب الصيغ بالتعاون مع حروف الزيادة وموقعية الكمية (التشديد والمد)[5].

---

(1) ينظر: علم اللغة العام (كمال بشر): 147.

(2) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: 12.

(3) ينظر: علم اللغة العام: 147.

(4) ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 113، الأصوات اللغوية: 27.

(5) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 71 ـ 72.

المبحث الأول

الانسجام الصوتي في الأسماء

أولاً: الانسجام الصوتي بالفتحة

1. فَعَلَ:

تتباين الصوائت في وضوحها السمعي مع أنها تتصف بقوة هذا الوضوح. الصوائت بقوة وضوحها السمعي ليست على درجة واحدة من هذا الوضوح. فالصوائت المتسعة أوضح من الضيقة؛ أي أنَّ الفتحة أوضح من الضمة والكسرة[1]. والفتحة تعد من أخف الحركات، والعرب فرّوا من بعض المواضع من الإسكان إلى الفتح[2].

نجد الفتحة أكثر الصوائت ورودا في النطق العربي، ففي القرآن الكريم مثلا في الآيات 5، 6 ـ 11، 12 من سورة البقرة تتكرر الفتحة (110) مرات، والكسرة (42) مرة، والضمة (50) مرة، فمجموع عددها (202) حالة، والنسبة المئوية لورود كل منها هي(الفتحة 54. 4٪، والكسرة 20. 8 ٪، والضمة 24. 8٪) أو (البقرة 1– 18) و(طه من 2– 34) و(الروم من 2– 20)، فالاختيار من كل سورة مائتي كلمة والنتيجة كانت (الفتحة 59. 4 ٪) و(الكسرة 20. 8 ٪) و(الضمة 19. 8 ٪)، فالفتحة زادت نسبتها، أما الكسرة والضمة فقد تقاربتا[3]،

(1) الأصوات اللغوية: 27.

(2) ينظر: إحياء النحو: 84/ 85

(3) ينظر: العربية الفصحى (هنري فلش): 36 ـ 37.

وهذا ما يؤيد أنَّ الفتحة قسم مستقل له ظواهره الخاصة، وانّ الكسرة والضمة حالة واحدة فما يجري على الكسرة يجري على الضمة لأن كلا منهما صوت لين ضيق[1].

إنّ في بنية(فَعَلَ) نجد ميل العرب إلى تغيير حركة عين البنية من السكون أو الضم إلى الفتح، وعلل الحريري بأن الفتحة أخف الحركات[2]، فهي أيسر نطقا، لاسيما إذا كانت وسط اللفظ ودرج الكلام فهي الحركة المستحبة عند العرب[3].

واختلف اللغويون في تغيير حركة عين الكلمة أنْ يكون من حروف الحلق(غ، خ، ع، ، ح، هـ، أ)، ومنهم من لم يشترط ذلك، فالبعض جزم أنّ كل اسم كان ثانيه حرفا من حروف الحلق جاز حركته وإسكانه[4]. نحو الشعْر والشعَر. ومنهم من عدّها من اللغات، لأن من سكّن من العرب لا يفتح ومن فتح لا يسكن إلا في ضرورة الشعر[5].

وكانت القراءات القرآنية صدى لهذين المذهبين - أعني تحريك الحرف الثاني أو إسكانه - ففي قوله تعالى: (فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ) [6]، قرأ الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي بإسكان الراء وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر

(1) ينظر الأصوات اللغوية: 42.

(2) ينظر: درة الغواص: 63.

(3) ينظر: إحياء النحو: 78، 81، 85.

(4) حجة القراءات (أبو زرعة): 359.

(5) ينظر: المزهر: 2/ 111.

(6) سورة النساء: 145.

من السبعة بفتح الراء[1]، فالحجة لمن أسكن أنه أتى به على طريق التخفيف، ومن حرّك أنه أتى بالكلام على أصله، لأنَّ التحريك فيه أيسر وأشهر[2].

وجعل ابن جني، ومكي بن أبي طالب اختلاف القراءتين من قبيل اللغات[3]، وعند مكي الفتح هو الأكثر في اللغات والاستعمال من قراءة الكوفيين[4]. ومن شواهد المجيء على لغتين، قراءة (محمد بن السميفع) (قَرَحٌ) بفتح القاف والراء في قوله سبحانه ﴿ قَرْحٌ ﴾[5]، وهي لغتان: قَرْحٌ، وقَرَح، كالحَلْبِ والحَلَب، والطَّرْد والطَّرَد[6]، وقرأ كذلك أبو السمال بفتحتين[7] وقُرِئَ بقراءتين (قَدَرَه، وقَدْره)[8]، في قوله سبحانه ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ﴾[9]، وهما لغتان، فحجة من قرأ بفتح الدال جاء على القياس والإجماع في فتح ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾[10] و ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[11] وكذلك كانت

(1) ينظر: السبعة في القراءات: 239، التيسير في القراءات السبع: 98.

(2) الحجة في القراءات السبع: 127، 173.

(3) المنصف شرح تصريف المازني: 2/ 305، الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 401.

(4) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 401.

(5) آل عمران: 140

(6) المحتسب: 1/ 166.

(7) مختصر في شواذ القراءات: 22.

(8) من قرأ بالفتح ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم، ومن قرأ باسكان الدال ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر (السبعة: 81).

(9) سورة البقرة 236.

(10) سورة الرعد: 17.

(11) سورة القمر: 49.

الحجة في قراءة السكون على ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[1]، ومنهم من فرق بين الفتح والسكون فبالفتح هو العدّ والعدد، والمدّ والمدد[2]. وقرأ الزهري ﴿جُدَدٌ﴾[3] بفتح الجيم والدال، وهي الطريق الواضح المسفر[4]، وقرئت بعذاب بئيس[5] ووجه ابن جني هذه القراءة أنها جاءت على ماض مثاله فَيْعَل كَهَيْنَم، ثم خففت الهمزة فيه وألقيت حركتها على الياء فصار بَيَسَ)[6].

فالقراء ((لم يكن لهم مذهب واحد في القراءة بالفتح أو بالضم، لكننا نلحظ أنَّ أكثرهم قراءة بالفتح نافع وابن كثير وقراءتهما تصور اللهجة التي كانت تسود بيئتهما، وأنّ أكثرهم قراءة بالضم هم الكوفيون))[7] وقرأ الحسن ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾[8] بفتح العين فيهما ورجح ابن جني أنْ يكون أراد (البَعْث) على قراءة الجماعة، ثم حرك بالفتح لأجل حرف الحلق[9]. وحكى النحويون: من البَعَث، وأجاز الكوفيون في كل ما كان ثانيه حرفا من حروف الحلق أنْ تُسَكَّن وتفتح. وخطّأ النحاس الكوفيين، وعنده جواز ذلك بسبب اللغة (اللهجة)[10].

---

(1) سورة الأنعام: 91، سورة الحج: 74، سورة الزمر: 67.

(2) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 298 ـ 299، إصلاح المنطق: 1/ 96.

(3) فاطر: 27.

(4) المحتسب: 2/ 199 ـ 200.

(5) سورة الأعراف: 165.

(6) المحتسب: 1/ 266، البحر المحيط: 4/ 413.

(7) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 144.

(8) سورة الروم: 56.

(9) المحتسب: 2/ 166.

(10) إعراب القرآن (النحاس): 2/ 389 ـ 390.

وبيّن ابن جني موقف البصريين والكوفيين من هذه المسألة، فالبصريون يقولون إنها لغات ((فأما أصحابنا فلا فصل عندهم بينه وبين ما ثانيه حرف غير حلقي، في أنه ينبغي أن يؤدي كل واحد على ما يُسمع ولا يقاس شيء منهما؛ فلا فصل بين نَشْزٍ، ونَشَزٍ، وشَعْرٍ وشَعَر فهذان لغتان))[1]. والكوفيون يجعلون مرد ذلك إلى المتكلم، ((وأما الكوفيون فيفصلون، فيسلمون ما جاء وليس ثانيه حرفا حلقيا كما سمع، ولا يقيسون فيه شيئا نحو(نَشْزٍ ونَشَزٍ). فأما ما كان ثانيه حرفا من حروف الحلق، فإنهم يقيسونه، ويقولون إنْ شئت فحرك، وإنْ شئت فسكن، ويجعلون الأمر في ذلك مردودا إلى المتكلم))[2]. وحكم ابن جني أنهما لغتان، ((لأنّها قد سمعت ساكنة ومتحركة كما سمع غيرها مما لا حرف حلق فيه ساكنا ومتحركا، ويحتاج من فصل بينهما إلى دليل))[3].

وأكبر الظن أنَّ السبب في الخلاف يعود إلى أسس وقواعد كل منهما. بما عرف عن البصريين من تقنينهم للسماع، وقياسهم المطّرد، فجاء حكمهم في هذه المسألة بصورة منسجمة مع ذلك في كون التحريك والسكون للعين من أنهما لغتان وكفى. في حين أنَّ الكوفيين لم يكونوا في حكمهم مقيدين وهذا ينبع من أسسهم كذلك من أنهم توسعوا في السماع والقياس، فجعلوا الباب مفتوحا في (عين الكلمة) بين الفتح والسكون، والفيصل في ذلك هو المتكلم.

ولكن ابن جني في(المحتسب) وجه بعض القراءات التي وردت بفتح عين الكلمة من أنَّ العلة في ذلك هو وجود الحرف الحلقي، كما ذهب إليه الكوفيون،

(1) المنصف: 2/ 306.

(2) م.ن: 2/ 306.

(3) م . ن.

كقراءة سهل بن شعيب[1]، ﴿جَهَـرَةً﴾[2]، و ﴿زَهَرَةَ﴾[3] فيجيزون فيه الفتح وإنْ لم يسمعوه، كالبَحْر والبَحَر، ((وما أرى القول من بعد إلا معهم، والحق فيه إلا في أيديهم))[4] وهو بذلك وقف مع الكوفيين. ودعم رأيه في ما سمع عن عامة عُقيل وسماعة الشجري يقول (أنا مَحَموم) بفتح الحاء وليس أحد يدعي في الكلام (مَفَعول) بفتح الفاء[5].

ثم رفض قول البصريين في (الصَّخْر والصَّخَر) من أنّه راجع إلى حروف الحلق، بقوله: ((ولا قرابة بيني وبين البصريين، لكنها بيني وبين الحق، والحمد لله))[6] فهي عنده من اللغات. ثم رفض في المنصف أنْ يكون لحروف الحلق دور في بناء(فَعَل)، بل رد ذلك إلى التجانس الصوتي ((فحروف الحلق لا تحرك ساكنا ولا تُسكن متحركا، بل لعمري إنه يراد فيها الإتباع وتجانس الصوت))[7]، ولعل ما يؤيد ذلك وجود كلمات حرك فيها الساكن ولم تكن حروف الحلق نحو الضَّرَع، والحَمَلَ، والسَمَن، والبَقَل، ألخ، وكان حقه تسكين العين[8] ونَشَر ونَشْر، وصدَع وصدْع، والنَفَر والنفْر، وسَطَر وسطْر، وقدَر وقدْر، ولَغَط ولَغْط[9].

---

(1) كوفي روى القراءة عنه عبد الله بن مرحلة (طبقات القراء): 1/ 319.

(2) البقرة: 55

(3) طه: 131.

(4) المحتسب: 1/ 84.

(5) م . ن.

(6) المحتسب: 1/ 167.

(7) المنصف: 2/ 307.

(8) ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة (عبد العزيز مطر): 258.

(9) المزهر: 2/ 111.

ولعل القارئ يجد تناقضا في آراء ابن جني، كما اتهم بالمصانعة، وفي مرة رجح رأي البغداديين في أنّ حروف الحلق لها تأثير في الكلمة، ((وأنا أرى في هذا رأي البغداديين في أنّ حروف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدا معتمدا))[1]، كما قالوا (نَحَوَهُ) يريدون نَحْوَه[2] فهو يعلل كما عُرف عنه، عن سبب تحريك عين الكلمة على وفق طرح ألفاظ معينة، فمرة إنها لغات ولهجات، ومرة بسبب حروف الحلق أثرت في ذلك، والأخرى أنَّ الأمر يعود كله إلى الانسجام والخفة في النطق، والانتقال من السكون إلى الحركة والفتحة أخف الحركات، أو أنَّ المدارس والمذاهب النحوية قد اتفقت في نقطة ما.

والأصوات الحلقية ((لا تمنع الحركات من التأثر ببعضها حيث تكون فاصلة بينها، ولعل هذا يفسر اشتراط وجود حرف حلقي في هذه الألفاظ ومن ثم اطراد الاتباع فيها))[3] وقدّم علماء العرب تعليلا لوجود الفتحة مع حروف الحلق ذلك لأنَّ الأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض، والانسجام الصوتي واضح بين الفتحة التي هي بعض الألف وحروف الحلق[4].

ويبدو لي أنَّ العلاقة بين الفتحة وأصوات الحلق لها ثلاثة أوجه هي:

- الأول: من ناحية المخرج والصفة، فمن ناحية المخرج هي أصوات بعيدة، وهذا البعد ينتج عنه صعوبة في النطق فيحتاج المتكلم إلى صوت سهل خفيف للموازنة بين الصعوبة والسهولة، والفتحة هو

(1) المحتسب: 1/ 167.

(2) م.ن.

(3) لهجة تميم: 122.

(4) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 341.

الصوت المناسب لأنها أخف الحركات.

- الثاني: من ناحية الصفة فهي أصوات رخوة مهموسة ـ إذا استثنينا (الهمزة) ـ تلتقي مع الفتحة في الاشتراك بالسهولة.

- الثالث: انها تتعلق بلهجة دون أخرى تبعا للبيئة الجغرافية، لأنّ منهم من يميل إلى السهولة والسرعة أو منهم من يؤثر الخشونة والإبقاء على نوع من الأصوات التي تحقق له ذلك.

وللهجات العربية نصيب من هذا الخلاف، فقد اختلفت ((في الصوامت الحلقية، بين ابقائها صامتة دون صائت قصير (حركة)، وبين تحريكها بالفتحة، بل إنَّ الصامت الحلقي يؤثر على الصامت الذي قبله فيحركه بالفتحة أيضا))[1].

ومن خلال استقراء كتب اللهجات العربية وجد خلاف في الحكم بين من يستعمل الفتح ومن يميل إلى صائت آخر، واليك الأمثلة: ((أنّ قبائل الحجاز المتحضرة تذهب إلى الأخف وهو الفتح، وبين الفتح والضم تذهب إلى الفتح، وبين الكسر والضم تذهب إلى الكسر، بينما تميل لهجات القبائل البادية ـ وبخاصة في وسط شبه الجزيرة وشرقيها ـ إلى الصائت الأثقل (الكسر أو الضم))[2]. وهناك من يقول: إنَّ لهجات البدو أميل إلى الانسجام الحركي من لهجات الحضر[3] أمثال تميم وقيس وأسد، وعلة ذلك أنّ لهجة البدو متطورة، وفي تطورها تجنح إلى الانسجام، على عكس القبائل المتحضرة، الحجاز مثلا ومن سار سيرها الذين بالغوا في عدم تقريب الحركات، لأن لهجتهم محافظة وعوامل

(1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 130.

(2) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 149 ـ 150.

(3) ينظر: في اللهجات: 86، اللهجات العربية في التراث: 1/ 268.

التطور عندهم ليست لها نفس القوة عند البدويين[1] فظلت الحجاز بعيدة عن ذلك التوافق الحركي، وهو من خصائص لهجة تميم[2] فتميم وأسد يقولان الصَلَب بفتح الصاد واللام، والصُلب على وزن فُعل هو لغة أهل الحجاز[3] فقد أثِر عن بني أسد يقولون: في أسنانه حَفَر ويقول غيرهم: بأسنانه حَفْر، و(هل رأيت عَيَناً) بفتح العين والياء بمعنى أحَداً. وبذلك تميل أسد إلى الإتباع الحركي حيث يتحول السكون إلى حركة مماثلة لحركة فاء الكلمة وهو إتباع ذو أثر مقبل[4].

وبالنتيجة لما ذهب إليه المحدثون أنَّ الحجاز بعيدة عن التوافق الحركي، والقبائل البدوية تميل إلى هذا التوافق، وفي حكم آخر أنَّ الحجاز تذهب إلى الأخف وهو الفتح. هذا التقاطع في الأحكام اللهجية يظهر لنا أنَّ القطع في القضية العلمية يجانب الدقة. وذلك أنَّ اللهجات تتداخل فيما بينها. والميل إلى الخفة في النطق لا يكون حكرا على لغة أو لهجة وفقا لنظريات تطور الأصوات، ومن بينها نظرية السهولة والشيوع، والدليل على هذا التداخل، قراءة الحسن(دُبْرٍ) بسكون الباء، في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ ﴾[5]، وهي لغة الحجاز وأسد، فاتفقت لغة الحجاز مع لغة أسد. وتميم وافقت الحجاز في

(1) اللهجات العربية في التراث: 1 / 273.

(2) علم اللغة (حجازي): 228 ـ 230.

(3) البحر المحيط: 3/ 193.

(4) لهجة قبيلة أسد (علي ناصر غالب) 124 ـ 125.

(5) سورة يوسف: 26.

قولهم (هذه حضارِ) بسبب الراء، لأنّ تميم يختارون الإمالة وإذا ضموا الراء ثقلت عليهم الإمالة[1].

2. فَعَالى:

من الأبنية التي حدث فيها انسجام صوت الفتحة، وهذا يدخل في السهولة النطقية بتوالي صائت قصير + صائت طويل ولا يخلو من تأثير المد الصوتي للصائت الطويل(الألف) على ما قبله، أو أنَّ التجاور الصوتي للفتحة قد أثر في فاء الكلمة، في الكلام المتصل يحدث غالبا ((ما تفقد الكلمة جزءا واحدا على الأقل من كيانها في أثناء الكلام المتصل، فقد يصيبها البتر أو التداخل مع بعضها البعض))[2].

واختلفت القراءات في ضم الحرف الأول أو فتحه، فقرأ الجمهور ﴿ كُسَالَىٰ ﴾[3] بضم الكاف وهي لغة أهل الحجاز، وقرأ الأعرج وعيسى بن عمر (كَسالى) بفتح الكاف وهي لغة تميم وأسد[4]، وفي ﴿ سُكَٰرَىٰ ﴾[5] قرأ عيسى بن عمر بفتح السين وهي لغة تميم[6].

وللمماثلة الحركية وجود في مساحة اللهجات العربية لاسيما عند البدوية منها، ((بنو أسد وتميم يقولون: كَسالى في كُسالى وهذا الضرب من الإتباع ذو أثر

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 1 / 63 ـ 64.

(2) دور الكلمة في اللغة (ستيفن أولمان، ط3): 45 ـ 46.

(3) التوبة: 54.

(4) ينظر: مختصر في شواذ القراءات: 26، البحر المحيط، 3/ 377.

(5) النساء: 43.

(6) ينظر: مختصر في شواذ القرءات: 26، الحجة في القراءات: 252.

رجوعي حيث تأثر الصوت الأول بالصوت الثاني))[1]، فاتبعوا الفتحة الفتحة، فكان التميميون يميلون إلى السرعة في النطق فكان أنْ تأثرت الأصوات عندهم بعضها بالبعض الآخر[2]، وما هو إلا انسجام بين الحركات وكان القدماء يسمون ذلك ضربا من تجانس الصوت[3] أو ضربا من التشاكل[4].

3. فَعَلاَت:

هو بناء شاعَ فيه الإتباع للفتحة لأنها أخف الحركات. وجعله المبرد في باب (الجمع لما يكون من الأجناس على (فَعْلَة))، ويحصل في جمع المؤنث السالم بتحريك أوسطه لتكون الحركة عوضا من الهاء المحذوفة، وتكون فرقا بين الاسم والنعت، نحو طَلْحة: طَلَحَات، وجَفْنة: جَفَنَات[5].

ويظهر هذا البناء في جمع المؤنث السالم مثل عبرات وحلوات، وإذا كان اسما تحركت عينه في الجمع إذا كانت صحيحة كجمرات لخفة الفتحة، وإذا كانت صفة تسكن مثل خذْلة خذْلات، والسكون جاء لثقل الصيغة لأنها جارية مجرى الفعل، والفعل أثقل من الاسم لأنه يطلب فاعلا[6] أو تأتي الفتحة في هذا

(1) لهجة قبيلة أسد: 121، وينظر: لهجة تميم: 123، اللهجات العربية في التراث: 1/ 267 ـ 268.

(2) ينظر: في الأصوات اللغوية: 185.

(3) ينظر: سر صناعة الإعراب: 1/ 158.

(4) ينظر: شرح المفصل: 9/ 54، في اللهجات العربية: 87 ـ 88.

(5) ينظر: المقتضب: 2/ 188 ـ 189.

(6) ينظر: شرح المفصل: 5/ 28، شرح الرضي على الشافية: 2/ 109.

الجمع للإتباع باتباع ثانيها أولها كما جمعوا حسرة حَسَرات[1]. وقد يصير الفتح في هذا البناء لأجل القياس بصيغة أخرى، وعند الصرفيين يسمى (الإلحاق) كما في((أهلات فيفتح الثاني كما فتحوه في أرضات لأنه اسم مثله وإن أشبه الصفة))[2].

ومن مسوغات الفتح هي اللهجات، كما جاء على لغة (هذيل) بفتح الحرف الثاني مع الأول في الجمع، مثل عَيَرات[3] أو ما جاء على لهجة (قيس) في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾[4]، فحكى الفراء عنهم ((عَوَرات) بفتح الواو، وفيه مسوغ آخر هو أنه جار على القياس، لأنه ليس بنعت كما تقول جَفْنَة وجَفَنات، ومال الفراء إلى التسكين ووصفه بأنّه الأجود، لأنَّ الواو إذا تحركت وتحرك ما قبلها قلبت ألفا، ونتيجته ذهاب المعنى[5] إلا أنَّ أبا جعفر قال: فما كان نعتا أولى بالتسكين، وما ليس بنعت أولى بالحركة[6].

ورُوي عن ابن عباس تحريك واو(عَوْرات) بالفتح، والمشهور في كتب النحو أنّ تحريك الواو والياء في مثل هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة، وابن مجاهد يقول: هو لحن من قبل الراوية، وإلا فله مذهب في العربية

---

(1) ينظر: معاني القرآن (الفراء): 2/ 330.

(2) شرح المفصل: 5/ 33.

(3) ينظر: م .ن.

(4) سورة النور: 31.

(5) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): 2/ 439، مختصر في شواذ القراءات: 103. لم أجده في (معاني القرآن) للفراء فيما يخص هذه الآية

(6) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): 2/ 403.

(بنو تميم) يقولون رَوَضات وجَوَزات وعَوَرَات[1]، وقرأ الأعمش (عَوَرات)[2] وقرأ الجمهور ﴿عَوْرَٰتِ﴾[3] بسكون الواو[4].

وخلاصة ما تقدم أنَّ علَّة تحريك عين الكلمة هو للانسجام الصوتي من جانبين.

- الأول: المماثلة الحركية، والإتباع، والتخفيف سواء بتحريك الحرف الثاني أم بسكونه، ولكن الفتحة أخف من السكون فمن قصد التخفيف فالأولى أن يكون على (فَعَلات). ولكنهم يقصدون بذلك الخفة في الوقفة (السكون) لصعوبة توالي الحركات المتشابهة.
- والثاني: هو للانسجام أيضا لكن من جانب نوع الكلمة فإذا كان اسما كان تحريك عين الكلمة، للمشابهة بين خفة الاسم وخفة الفتحة. وإن كان صفة اختار التسكين لثقل الصيغة فيؤتى بالسكون للتخفيف من تتابع الحركات.

4. فَعَال ـ فَعَّال ـ فعّالَة:

في هذه النماذج الثلاثة يظهر((أثر صوت المد الطويل(الألف) واضحا كمؤثر صوتي قوي لحصول الإتباع الحركي المدبر في حركة الفاء إذ يؤدي التجانس الصوتي إلى إيثار صوت الفتحة دون غيرها من الحركات إتباعا لصوت الألف))[5].

---

(1) ينظر: البحر المحيط: 6/ 414، مختصر في شواذ القراءات: 103.

(2) ينظر: مختصر في شواذ القراءات: 103.

(3) سورة النور: 31، 58.

(4) البحر المحيط: 6/ 414.

(5) الإتباع الحركي في اللغة العربية: 109.

فيعد تأثير الصوائت داخل البنية أحد المسوغات لظهور ذلك، فضلا عن اللهجات، فأثِر عن نجد وتميم الفتح، والكسر للحجاز، في قوله سبحانه ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1]، و ((قرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر يوم حَصَاده، بفتح الحاء، وقرأ الباقون بالكسر وهما لغتان مثل الصَّرام. والصِّرام. قال الفراء* بالكسر حجازية وأهل نجد وتميم بالفتح))[2]. أو بسبب ما شاع من لغتين (فَعال وفِعال) إذ يقولون: (سَدَاد من عَوَز) وسِدَاد، والوَثاق، والوِثاق، ودَجاج ودِجاج[3].

وقد يكون الأصل في البنية هو (فَعال)، ((أثرت بعض القوانين الصوتية في داخل هذه اللغة العربية، فكثير من الكلمات التي وردت بزنة (فِعال) هي ببساطة من أوزان(فَعَال)[4]، والعربية فضّلت الصيغ ذات الإيقاع الصاعد: التي تبدأ من مقطع قصير ثم تستمر على مقطع طويل، فتكاثرت كلماتها وهي: (فَعال، وفِعَال، وفُعال، وفُعيل، وفَعيل، وفَعُول، وفُعُول)[5].

ومما جاء على هذا الوزن (الفَدَان) بالتخفيف وهو الصواب، والعامة تقول الفدّان[6]، وأفرد ابن قتيبة بابا في(ما جاء مفتوحا والعامة تكسره)، نحو فَقَار

(1) سورة الأنعام: 141.

* لم أجده في معاني القرآن للفراء.

(2) حجة القراءات (أبو زرعة): 275، الصاحبي: 67.

(3) ينظر: أدب الكاتب: 326.

(4) العربية الفصحى، (هنري فلش): 78.

(5) ينظر: العربية الفصحى: 88 ـ 89.

(6) لحن العامة والتطور اللغوي (رمضان عبد التواب): 149.

الظَّهْـر، وماله دار ولا عقَـار، وهـو النخـل[1]، وكـذلك الفـارابي أفـرد بابـا في (فَعَال)[2] وتتحول هذه الصيغة من الفتح إلى الـضم، ((يطـرد تحـول(فعَـال) إلى فُعال مثل رُماد في رَمَاد، نُعام في نَعام، رُصاص في رَصَاص))[3].

وأوضح هنري فلش التطور الحاصل في صيغة (فعّال) بأنها التطور النهائي لإسم الفاعل القديم (فَعَلْ) الذي تطور إلى (فَعَال) ثم إلى (فَعّال). وقـد فقـدت الصيغة الأخيرة اتصالها بأصلها الأول فهي تدل على مـضمونها باتـصالها نفـسيا باسم الفاعل بزنة (فاعل) على أنها مبالغة منه. ثم تحول بتأثير الآرامية إلى التعبير عن أسماء الحِرف مثل نَجّار وبَنّاء[4].

وذكر ابن قتيبة ألفاظا في باب (ما جـاء علـى فعالـة ممـا فيـه لغتـان فَعالـة وفِعالة بفـتح الفـاء وبكـسرها)، نحـو الوَقايـة والوِقايـة، والوَصـاية، والوِصـاية، والحَضَارة والحِـضَارة[5]. وفي قولـه تعـالى: ﴿لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾[6]، وذكـر الفراء أنّ الأكثر هو الفتح في (الرَّضاعَة)، إلا أنه ورد عن الكسائي بكـسر الـراء فهي بمنزلة الوِكالة والوَكالة، والدِّلالة والدَّلالـة[7] وبـذلك فهـو يـشير إلى أنهمـا

(1) ينظر: أدب الكاتب 300 ـ 301.

(2) ديوان الأدب (الفارابي): 1/ 375.

(3) لحن العامة: 280.

(4) ينظر: العربية الفصحى: 79.

(5) أدب الكاتب: 442 ـ 443.

(6) سورة البقرة: 233.

(7) معاني القرآن (الفراء): 1/ 149.

لغتان، إلا أن الفتح أشهر، فهو تأرجح بين الفتح والكسر بين أبناء اللغة[1].
وأفرد الفارابي في (ديوان الأدب) بابا في (فعّال وفعّالة) مما ألحقت فيه الهاء[2].

5. مَفعَل ـ مَفْعَلة:

من الأبنية التي حصلت فيها مماثلة في الصوائت بالميم والعين، ويصاغ أسماء الزمان والمكان على (مَفْعَل) بفتح العين من فعل يفعَل (بفتح العين) نحو (يَذهَب) أو يفعُل، بضمها (يطلُع)، أو أنْ تكون لامه معتلة نحو يرمي، يغزو، ويصاغ على(مَفْعِل) بكسر العين، إذا كان مضارعه على يفعِل، نحو يعرض، أو أنْ تكون لامه صحيحة وفاؤه واو نحو ورد[3]. وفي هذه الحالة يكون التأثر مقبلا إذ أثّرَ الصوت الأول (الميم) في الثاني (العين). ((فألزموه الفتح لخفته))[4] كقوله تعالى: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾[5] أي الفرار[6]، وطيء تقول في الصيغتين (مَفْعَل ومَفعِل) بصيغة واحدة هي بفتح العين (مَوْرَد) و(مَوْقَف)[7] إذ لها توسع في اللغات[8] وذكر سيبويه ليس في الكلام من ذوات الأربعة (مَفعِل) بكسر العين وإنما جاء

(1) في تاريخ العربية (نهاد الموسى): 47.
(2) ديوان الأدب: 1/ 325 ـ332.
(3) ينظر: شرح الأشموني: 2/ 352، المزهر: 2/ 100، 111، في تاريخ العربية: 38.
(4) المزهر: 2 / 100.
(5) سورة القيامة: 10
(6) التكملة: 525
(7) شرح الاشموني: 2/ 352، في تاريخ العربية: 38.
(8) المزهر: 2/ 100.

بالفتح (مفعَل) نحو مَرمَى ومَدْعَى ومَغْزَى[1]، وقد شذت منه حروف فجاءت على (مَفعِل) كالمجيء والمحيض والمكيل والمصير[2]

وأجمع القرّاء على فتح اللام في ﴿مَطْلَعِ﴾[3]، لأنه مصدر ومعناه (حتى طلوع الفجر)، إلا الكسائي فإنه قرأها بالكسر، والحجة أنه أراد الإسم أو الموضع[4] وروى عبيد عن أبي عمرو أنه قرأ (مَطلِع) بكسر اللام[5]. وعند الفراء أنَّ فتح العين هو الأقوى في قياس العربية، معللا ذلك أنّ في الفتح يعني الطلوع، وفي الكسر هو المشرق، والموضع الذي تطلع منه[6]، وعند مكي أنّ الفتح هو الأصل والأكثر، ((حقه الفتح كـ(المدخَل والمخرَج)، ومن دخَل يدخُل، وخرج يخرُج. . . فحملوا على الأصل وعلى الأكثر))[7].

وفي قوله تعالى: ﴿مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[8] و ﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾[9] قرأ الجمهور بضم الميم وقرأ نافع وحده (مَدْخَلا كريماً) مفتوحة الميم وكذلك

(1) ينظر: الكتاب: 4/ 90، المزهر: 2/ 58.

(2) ينظر: المزهر: 2/ 111.

(3) سورة القدر: 5.

(4) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 374، السبعة في القراءات: 693، الكشاف: 1/ 721.

(5) ينظر: السبعة: 693.

(6) ينظر: معاني القرآن: 3/ 280ـ 281.

(7) الكشف عن وجوه القراءات: 2/ 385.

(8) سورة النساء: 31.

(9) سورة الحج: 59.

(مَدْخَلا يرضونه)[1]. وفي فتح الميم توجيهان، الأول: أنه جعله مصدرا لفعل ثلاثي مضمر، دل عليه الرباعي الظاهر، وهو قوله (نُدخلكم) أي: ندخلكم فتدخلون مُدخلا، أي دخولا فدخول، ومدخل مصدران للثلاثي، بمعنى واحد والثاني: قد يريد المكان: أي يدخلكم مكانا[2].

إن قراءة نافع بالفتح لها علاقة بالدلالة، فالحركات تؤثر في المعنى، فهي تنسجم مع معنى المقام، فنص كثير من المفسرين أنَّ المراد (بالمدخل الكريم) الجنة[3] أي المكان.

لقد أفرد الفارابي بابا في هذا البناء بفتح الميم والعين، مثل: المَرْقَب: الموضع المرتفع، والمَشْرَب: الشراب، والمَكْتَب: الكُتّاب، ومَذْهَب الرجل: سيرته، والمَنْهَج: الطريق الواضح، والمَطْبَخ: موضع الطبخ، الخ[4]. والعرب يفرّقون بالحركات وغيرها بين المعاني. مِفْتَح للآلة التي يفتح بها، ومَفْتَح لموضع الفتح، ومِقَصّ لآلة القَص، ومَقَصّ للموضع الذي يكون فيه القص، ومِحْلَب للقدح يحلب فيه وَمَحْلَب للمكان يُحتلب فيه ذوات اللبن[5]. لقد تطورت كسرة الميم إلى فتحة في صيغة اسم الآلة: مِفْعَل ومِفْعَلة، إذ تأثرت حركة الميم بحركة العين، وهو تأثر مدبر كلي في حالة الانفصال، مثل مَقْوَد، ومَسَنّ، وروي أنَّ الأندلسيين

(1) السبعة: 232، 439 ـ 440.

(2) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 386 ـ 387، الحجة في القراءات السبع: 123

(3) ينظر: معاني القرآن (النحاس): 2/ 73، تفسير القرطبي: 5/ 151.

(4) ديوان الأدب: 1/ 280 ـ 282.

(5) ينظر: الصاحبي: 191.

كانوا يقولون: مَصْيدة، ومَطرَقة، ومَغرفة[1].

وقرأ الجمهور ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[2]، بفتح السين والميم في (مَيسَرة)، وهي لغة نجد وقرأ((نافع وحده ميسُرة بضم السين. وقرأ الباقون بفتح السين))[3]، والضم لغة الحجاز، وهو قليل كَمَقبُرة ومشرُفة، والكثير مفعَلة بفتح العين[4].

وأفرد ابن قتيبة بابا في ما جاء على (لغتين) بفتح الميم والعين أو كسرها، نحو أرض مَهلَكَة، ومَهلِكَة، ومَعجَزَة، ومَعجِزَة، ومَضَلَّة ومَضِلَّة، ألخ[5]، وباباً آخر في مَفْعَلة ومَفعُلة، بفتح الميم مع فتح العين أو ضمها، نحو مَمْلَكَة ومَمْلُكَة، ومأكَلَة ومأكُلَة، والمَأدَبَة والمَأدُبَة، ألخ[6].

ثانياً: الانسجام الصوتي في الكسرة

1. فِعِل:

الكسرة من أصوات اللين الضيقة، لأنَّ مجرى الهواء يضيق نوعا ما عند النطق بها، وتشاركها في ذلك الضمة. إلا أنَّ مقدم اللسان في الكسرة يرتفع نحو الحنك الأعلى حتى يبلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه من دون أن يمس الحنك أو يصل إلى ارتفاع يجعل الهواء المار يحدث احتكاكا، ويرتفع أقصى اللسان نحو

---

(1) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: 33.

(2) سورة البقرة: 280.

(3) السبعة في القراءات: 192، التيسير في القراءات السبع: 85.

(4) البحر المحيط: 2/ 340.

(5) أدب الكاتب: 450.

(6) م . ن.

أقصى الحنك عند النطق بالضمة، وبناء على الجزء المرتفع من اللسان أطلق على الكسرة صوت ضيق أمامي، وأطلق على الضمة صوت ضيق خلفي[1]، والكسرة أكثر صفاءَ من الضمة[2].

وذكر سيبويه علاقة الانسجام الصوتي بالكسرة مع أصوات الحلق الستة في باب (الحروف الستة إذا كان واحد منها عينا وكانت الفاء قبلها مفتوحة)، فإذا كان ثانيه من الحروف الستة فيه أربع لغات مطرد فيه فَعِل وفَعْل و فِعْل وفِعِل[3]. فالحروف الحلقية تخضع للإتباع مثل سِعِيد ورِغِيف وشِهِيد[4] إذ لها وظيفة في هذا التماثل الحركي، فالكسرة القصيرة بعد العين قد جلبت كسرة سابقة[5]، وبذلك أثّر الثاني بالأول، الذي سماه المحدثون بالتأثر الرجعي[6].

أصوات الحلق في العربية قديمة، وأنها موجودة في اللغة السامية[7]، إذ تشترك اللغات السامية بخصائص عامة منها وجود أصوات الحلق وأصوات الإطباق. ولكن توجد بنسب متفاوتة. فالعربية تضم عددا أكثر من هذه الأصوات بالمقارنة مع باقي اللغات السامية[8].

(1) ينظر: الأصوات اللغوية: 41.، علم اللغة العام (الأصوات): 151.

(2) علم الأصوات (مالمبرج): 25.

(3) الكتاب: 4/ 107 .

(4) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 284، لهجة تميم: 163 ـ 164.

(5) لهجة تميم: 121.

(6) الأصوات اللغوية: 180.

(7) علم اللغة العربية (حجازي): 196.

(8) م . ن: 139 ـ 140.

وقد ينتفي شرط وجود حرف الحلق في التوافق الحركي بين الحركات المتأثرة كقراءة الحسن البصري ورؤبة (الحمدِ لِله) بكسر الدال لإتباع اللام في حركتها، ليكون على المثال من أسمائهم[1] وعلل ابن جني ذلك بكثرة الاستعمال[2] وما جاء على (فِعِل) إبِلٌ وإطِل، والمشهور فيه إطْل بسكون الطاء. وإطِل جاء لإتباع الطاء فيه والهمزة فيه للضرورة والواردة في الشعر[3].

وكانت القبائل البدوية تميل إلى هذه المماثلة الحركية في الكسرة لاسيما تميم التي أثر عنها تلك المماثلة في القراءة المارة الذكر (الحمدِ لله)، وقد ذهب الزمخشري إلى أنها لغة ضعيفة ((لأنه لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع))[4]. فالتميميون كانوا يميلون إلى السرعة في النطق فكان أنْ تأثرت الأصوات عندهم بعضها بالبعض الآخر، ونلاحظ قوة الإتباع في هذه اللهجة مع قوة صوت الكسرة عندهم[5] فحركة الكسرة عندهم قوية ومؤثرة، بل إنَّ الإتباع أكثره وأقواه عند تميم هو إتباع الكسرة الكسرة، لأنّ الإتباع في الفتحة والضمة مشروط بتتابعها في الكلمة لكي تكون مؤثرة في الحركة الباقية فتقلبها إلى جنسها [6].

وكانت القراءات القرآنية صدى لهذا الإتباع، فقرأ عاصم وحمزة والكسائي

---

(1) ينظر: معاني القرآن (الفراء): 1 / 403، مختصر في شواذ القراءات: 1.

(2) المحتسب: 1/ 111.

(3) ينظر: الممتع في التصريف (ابن عصفور): 1/ 65.

(4) الكشاف: 1/ 156.

(5) الأصوات اللغوية: 185 ـ 186...

(6) ينظر: لهجة تميم: 126.

وآخرون ﴿عِتِيًّا﴾[1] بكسر أوله، لإتباع الكسر الكسر[2]، وكذلك ﴿جِثِيًّا﴾[3] بإتباع الكسر الكسر[4]، وكذلك قراءة طلحة بن سليمان، وطلحة بن مصرف (جِنِيًّا) بكسر الجيم إتباعا لحركة النون[5]، في قوله تعالى ﴿جَنِيًّا﴾[6] والظاهر أنّ الإتباع في النصوص القرآنية يعزى أيضا إلى الفاصلة والإيقاع المنسجم مع الآيات السابقة واللاحقة الواردة في سورة (مريم).

وقرأ النخعي(لِلهِ خِمِسهُ) بكسر الخاء على الإتباع يعني إتباع حركة الخاء لحركة ما قبلها في قوله تعالى ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[7]. وكقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾[8] وقرأ ابن مالك (الحِبُك) بكسر الحاء وضم الباء، إتباعا لحركة التاء في (ذاتِ) ولم يعتد بالساكن لأنه حاجز غير حصين، وقرأ الحسن وأبو مالك الغفاري (الحِبِك) بكسر الحاء والباء[9]، وفضّل أبو حيان قراءة ابن مالك (الحِبُك)، ((والأحسن عندي أن تكون مما أتبع فيه حركة الحاء لحركة ذات في الكسرة ولم يعتد باللام الساكنة لأن الساكن حاجز غير حصين))[10].

---

(1) سورة مريم: 8.

(2) التيسير في القراءات السبع: 148.

(3) سورة مريم: 68

(4) ينظر: مشكل إعراب القرآن (مكي بن أبي طالب): 2/ 457، البحر المحيط: 6/ 200، 208.

(5) المحتسب: 2/ 41، البحر المحيط: 6/ 184: 6.

(6) سورة مريم 25

(7) سورة الأنفال: 41.

(8) سورة الذاريات: 7.

(9) البحر المحيط: 4/ 494.

(10) م . ن: 8/ 133.

ويبدو لي أنَّ سبب قراءات الجر هو شيوع صوت الكسرة الذي يأتي في المرتبة الثانية من الفتحة في جو الآيتين اللفظي ذلك أنَّ الصوائت لها وظيفة التأثير في بناء الجملة، فنلاحظ انتشار الكسرة في (فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فقُرأ (خِمِسَهُ) للمماثلة بالكسرة، وكذلك تأثير واو القسم الجارة في بداية النص القرآني: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ فقُرأ (والسماء ذاتِ الحِبِك) أو (الحِبُك) في قراءتي الجر.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾[1] وقُرئت (بئيس) بعدة قراءات، منها ما حكى الزهراوي عن ابن كثير وأهل مكة (بِئْس) بكسر الباء والهمزة همزا خفيفا[2] وقُرئت (بِئِس) فجاءت هذه القراءة على الإتباع مثل فِخِذ وشِهِدَ[3]، وهو نوع من التقريب[4].

وتلعب ((ظواهر المماثلة والمخالفة والتغير الحركي دورا لا يستهان به. وأشهر هذه الظواهر تماثل حركة الفتحة مع كسرة المقطع التالي الذي يرد بخاصة في الفعل التام فَعِلَ، تقريبا يوجد تماثل صيغة فَعِلَ إلى فِعِل))[5].

2. فِعِيل:

يرتبط هذا الانسجام في الكسرة بالحروف الحلقية واللهجات العربية، إذ ذكر سيبويه لغتين هما فَعِيل، وفِعِيل إذا كان الثاني من حروف الحلق نحو لِئِيم

---

(1) سورة الأعراف: 165.

(2) ينظر: حجة القراءات: 300، البحر المحيط: 4/ 413.

(3) ينظر: المحتسب: 1/ 267.

(4) ينظر: دروس في علم أصوات العربية (جان كانتنيو): 182.

(5) دراسات في العربية (فيشر): 335.

وشِهيد وسِعيد ونِحيف[1] وبذلك يكون إتباع الفاء العين [2]، وعند ابن جني هو تقريب صوت من صوت[3]، وسمع عن الأعراب قولهم (ارحموا شيخا ضِعِيفاً)[4]، على أن ابن هشام اللخمي بنقله عن الليث جواز ذلك الإتباع الحركي بالكسرة من غير شرط أن يكون الحرف الثاني من الأصوات الستة الحلقية[5].

أكبر الظنّ أنَّ هناك توافقا صوتيا في (الصعوبة) بين أصوات الحلق التي هي من مخرج بعيد والكسرة الصائت القصير الضيق بسبب ضيق مجرى الهواء، يزاد على ذلك أن الصوائت كلها مجهورة، والجهر للصوت يسبب صعوبة بانقباض فتحة المزمار معها. تلك الصفة تنسجم مع لهجات دون أخرى مالت إلى أصوات تتشابه مع الطبيعة الجغرافية لهم

وهم البدو فصعوبة الحياة لديهم جعلتهم يبحثون عن ما يسهل تلك الصعوبة فأثر عنهم السرعة في الأداء النطقي والسرعة تتصف بالإنسجام الصوتي والمماثلة الحركية.

فَعُزي الإتباع في (فِعيل) أو(فِعيلة) إلى تميم لذا كل ((ما كان على فعيل أو فعيلة وعينه حرف حلق اسما كان أو صفة فإنه يجوز كسر أوله إتباعا لحركة عينه

---

(1) الكتاب: 4/ 107 ـ 108

(2) المزهر: 2 / 94.

(3) الخصائص: 2/ 143.

(4) المزهر: 2/ 94.

(5) لحن العامة (عبد التواب): 225، 238.

وهي لغة تميم تقول رِئي وبِهِيمة وسِعِيد وصِغِير وبِحِيرة ونِجِيل))[1] وكذلك عزي إلى أسد بإطراد[2].

إنَّ ظاهرة الإتباع في هذه البنية قد خرجت في طائفة من الأمثلة عن قيد كون عين الكلمة صوتا حلقيا فاطردت عند جماعة من العرب في غير ذلك[3]. وفي ذلك إشارة إلى بعض اللهجات العربية التي تؤثر الانسجام في الأصوات بعيدا عن التقعيد وفي(فِعيل أو فِعيلة) ((يتضح تأثير صوت المد المتأخر في صوت المد المتقدم ليماثله الذي يسمى إتباعا رجعيا أي تأثر الصوت الأول بالصوت الثاني))[4].

ونجد في القراءات القرآنية ذلك الإتباع، كقراءة يحيى بن وثاب والأعمش (نِستعين) في ﴿نَسۡتَعِينُ ﴾[5]، وهذه لغة تميم وأسد وقيس وربيعة[6]، وقرأ نافع (بعذاب بيس) في﴿ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ ﴾[7] ((بكسر الباء من غير همز أو ينون))[8] وهو ((فعل من البؤس ترك همزه فأبدلت الياء من الهمزة لثقل الهمزة لأن الياء أخف منه))[9]، وجاءت قراءة (بِئِيس) كشِعِير وبعير، فكسر أوله لكسر الهمزة

(1) إعراب القرآن (النحاس): 1/ 117، البحر المحيط: 3/ 409.

(2) في اللهجات: 87 ـ 88.

(3) ينظر: في الأصوات اللغوية: 184.

(4) م.ن: 185.

(5) سورة الفاتحة: 5.

(6) إعراب القرآن (النحاس): 1/ 173.

(7) الأعراف: 165.

(8) السبعة: 296.

(9) حجة القراءات: 300.

بعده[1]. وزعم اللّيث أنَّ من العرب قوما يقولـون في كـل مـا كـان علـى فَعيـل يكون(فِعيل) بكسر أوله، نحو كِثير وكِبير وكِريم، وما أشبه ذلك [2].

3. فِعِلات:

يطّرد هذا البناء في جمع المؤنث السالم إذا كان مفرده علـى صـيغة (فِعْلـة)، ((وما كان (فِعْلةً) فإنك إذا كسرته على بناء أدنى العدد أدخلت التـاء وحرّكـت العين بكسرة، وذلك قولك قِرِباتٌ وسِدِراتٌ وكِسِراتٌ))[3] فتحرك العين يكـون بـالفتح في المفتـوح كَجَمَـرات وبالكـسر في المكـسورات كـسِدِرات بالـضم في المضمومات كغُرُفات، وقد تسكن في الضرورة[4].

وفي قولـه سـبحانه ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾[5] قُرِئـت بنِعِمـات الله، وعلـل الفـراء الإتباع بالكسرة ((هو أنهم اسـتثقلوا أن تتـوالى كـسرتان في كلامهـم كمـا قـالوا سِدِرات. والجمع على فعلات قليل عند العرب، إنما يجمعـون علـى فِعَـل ؛مثـل سِدْرة وسِدَر وخِرْقَة، وخِرَقَ، والسبب في عدم جمعه بالتاء لأنهم يلزمون أنفسهم كسر ثانيه إذا جُمع))[6].

4. مِفْعِل:

وهو بناء قليل في العربيـة، ((ولـيس في الكـلام مَفْعُـل بغـير الهـاء ولكـن

---

(1) المحتسب: 1/ 267.

(2) لحن العامة: (عبد التواب): 239.

(3) الكتاب: 3/ 580 ـ 581 .

(4) المفصل: 238، شرح الرضي على الشافية: 2/ 109، همع الهوامع: 1/ 89.

(5) سورة العنكبوت: 67.

(6) معاني القرآن (الفراء): 2/ 329 ـ 330.

(مِفْعِل) قالوا (مِنْخِرٌ) وهو اسم))[1] والسبب في كسر أوائل هذين الحرفين إتباعا لكسرة العين[2]. ونقل السيوطي عن ثعلب وابن السكيت: كل اسم في أوله ميم زائدة على مفعل ومفعلة مما ينقل أو يعمل به مكسور الأول نحو مطرقة ومروحة ومرآة[3] وعلى مِفْعِل لم يجيء إلا اسماً نحو (مِنْخِر) وهو إتباع والأصل فيه مَنْخِر بفتح الميم، وأجاز سيبويه الوجهين[4].

وحكى سيبويه ثلاث لغات: مُنْتِن وهو الأصل، ثم يليه مِنْتِن، وأقلها مُنْتُن[5]، وفي قوله تعالى: ﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾[6]، قرأ النضر عن ابن مسلم (مِجْمِعَ) بكسر الميمين، الأولى والثانية، ولعل كسر الأولى إنما جاء من باب الإتباع للثانية، وهو شاذ، وقياسه فتح الميم كقراءة الجمهور[7]، وقوله تعالى على لسان مريم (عليها السلام) ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[8] وقرأ الأعمش وأبو جعفر (مِنسِيًّا) بكسر الميم إتباعا لحركة السين كما قالوا (مِنْتِن) بإتباع حركة الميم لحركة التاء[9]

فالحركات تختص بانعدام قياس الحاجز في جهاز التصويت فيمر النفس

(1) الكتاب: 4/ 273.

(2) المزهر: 2/ 55.

(3) المزهر: 2/ 107.

(4) الممتع في التصريف: 1/ 77.

(5) الكتاب: 4/ 109.

(6) سورة الكهف: 60.

(7) البحر المحيط: 6/ 145، روح المعاني: 15/ 312.

(8) سورة مريم: 23.

(9) مختصر في شواذ القراءات: 84، البحر المحيط: 6/ 183.

الجهور حرا طليقا عند النطق بها[1]. ((قد تؤثر الحروف والحركات في نطق الحركات المجاورة لها فينتج عن ذلك تغييرات مختلفة تلحق هذا النطق. فقد يطرأ على الحركات ما يطرأ على الحروف من عمليات صوتية مثل التماثل والتباين والقلب نحو ما وقع في العربية من تأثير حركة في حركة أخرى على سبيل التجانس في قولهم (في رِجْلِهِ) عوض قولهم (في رِجْلِهُ)[2].

ثالثاً: الانسجام الصوتي بالضمة

العربية تنظر في بعض الأحيان إلى الضمة والكسرة على أنهما يمثلان كتلة واحدة مقابل الفتحة. فالصوتان من ناحية التشريح صوت مد ضيق، ومن الناحية الفيزياوية كذلك متقاربان[3]. والكسرة والضمة((كانتا حرفين انتقاليين، فهما حركتان ناقصتان، غير معينتين ليس بينهما فرق معلوم ثابت، بل صوتهما تابع للحروف الصامتة، السابقة والتالية لهما في الكلمة))[4].

على الرغم مما تتصف به الضمة بالثقل فهي تمتاز بالقوة بالمقارنة مع الحركات الأخرى، فهي تحتمل الثبوت على الحرف[5]. ويبقى الاستعمال ومدى تمكن المتكلم من بلاغته في الكلام أثر في تحويل الثقيل إلى خفيف[6].

---

(1) دروس في علم أصوات العربية: 143.

(2) م.ن: 146.

(3) ينظر: في الأصوات اللغوية: 256 ـ 257.

(4) التطور النحوي: 56.

(5) ينظر: جرس الألفاظ: 158 .

(6) م . ن: 161.

1. فُعُـلْ:

يعد هذا البناء منتشرا في اللغة والقراءات واللهجات، على الرغم من ثقل هذا التتابع في الضمة، وعلل ابن جني ذلك مستشهدا بقول سيبويه من موضعين: ((أحدهما أنّ سيبوية قال: واعلم أنه قد يقل الشيء في كلامهم وغيره أثقل منه كل ذلك لئلا يكثر في كلامهم ما يستثقلون فهذا قول، والآخر، أنّ الضمة وإنْ كانت أثقل من الكسرة فإنها أقوى منها، وقد يحتمل للقوة ما لا يحتمل للضعف))[1].

وسَنَّ طريق أنَّ ((كل اسم ثلاثي أوله مضموم وأوسطه ساكن فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه، مثل عُسْر، وعُسُر، ورُحْم، ورُحُم، وحُلْم وحُلُم))[2]، ذلك أنَّ وقوع الصوت في وسط الكلمة يعرضه لكثر من صنوف التطور والانحراف[3]. وذكر الفارابي أمثلة لهذا الانسجام مثل الجار الجُنُب والحُقُب، والرُّعُب، والعُقُب، والسُّحُت، الخ[4]، وقد تتبادل الصوائت فيما بينها محققة الانسجام الصوتي نحو عُمُر في عُمَر، رُطُب في رُطَب، دِمِشْق في دِمَشْق وهي خاضعة لقوانين التطور اللغوي بشكل مطرد[5].

وكان لهذا الإتباع الحركي في الضمة حضور في لهجات البدو، فقد((مالت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة، لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية. فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل

(1) الخصائص: 1/ 68- 69.ينظر: الكتاب: 4/ 113، 431.
(2) المزهر: 2/ 109.
(3) ينظر: علم اللغة (وافي): 279 ـ 280.
(4) ديوان الأدب: 1/ 259.
(5) لحن العامة (عبد التواب): 279.

البدوية تضم))[1] والضمة تحتاج إلى جهد عضلي أكثر، لأنها تتكون بتحرك أقصى اللسان، في حين أنّ الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه. وكان من المتوقع ميل البدوي إلى الكسرة لأنها تحقق الاقتصاد في الجهود العضلي، ولكن الضم من صفات الخشونة التي يحرص عليها البدوي[2].

وسجلت القراءات القرآنية نسبة كبيرة من التماثل الحركي في الضمة، وعده مكي بأنه الأصل، فجاءت قراءة الكسائي(فَسُحُقاً) بضم الحاء، وقرأ الباقون ﴿فَسُحۡقًا﴾[3] بإسكان الحاء على وجه التخفيف. وهما لغتان كـ (العُنُق) و(العُنْق)[4]، ومن القراءات التي وُجِهَتْ توجه اللغات، ﴿وَأَقۡرَبَ رُحۡمًا﴾[5] يقرأ بضم الحاء واسكانها.وهما لغتان كالعمر[6] فمن قرأ بالضم ابن عامر (رُحُما)، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي (رُحْماً) ساكنة الحاء، ورُوي عن أبي عمرو جواز القراءتين ثم استدرك (وأنا أقرأ رُحُما بالضم)[7] وكانَ الاجماع في القراءة ﴿ٱلۡقُدُسِ﴾[8] بضم الدال على الأصل،

---

(1) في اللهجات: 81، من أسرار اللغة (ط8): 50.

(2) ينظر: في اللهجات: 85.

(3) سورة الملك: 11.

(4) الكشف عن وجوه القراءات: 2/ 329.

(5) سورة الكهف: 81.

(6) الحجة في القراءات السبع: 229.

(7) السبعة: 397، حجة القراءات: 427.

(8) سورة البقرة: 54.

ولقلة حروف الكلمة وخفتها في حين قرأ ابن كثير بإسكان الدال (القُدْس)، على الاستخفاف لتوالي ضمتين، وهي لغة، كما تقول العرب الحُلُم والحُلْم[1].

وقرئت ﴿ الأذن بالأذن ﴾[2] بضم الذال وإسكانها فالحجة لمن ضم أنه أتى ذلك ليتبع الضم الضم والأصل عنده الإسكان. ومنْ أسكن فالحجة له أنه خفف لثقل توالي الضمتين والأصل عنده الضم، ويمكن أن يكون الضم والإسكان لغتين[3].

ومن القراءات التي آثرت الانسجام الحركي في الضمة، قراءة الزهري (جُدُدٌ) في ﴿ جُدَدٌ ﴾[4] التي هي قراءة الجماعة[5]، وقراءة الجمهور ﴿ قُبُلًا ﴾[6]، وعزي الضم فيها إلى لهجة تميم، والذي قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي بضم القاف والباء في الأنعام والكهف، وقرأ نافع وابن عامر في السورتين (قِبَلا) بكسر القاف وفتح الباء[7]، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو في الأنعام بالضم، وفي الكهف (قِبَلا) بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الأعمش (إلاّ رُمُزا) في قوله سبحانه ﴿ إِلَّا رَمْزًا ﴾[8] بضمتين، وقد وجّه ابن جني تلك القراءة بأنه جعل واحدتها رُمْزَة،

(1) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 253.

(2) سورة المائدة: 45.

(3) الحجة في القراءات السبع: 131.

(4) سورة فاطر: 27.

(5) المحتسب: 2/ 199 ـ200

(6) سورة الأنعام: 111، سورة الكهف: 55.

(7) ينظر: السبعة: 265 ـ 266، التيسير: 106، 144

(8) سورة آل عمران: 41.

مثله جُمْعَة وجُمُعَة، أو أن يكون جَمَع رُمْزة على رُمْز، ثم اتبع الضم الضم، كما قيل: ما سمع في شيء فُعْل إلا سمع فيه فُعُل[1] ووجه أبو حيان قراءة الضم الضم على أنه جمع رموز كرسل ورسول، على أنه مصدر كرمز جاء على فعل وأتبعت العين الفاء كاليُسُر[2]. وقد ورد ذلك الإتباع بالضم في لفظة (عُمُر) في القرآن الكريم[3] والنماذج الذي ورد فيها هذا النوع من الإتباع كثيرة[4]. وقد ذكر ابن قتيبة ما جاء على لغتين في (فُعُلٌ، وفُعَلٌ)[5] أو ما جاء على (فُعُل وفُعْل)[6].

الظاهر أنَّ اختلاف القراءات في الإتباع بـ(فُعُل) أو عدم الإتباع يعود إلى أمرين:

- أولهما: أنَّ الإتباع أسهل على اللسان بتتابع صائت واحد فهو أيسر من الانتقال من صائت إلى صائت مختلف عنه،
- ثانيهما: انَّ القراءات انعكاس للهجات ـ غالبا ـ تميل إلى المماثلة الحركية بالضم على الرغم من ثقل الضمة إلا أنها تلبي حاجة البدوي فهي أوضح وأقوى. فيريد أصواتا واضحة وقوية في وسط الصحراء الوارفة. إلا أنَّ بعض اللهجات تفر من الضمة - لثقلها - إلى التخفيف الذي يمثله

(1) المحتسب: 1/ 161 ـ 162.

(2) البحر المحيط: 2/ 453.

(3) سورة يونس: 16، الشعراء: 18، فاطر: 11.

(4) ينظر: مختصر في شواذ القراءات: 26، السبعة في القراءات: 233، البحر المحيط: 3/ 181.

(5) أدب الكاتب: 429.

(6) م . ن: 430، المزهر: 2/ 111 ـ 112.

السكون أو الفتحة، والتي وصفت بلهجات المدينة. غير أنَّ ذلك ليس مطلقا فذكر النحاس أنّ ((لغة أهل الحجاز وبني أسد الثُلُث والربُع إلى العُشُر، ولغة بني تميم وربيعة الثُلْث بإسكان اللام إلى العُشْر))[1] فالحجاز آثرت الضم هنا وهي تمثل الحضارة والمدنية.

2. فُعلة:

يحصل الانسجام في هذا البناء بتأثر ((حركة أوله بصوت العلة (الواو) تأثرا مدبرا، إذ تتغير هذه الحركة من الفتحة أو الكسرة إلى الضمة تجانسا مع صوت الواو بعدها))[2]. وجاءت قراءة حمزة، وخلف، والأعمش برفع فاء الكلمة في (جُذْوَة) في (جَذْوَةٍ)[3] التي قرأ بها عاصم، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي (جِذْوَة) بكسر الجيم[4]، وأجاز الفراء القراءات الثلاث، وهي مثل عِشْوة وعُشْوة وعَشَوة، والرَّغوة، والرُّغوة، والرِّغوة، ومنه رَبْوة ورُبْوة، ورِبْوة[5]وكان عاصم يقرأ(أُسْوة) برفع الألف في كل القرآن، ويعزى الضم إلى قيس. وكان الحسن وأهل الحجاز يقرؤون (إسْوَة) بالكسر في كل القرآن[6]. ويبدو لي أنَّ العلة الأخرى في ضم الحرف الأول في (أُسوَة) هو وقوع اللفظة في موضع الرفع في كل القرآن مما حقق توافقا بين الصائت (الضمة) والموقع

---

(1) إعراب القرآن: 1/ 399.

(2) الإتباع الحركي في اللغة العربية: 140.

(3) القصص: 29.

(4) ينظر: السبعة: 493، التيسير: 171.

(5) ينظر: معاني القرآن (الفراء): 2/ 305 ـ 306، الحجة في القراءات السبع: 277.

(6) ينظر: م.ن: 2/ 339، إعراب القرآن، (النحاس): 3/ 309

الدلالي والإعرابي للفظة: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1]، و﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[2]، و﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[3]

ونسب الفتح للحجاز والضم لتميم، فأهل الحجاز يقولون تركته بتلك العَدْوة، وَعَشْوَة، وإسْوة، وقِدْوَة، وتميم تضم أوائل الأربعة[4]، وعند ابن قتيبة أنهما لغتان فيمن جاء على (فِعْلة) و(فُعلة)[5]

3. فُعُول:

في هذه البنية نجد تأثير الصائت الطويل(الواو) في الفاء والعين وهو التأثر المدبر. ويقع في جمع التكسير للثلاثي(فَعْل) في الغالب الذي يكون على (أفْعُل) و(فُعُول) مثل فلْس على أفْلُسٍ وفُلُوس[6]، ويقع في المصادر، إذ جعله ابن قتيبة في باب(المصادر المختلفة عن الصدر الواحد)، نحو وَجدْتُ في الحزن وَجْدا، ووجدت الشيء وِجْدانا ووُجودا، وغيرها[7]. ثم ذكر ما جاء على الأصل مفتوحا والعامة تضمه[8].

واختلف القراء في الضم والكسر للحرف الأول في﴿ ٱلْبُيُوتَ ﴾[9]،

(1) الأحزاب: 21.

(2) الممتحنة: 4.

(3) الممتحنة: 6

(4) ينظر: المزهر: 2/ 240.

(5) ينظر: أدب الكاتب: 434.

(6) ينظر: شرح الرضي على الشافية: 2/ 89.

(7) ينظر: أدب الكاتب: 257 ـ 262، إصلاح المنطق: 109، القاموس المحيط: 1/ 591.

(8) أدب الكاتب: 304.

(9) سورة البقرة: 189.

﴿ٱلْغُيُوبِ﴾[1]، و ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾[2] و﴿شُيُوخًا﴾[3]، و ﴿ٱلْعُيُونِ﴾[4]. قـــرأ ورش وحفص وأبو عمرو بالضم في أوائلها. ووجه القراءة بالضم أنه أتى بهن على الأصل، ولم يسأل عن الياء وضمتها، وباب (فَعْل) في الجمع الغالب فيه (فُعُول)، إذا لم يكن الثاني ياء نحو كُعوب ودُهور[5]، وإنما ضُم أول هذا الجمع ليشاكل ضمه الثاني والواو بعده[6].

وقرأ قالون وهشام بكسر الباء فقط في (البيوت) وضم باقيها. ووجه هذه القراءة أن الكسرة مع الياء أخف من الضمة، والجمع ثقيل فكسر الأول لخفته مع الياء. وقرأ حمزة بالكسر في أوائلها كلها للتقريب من الثاني، وقوي ذلك فيه، وليس بحرف حلق، لأنه جمع، ولأنه حرف ثقيل عليه حركة ثقيلة، والكسر جاء للإتباع[7]. وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي (الغُيوب) بضم الغين وكسر باقيها[8] والوجه لهذه القراءة أنه جمع بين لغتين، واختار مكي الضم لأنه الأصل[9].

وقد ورد في بناء (فُعُول) انسجام أصوات اللين، وتأتي صفة فقط، وأثبت

---

(1) سورة المائدة: 109.

(2) سورة النور: 31.

(3) سورة غافر: 67.

(4) سورة يس: 34.

(5) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 284.

(6) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (العكبري): 1/ 157.

(7) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 284 ـ 285.

(8) السبعة في القراءات: 187.

(9) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 284 ـ 285.

رأي آخر انه يأتي اسما[1] ونقل السيوطي في المزهر عن سيبويه: لم يأت في الكلام على فَعُول اسم ولا صفة، وقال غيره قد جاء سُبُّوح وقُدّوس وذُرُّوح[2]. وقد ورد عن العرب أنها تكلمت بالضم والفتح، وهما السُّبُّوح والقُدُّوس. وبعضهم يقول: السَّبُّوح والقَدُّوس فهو ضرب من التطور اللغوي بضم أول الكلمة لكي تنسجم هذه الحركة مع حركة الضم التالية لها[3] ولا يُستبعد أن تكون لغتين. و((الضم فيها أكثر))[4].

4. مُفْعُل:

اسم الآلة له ثلاثة أوزان قياسية هي: مِفْعَل، ومِفْعلة، ومفعال[5]، وقد يأتي بناء (مِفعَل) على (مَفْعَل) للانسجام الصوتي على أنَّ كسر الميم له غاية بالفرق بينه وبين المصدر أو اسم المكان، ((فأن ميمه تكون مكسورة كأنهم أرادوا الفرق بينه وبين ما يكون مصدرا أو مكانا (فالمِقَص) بالكسر ما يقص به والمَقَص بالفتح المصدر والمكان))[6].

وقد ورد سماع بعض الألفاظ على مثال (مُفْعُل) بضمتين نحو: المُسعُط والمنخل والمدق، والمدهن، والمنصل، والمكحلة، والمحرضة[7] وكانت الغاية في

---

(1) المزهر: 2/ 56.

(2) م . ن

(3) لحن العامة (عبد التواب): 111.

(4) فصيح ثعلب: 47.

(5) المخصص: 14/ 198.

(6) شرح المفصل 6/ 111، شرح المراح: 135، الاشتقاق (أمين) 276.

(7) المفصل: 340، شرح الشافية: 1/ 186، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (ابن مالك): 209.

الإتباع الحركي بالضم هو إثبات أنها أسماء أوعية لا على سبيل الفعل[1] وعلل الفراء الضم تشبيهة الميم بما هو من الأصل، كأنه فُعلول. وعلة الكسر تشبيهها بفِعليل وفِعلِل[2].

وهذه الألفاظ[3] جاءت نوادر بضم الميم والعين، وكان القياس الكسر[4]، وأورد السيوطي عن الفراء أنه لم يجيء الضم في الآلات إلا مُسْعُط ومُكْحُلة ومُدهُن والبواقي بالكسر[5]. هذه الألفاظ عند سيبويه أسماء فقالوا المُدُقُّ لأنهم جعلوه اسما له كالجُلْمُود يعني أنه لو كان على الفعل لكان قياسه المِدَقّ أو المِدَقّة لأنه مما يُعتمل بها وهو أحد ما جاء من الأدوات التي يعتمل بها على مُفْعُل بالضم[6]. وهي عند البعض الآخر شاذة[7].

والظاهر أنَّ ما ذهب إليه اللغويون القدماء من أنها من النوادر، أو أنها شاذة عن القياس دليل على انتمائها إلى أسماء الآلة من حيث المبنى، أما من حيث المعنى فقد ذكر الفارابي دلالتها على المدلول لاسم الآلة[8]. وأنَّ الذي جعلها في حكم النوادر أو الشاذة أنها وردت (سماعية). وسيبويه من المدرسة البصرية التي قيدت السماع وأطلقت القياس حتى أصبح متكلفا في بعض الأحيان.

---

(1) شرح الشافية: 1/ 186 ـ 188.

(2) معاني القرآن: 2/ 152.

(3) فصيح ثعلب: 53، الممتع في التصريف: 1/ 78.

(4) إصلاح المنطق: 218، المزهر: 2/ 107.

(5) المزهر: 2/ 76.

(6) لسان العرب (دقق).

(7) درة الغواص (الحريري): 188..

(8) ديوان الأدب/ 1/ 293.

المبحث الثاني
الانسجام الصوتي في الأفعال

1. فَعَـلَ:

الثلاثي الصحيح ثلاثة أضرب: فَعَل وفَعُلَ وفَعِلَ[1]. وما يهمنا هنا الباب الأول لأن فيه انسجاما صوتيا، وله علاقة مع الفعل المضارع، إنَّ هـذا البنـاء لـه عدة مسوغات هي:

1. في بناء فَعَلَ يَفْعِلُ ((فلا يجيء في الأمر العام حتى يكون فيه حرف من حروف الحلق)) [2]، ويأتي في بابين، الأول فَعَلَ، يَفْعُل، نحو: نَصَرَ يَنْصُر، والثاني: فَعَلَ يَفعِل، نحو جَلَسَ يجلِس، والثالث: فَعَلَ، يَفْعَل نحو فَتَحَ يَفْتَح. وأكثر ما يأتي هذا الباب أن يكون ثانيه أو ثالثه حرفا حلقيا، لأنّ حروف الحلق تؤثر الفتح، للتقارب المخرجي، واقتصادا للجهد النطقي وهي الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء[3]، إلا خمسة، وردت على هذا البناء وليس معها حروف الحلق: عشَى يَعشَى، قَلَى يَقلى، وحَيَى يَحيَى، وركَنَ يَركَن، وأَبَى يأبَى[4] وفي القرآن الكريم وردت أفعال أيضا فيها استثناء وهي (نزع، قعد، رجع، بلغ، زعم، نفخ، نكح)[5].

(1) ينظر: المزهر: 2/ 99، المنهج الصوتي للبنية العربية: 65.

(2) التكملة: 509.

(3) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية 65 ـ 66.

(4) ينظر: المزهر: 2/ 96.

(5) ينظر: من أسرار اللغة: 47.

2. علل د. بول كراوس التغير في حركة الفعل في عينه بأن ذلك مرتبط بالتفرقة بين المتعدي واللازم[1]، ونجد أبنية الأفعال المتعدية على ثلاثة أضرب أغلبها للفعل الماضي على بناء (فَعَلَ)، وهي فَعَلَ يَفعِلُ، وفَعَلَ يَفْعُلُ، وفَعِلَ يَفْعَلُ[2].

3. يجيء هذا الوزن مصدرا للفعل اللازم على القياس، نحو فَرِحَ فَرَحاً[3].

وذكر ابن قتيبة أنَّ الأجود هو فتح الحرف الثاني أي (فَعَلَ)، وهو الأصل على حين أن الناس تستعمل الأضعف في كسر الحرف الثاني أي (فَعِلَ)، أو ضم الثاني (فَعُلَ)، نحو: الناس تقول: حَذِقَ الغلام القرآن، وشَحُبَ لونه، ورَعُفَ الرجل، وفَسُدَ الشيء. والأجود في ذلك كله على (فَعَلَ) أي حَذَقَ، وشَحَبَ، ورَعَفَ، وفَسَدَ[4]، ومنهم من يسكّن الثاني وهو في الأصل محركا نحو: شَرْعٌ وشَرَعٌ[5]، وبين تفسير القدماء والمحدثين لظاهرة تغير الصوائت في الفعل اختلاف فعند ابن جني والسيوطي وغيرهما أنها من باب تركب اللغات وتداخلها[6]، والمحدثون ومنهم د. إبراهيم أنيس عزا ذلك إلى قانون عام هو (انسجام أصوات اللين) في الكلمة الواحدة[7]، وكان هو الأساس في تفسير ظاهرة تداخل الأبواب فيمكن أن ننسبه إلى تعدد لهجات[8].

---

(1) ينظر: في الأصوات اللغوية: 254.

(2) ينظر: التكملة: 508.

(3) ينظر: شرح ابن عقيل: 2/ 123.

(4) ينظر: أدب الكاتب: 325.

(5) ينظر: م . ن: 297.

(6) ينظر: الخصائص: 1/ 374 فما بعدها، المزهر: 1/ 265.

(7) ينظر: في اللهجات العربية: 60.

(8) ينظر: من أسرار اللغة: 50.

ويبدو أنَّ عدم استقرار بنية الفعل الماضي من جهة، وبنية المستقبل من جهة أخرى، يعزى إلى التركيب الفسيولوجي لجهاز النطق. إذ إنَّ الإبقاء على حالة صائتية واحدة بأكثر من ثلاثة يمكن أن تحدث ثقلا على اللسان أي نطقه مقطعا واحدا، على حين أن تعدد المقاطع يسبب خفة، معناه أنَّ التغيير ذاتي، وهذا ما نحسه في نطق فَتَحَ يَفْتَحُ من ثقل، أما في نَصَرَ يَنْصُرُ فلا نحس بهذا الثقل، فالأول نجد فيه توالي الصائت القصير (الفتحة) خمس مرات، بالإضافة إلى الانتقال من فتح إلى ضم في المستقبل، في حين أن الباب الآخر تكررت فيه الفتحة أربع مرات. فهذا العدد أقل من السابق، ثم نجد الخفة في المستقبل بنطق ضمتين الذي يسبب انسجاما في المماثلة الحركية.

2. يَفْعَلُ:

يقع هذا البناء في الباب الثالث: فَعَلَ يَفْعَل، والرابع: فَعِلَ يَفْعَل، فإذا كان لام الفعل أو عينه حرفا من حروف الحلق كانت عين المضارع مفتوحة نحو: قَرَأَ يَقْرَأ، وثَأَرَ يَثْأَرُ[1]، وذلك ((أنهم ضارعوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعا منه مخرج الألف التي منها الفتحة))[2]، وهي عند ابن جني من التقريب ويقصد بذلك تقارب المخارج بين حروف الحلق والفتحة.

كان من المفروض أن يكون المضارع فَعَلَ يَفْعُل، أو يَفْعِل تبعا لقانون المغايرة، غير أنها تحولت إلى فتحة لوقوعها مع صوت الحلق في مقطع واحد، والسبب هو أنَّ اللسان في نطق الحروف الحلقية، يجذب إلى وراء مع بسط

(1) ينظر: الكتاب: 4/ 101.

(2) الخصائص: 2/ 143، وينظر: دروس في علم أصوات العربية: 182، في تاريخ العربية: 28.

وتسطيح له، وهذا عين وضعه في نطق الفتحة[1]، ويمكن أنْ نجد سهولة الفتح قد غلب على قانون المغايرة في بعض اللهجات العربية، والآن فتحة عين المضارع يمكن أن يقابلها الكسر أو الضم في الماضي في أفعال مثل خلُص يخلَص[2].

ونجد أنَّ حرف الحلق قد غلب على قانون المغايرة. وقد جاء في القاموس المحيط من هذه الأفعال نحو (506) من الأفعال، وذلك لقوة هذه الأصوات[3]، وهذا التأثير من هذه الأصوات في الحركة التالية له، وقلبه إياها فتحة، اتفاق نادر بالنسبة لغيره[4]. ومن العرب من يقول (شَمَلَ) بالفتح من الماضي وضمها في المستقبل، ومنهم من يقول شَمِلَ بالكسر يَشْمَل بالفتح، وهاتان اللغتان أجود من تداخل اللهجات بأن يأخذوا الماضي من هذا الباب والمستقبل من الأول، وليس ذلك بقياس[5] أي بتداخل اللغات واللهجات على أنَّ فتح العين هو الأصل في (يَفْعَل)[6].

وقد استعمل القرآن نسبة متوازية في استعماله للأبواب، ((فنحن نرى أنَّ لغة القرآن الكريم، وهي لهجة موحدة، منسجمة لا شك في هذا، وقد استعملت أفعالا قيل عنها: إنها مشتركة بين بابي ضرب ونصر، فاختارت في ستة منها (ضرب) وفي ستة أخرى باب نصر، وتلك نسبة متعادلة تثير الدهشة والعجب))[7].

---

(1) التطور اللغوي (عبد التواب): 72.

(2) من أسرار اللغة: 45 ـ 46.

(3) م.ن: 45، 47.

(4) التطور النحوي: 64.

(5) المزهر: 1/ 256.

(6) شرح المفصل: 7/ 153.

(7) من أسرار اللغة: 51.

المبحث الثالث

الفاصلة القرآنية

عُرِّفَت الفاصلة أكثر من تعريف، فعند الرماني: ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني))[1]، وهو يعني هنا أنَّ الفاصلة تحمل أمرين: المبنى والمعنى، فكلاهما يطلب الآخر، وعند أبي عمرو الداني أنَّ الفاصلة ((كلمة آخر الجملة))[2].

وقد قصر المتقدمون ـ ومنهم الرماني ـ الفاصلة على النظم القرآني نافين السجع عنه وتبعه الباقلاني في ذلك ونقل الاشعرية عنه هذا ونص عليه أبو الحسن الأشعري[3]، ولعل تعريف الزركشي هو الأكثر تداولا: إذ قال ((الفاصلة هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع))[4]، ((فالتعريفات متقاربة والمفهوم مختلف بين أصحاب إعجاز القرآن وبين البلاغيين. فأصحاب الإعجاز أرادوا أن يخصصوا للقرآن الكريم مصطلح الفواصل، ولما كان قسم من الفواصل القرآنية توافق السجع جعلها البلاغيون سجعا))[5].

---

(1) النكت في إعجاز القرآن: 89.

(2) الإتقان في علوم القرآن (السيوطي): 2/ 260.

(3) البرهان في علوم القرآن (الزركشي): 1/ 54، الفاصلة في القرآن (محمد الحسناوي): 41.

(4) البرهان: 1/ 53.

(5) الفاصلة القرآنية طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها (زهير غازي زاهد) بحث قيد النشر.

وظيفتها الإيقاعية:

للإعجاز القرآني أكثر من وجه، ومن وجوهه الموسيقى والإيقاع الداخلي، بل هو جزء لا ينفصل عن الإعجاز الذي يثير المتعة والتأثير في المتلقي، حتى أثر الإيقاع بأساطين البلاغة والفصاحة، فمرة يقولون إنه شعر، لأن موسيقاه وأوزانه وإيقاعه الداخلي قريب من الشعر، ثم سرعان ما أدركوا أن هذا الإيقاع يفوق حسنه وجماله موسيقى الشعر، وإنْ كان من جنس كلامهم.

ونلخص القول بأنّ المعجزة الخالدة، ليس نصا شعريا خالصا ولا نثرا خالصا، بل هو قرآن تميز عن الصناعتين بأن جمع بين خصائص الشعر والنثر ((فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة، والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تُغْني عن التفاعيل، والتقفية التي تغني عن القوافي))[1].

الفاصلة ذات ((قيمة صوتية جمالية ترتبط أشد الارتباط بموسيقى النص القرآني، كما ارتبط الإيقاع بذلك من قبلها))[2] فالإيقاع في المقاطع اللغوية في الآية متوازنة وإيقاع بيت الشعر موزونة ووزنها مطابق لوزن الأبيات الأخرى من القصيدة، فهناك فرق في الوزن وفي نوع قافية الشعر عن الفواصل في القرآن، فمن السور ما جميع فواصل آياتها بإيقاع متوازن وموحد الحرف في الفواصل مثل: (سورة القمر، الأعلى، الشمس، الليل)، ومنها ما أكثر فواصل حروفها

(1) التصوير الفني في القرآن (سيد قطب): 86.

(2) البيان في روائع القرآن: 1/ 202.

موحدة (كسورة النجم) وعدة آياتها (62) منها (56) فواصلها موحدة الحرف و(6) متوازنة[1]. فالفاصلة القرآنية مرتبطة بعلاقة موسيقية ذات قيمة كبرى بفواتح السور والمضمون، فقامت مقام القافية في الشعر والسجعة في النثر، والفرق هو حرف الروي[2].

فالإنسجام يحصل في الإيقاع من تناسب بين فقرات النص وأصواته في الارتفاع والانخفاض تناسبا موسيقيا منسجما، منتجة توافقا ترتضيه الأذن[3]، ونجد أكثر من ظاهرة في القرآن لحفظ التوازن والانسجام منها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، والعدول من لفظة إلى أخرى، وغيرها، يحصل هذا لأكثر من علة، منها التوازن الإيقاعي، والظواهر هي:

التقديم والتأخير:

ومنه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[4]، فعند الزمخشري إنَّ تقديم المفعول على الفعل هنا جاء للاختصاص أي لاختصاص العبادة والاستعانة لله وحده[5]، في حين أنكر ابن الأثير على الزمخشري ذلك، وعنده أن مسوغ التقديم جاء لمكان نظم الكلام، لأنه لو قال (نعبدك ونستعينك) لم يكن له من الحسن ما لقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فجاء مراعاة للفاصلة على حرف النون[6] ومنه

(1) الفاصلة ا لقرآنية طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها.

(2) التقابل الجمالي في النص القرآني: 134.

(3) التنغيم اللغوي في القرآن الكريم (سمير ابراهيم): 159.

(4) سورة الفاتحة: 5.

(5) ينظر: الكشاف: 1/ 7.

(6) المثل السائر: 2/ 36.

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[1]، وتقدير الكلام (فأوجس موسى في نفسه خيفة)، فقدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر قصدا لتحسين النظم[2]، فالجرس الموسيقي، والاتزان الإيقاعي يظهر بحلة خلابة في موقع التقديم والتأخير وهذا ما نتذوقه من حلاوة النغم القرآني والأمثلة كثيرة. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾[3] فقدم المفعول(آل فرعون) على فاعله (النذر) الواقع فاعلا لأكثر من مسوغ، منه مراعاة لفواصل الآيات ما قبله(مُدَّكر)، (مُستَقِر)، وبعده (مُقتَدِر)، و(الزُّبُر) وغيرها، ومنه أنَّ التقديم حقق الاهتمام بالمقدم في أن (آل فرعون) لم يؤمنوا بالإنذار على لسان موسى وهارون، ثم أنَّ التقديم والتأخير حقق إيقاعا ونغما بترددات إيقاعية عذبة. ومنه قوله سبحانه: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[4] بتقديم (إياه) على (تعبدون) لمشاكلة رؤوس الآي[5].

ومن أساليب التقديم والتأخير تقديم ما هو متأخر من الزمان، كقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾[6] فقدم (الآخرة) التي تسلسلها الزماني بعد (الدنيا) مراعاة للفاصلة في هذه السورة، وللمعنى دور في هذا التقديم، لأن

---

(1) سورة طه: 67 ـ 68.

(2) ينظر: المثل السائر 2/ 36 ـ 37.

(3) سورة القمر: 41.

(4) سورة فصلت: 37.

(5) ينظر: البرهان: 3/ 234.

(6) سورة الليل: 13.

الآخرة خير وأبقى، وعذابها أكبر وأشد، وبهذا الملحظ البياني قدمت الآخرة على الأولى[1].

الحذف:

الحذف إذا دل عليه دليل فهو إيجاز، فمثال ما حذف من الحروف في الفاصلة ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾[2]، ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ﴾[3]، والقاعدة النحوية تقضي بإثبات الياء في الفعل المضارع المرفوع، وياء الاسم المنقوص المحلى بأل، إلا أن الياء حذفت خلافا للقاعدة، وعلل الفراء ذلك الحذف لمشاكلة رؤوس الآيات، ((وقد قرأ القُراء (يسري) بإثبات الياء، ويسر بحذفها، وحذفها أحب إليّ لمشاكلتها رؤوس الآيات، ولأنّ العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها منها))[4]. وقد ورد حذف ياء المنقوص المعرف بأل في وسط الآية في ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾[5] و ﴿ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾[6].

وقد رفضت بنت الشاطئ أن يكون الحذف في سورة الفجر وغيرها بسبب المشاكلة للفاصلة ووصفت قولهم بالتعجل، وطلبت أن تعرض قواعد النحاة على القرآن[7].

---

(1) ينظر: نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقى (أحمد عبد المجيد): 26.

(2) سورة الفجر: 4

(3) سورة الفجر: 9.

(4) معاني القرآن: 3/ 260.

(5) سورة التكوير: 15 ـ 16.

(6) سورة البقرة: 186.

(7) الإعجاز البياني للقرآن: : 271.

ويبدو لي أنَّ حذف الياء في سورة الفجر لـه مـسوغان: الموسـيقى والـنغم الذين زاده جمالا ذلك الحذف، والثاني مماثلة الفاصلة الرائية، يزاد على ذلـك أنَّ الراء كان مختصا بمعنى معين، وسرعان ما تغيرت الفاصلة إلى الدال بالإنتقـال إلى معنى جديد. ثم أنَّ القطع في (يسر) فيه قصد دلالي من أن الليل له مدة محدودة، ثم انبلاج الصبح. فكأنه شحنة معنوية في القطع لانبعاث الأمل.

أما الحذف في سورة التكوير فكان له دافع واحد هـو الموسـيقى الداخليـة والنغم والسياق، علـى أنَّ الحـذف في (الجـوارِ) سـار في قافلـة الخفـة والـسرعة للفاصلة التي جاءت على وزن(فَعْلُن) المنسجمة مع المعاني. وفي سورة البقرة فإنّ الحذف قام على المعنى الذي قبله وصار تابعا لـه فدلالـة اللفـظ يـوحي بقـرب الخالق من المخلوق فكأنّ حذف الياء من (الداعِ) جاء دالا للمدلول.

فالفاصلة تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق الـنص بهـا إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والإبتداء وتتضافر مع الإيقاع فينتجـان أثـرا جماليا لا يبتعد كثيرا عما نحسه من وزن الشعر وقافيته. ولكنه أثـر ذو حريـة مـن قيد الوزن والقافية[1].

و((كثيرا ما يعتري الحذف في رؤوس الآي))[2]. ومن فوائده الإيجـاز نحـو قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[3]، و ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[4] ومنه حذف يـاء المـتكلم في ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[5]، و((ترك الكسرة على الذي يسبقها دلالة عليها لعلة معنوية بلاغية

(1) ينظر: البيان في روائع القرآن: 1/ 195 ـ 196.

(2) البرهان: 3/ 164.

(3) سورة البقرة: 103.

(4) سورة الأعراف: 58.

(5) سورة الشعراء: 78 ـ 80.

فضلا عن جمالية السياق أيضا، فقد أفاد الحذف. . . الإيجاز في العبارة، والإسراع إلى الغرض المقصود))[1].

العدول من لفظة إلى أخرى

من الظواهر القرآنية الأخرى العدول من لفظ إلى آخر لتحقيق الانسجام، من ذلك العدول عن صيغة المضي إلى الاستقبال كقوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[2] حيث لم يقل وفريقا (قتلتم)، في حين أنَّ الله تعالى ساوى بينهما في سورة الأحزاب ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[3]، لأجل أنها هنا رأس آية[4]، ومنه ((العدول عن المستقبل إلى اسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[5] فإن اسم الفاعل ليس حقيقة في الاستقبال بل في الحال))[6].

وبعد هذا فإننا ندرك العلاقة بين الفاصلة القرآنية وبين السياق لفظا ومعنى؛وهي علاقة تكافؤ فطري غير مقصود لذاته لتلبية المعنى الدلالي. فتكون الفاصلة مستقرا للمعنى والإيقاع الداخلي للنسق البنيوي على السواء؛ما يجعلها تقبض على المكونات الأساسية للنص القرآني، باعتبارها المستقر الأخير لذروة الجمال[7].

(1) نهايات الآيات القرآنية: 78.

(2) سورة البقرة: 87.

(3) سورة الأحزاب: 26.

(4) البرهان: 1/ 67.

(5) سورة الذاريات: 6.

(6) البرهان: 3 / 376.

(7) التقابل الجمالي في النص القرآني: 206 ـ 207.

الفصل الثالث

الانسجام الصوتي في المتجاورين

الفصل الثالث

الانسجام الصوتي في المتجاورين

المبحث الأول: التقاء الساكنين

المبحث الثاني: المجـاورة

المبحث الثالث: النعت السببي

الفصل الثالث

الانسجام الصوتي في المتجاورين

يحصل هذا الانسجام في المستوى النحوي عند مجاورة الأصوات. ومن مظاهره الحركات الإعرابية عندما تلتقي. وحَكَمَ جمهور النحويين من القدماء إلى أنَّ الإعراب دخل ليفرق بين المعاني من الفاعلية، والمفعولية، والإضافة[1]، وانفرد قطرب عنهم بقوله: إنَّ حركات الإعراب لم تجيء للتفريق بين المعاني بل جاءت لضرورة صوتية، ((لأنَّ الإسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج. فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان، ليعتدل الكلام))[2].

ولعله هنا نبّه على وجود نظام صوتي في الحركات الإعرابية من متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، فيصير إيقاعا من أمواج صوتية يؤدي الى تحقيق انسجامٍ من هذا البناء. فقد لفت قطرب الانتباه إلى هذا التماثل وقيمة الأصوات في هذا الميدان على حين أنه شاع بين القدماء عدم انتباههم إلى ذلك الإنسجام الصوتي، ومن أمثلة ذلك حركة إلتقاء الساكنين وتغيرها فلم يقدموا تعليلا لتغير

---

(1) ينظر: الإيضاح في علل النحو (أبو القاسم الزجاجي)، 69 ـ 70، مدرسة الكوفة (مهدي المخزومي)، 245.

(2) الإيضاح في علل النحو، 70 ـ 71، وينظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي (أحمد سليمان)، 48.

نوع الحركة ـ كما سنرى ، وهو ما يقترب من الدرس الحديث في قوانينه الصوتية.

وقد خالف د. إبراهيم أنيس رأي جمهور النحويين ووافق قول قطرب قبله. فذهب إلى أنها لا تحدد المعاني، بل لا تعدو أنْ تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض، وجاء بأمثلة لإثبات هذه لفكرة[1] وقد ردّ د. مهدي المخزومي ذلك بتساؤله إذا لم يكن للمعاني أثر في أحوال أواخر الكلمات، فلماذا اختلفت الكلمات في حال الفاعلية والمفعولية والإضافة، وكيف يفسر اختلاف اللغات في الوقف؟ وماذا يقول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾[2] ، وكيف يعلل وجود الضمة بعد القاف المكسورة إذا وصلت الآيتان، ولم يوقف على آخر الأولى منها؟ فالعربي أراد التفريق بين الحركات، الضمة علماً للإسناد، والكسرة علما للإضافة، والفتحة علما للمفعولية[3].

وأكبر الظن أنَّ قول د. إبراهيم أنيس في عدم دلالة حركات الإعراب على المعاني أمر لا يصح في الواقع اللغوي ذلك أنه بدعوته هذه يحدث صعوبة في التمييز بين أحوال الكلام وأسسه وبالنتيجة حصول لبس وتغير الدلالة. ولو سرنا على نظريته لما استطعنا أن نميز بين ((الله والعلماء)) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[4] والتفريق بين البناء للمعلوم

(1) ينظر: من أسرار اللغة، 202.

(2) الطور 7 ـ 8.

(3) ينظر: مدرسة الكوفة 250 ـ 256.

(4) سورة فاطر: 28.

والمجهول في (فَهِمَ وفُهِمَ). فالحركة الإعرابية سراج يوضح لنا ذلك المعنى بأيسر الطرق.

ويظهر الانسجام في حركات الإعراب بما جاورها، كقراءة (الحمدِ لِله) بكسر الدال إتباعا لكسرة اللام، باتباع حركة آخر الكلمة المعربة لحركة أول الكلمة بعدها في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[1]، ووجّه الفرّاء قراءة الخفض على الشيوع والكثرة ((وأما من خفض من (الحمدِ) فإنه قال هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد، مثل إبِل؛ فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم))[2]. وقراءة الجر هي للحسن البصري ورؤبة.

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة (الحمدُ لُلّه) اتباعا لحركة الدال، وهي من القراءات الشاذة[3] التي أرادوا فيها المثال الأكثر من أسماء العرب الذي تجتمع فيه الضمتان، مثل الحُلُم والعُقُب[4]، وكذلك علل ابن جني تلك القراءة بكثرة الاستعمال، ((فلما أطرد هذا ونحوه لكثرة الاستعمال اتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزء الواحد وإنْ كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصار (الحمدُ لُلّه) كعُنُق وطُنُب، و(الحمدِ لِلّه) كإبِل وإطِل))[5].

(1) سورة الفاتحة، 2.

(2) معاني القرآن، 1/ 3.

(3) ينظر: مختصر في شواذ القراءات: 1.

(4) معاني القرآن (الفراء)، 1/ 4.

(5) المحتسب، 1/ 111.

المبحث الأول

التقاء الساكنين

هو من الموضوعات التي جاءت ضمن كراهات وُجدت عند نحاة العربيـة، إضافة إلى كراهة (لا يجوز الابتداء بساكن)، فهناك علة صوتية في الكراهة وعلاج لمنعها الذي يؤدي إلى حدوث وشائج وعلاقات بـين نـسيج الكلمـة الواحـدة أو الكلمتين ثم إيجاد مماثلة صوتية عن طريق التأثير أو النزوع إلى الخفة الحاصل من ذلك الإنسجام.

علل النحاة هذه الكراهية بالقول: ((إنَّ التقاء الساكنين لا يجـوز بـل هـو غير ممكن وذلك من قبل أنَّ الحرف الساكن كالموقوف عليه وما بعده كالمبدوء بـه ومحال الابتداء بساكن ولذلك امتنع التقاؤهما))[1]. وتغتفر هذه المجاورة في التقاء الساكنين في ((الوقف مطلقا، وفي المدغم قبله لين في كلمة نحو خُوَيصّة والضّالّين وتُمُودّ الثوبُ، وفي نحو ميمْ وقافْ وعينْ مما بني لعـدم التركيـب، وقفـا ووصـلا، وفي نحو آلحَسَنُ عِندك، وآيْمُنُ الله يمينك؛ للإلتباس))[2]، فجـاز الوقـف في التقـاء الساكنين لأنه((كالساد مسد الحركة كقولك: قام زيد وهذا بَكْر وإنما سد الوقـف مسد الحركة لأنَّ الوقف على الحرف يمكّن جرس ذلك الحـرف ويـوفر الـصوت عليه فيصير توفير الصوت بمنزلة الحركة لـه، . . . . . الحـرف الموقـوف عليـه أتم

(1) شرح المفصل: 9/ 120.

(2) شرح الرضي على الشافية: 2/ 210، وينظر اللغة العربية معناها ومبناها: 295.

صوتا وأقوى جرسا من المتحرك فسد ذلك مسد الحركة فجاز اجتماعه مع ساكن قبله))[1].

وهناك طريقتان في التخلص من تجاور الساكنين، هما: الحذف والتحريك. يكون الأول في موضع حرف لين ساكن حركة ما قبله من جنسه، أي حرف علة ومد ولين، نحو قُلْ وبِعْ، والأصل فيهما: قولْ وبيعْ، فيكون الساكن الثاني من كلمة الأول، ومما كان الساكن الثاني فيه كالجزء منها، وذلك بكونه ضميرا مرفوعا متصلا، نحو تخشين، وتغزون وترمين، والأصل فيها: تخشايْن، وتغزووْن، وترمِيْن، أو بكونه أول نوني التوكيد المدغم أحدهما في الآخر، اغـزُنَّ وارمِـنَّ، والأصل فيهما: اغزوْنّ، وارْمِيْنّ. أو كان الساكن الثاني أول كلمة منفصلة، كما في: يخشى القوم، ويغزو الجيش، ويرمي الغرض[2].

أما الثاني فيكون في مواضع هي: ما كان الساكنان حرفين صحيحين، نحو اذهبِ اذهب، فكسروا الباء لسكونها وسكون الذال بعدها، لأنّ همزة الوصل تسقط في الوصل. أو ما كان أول الساكنين فيه حرف لين ساكن حركة ما قبله من غير جنسه، نحو: اخشوُا الله، واخشي الله، واخشوُنّ، واخشينّ. وبذلك تم التخلص من التقاء الساكنين من خلال الطرق المارة الذكر في موضوع الحذف إلا أنَّ النحاة استثنوا نون التوكيد الخفيفة، كقول الأضبط بن قريع:

لا تُهينَ الفقيرَ عَلّك أنْ تركعَ يوما والدهرُ قد رفعه

(1) شرح المفصل: 9/ 120 ـ 121.

(2) ينظر: شرح الرضي على الشافية: 2/ 225 ـ 226.

والأصل لا تهينَنْ بحذف نون التوكيد[1].

ولم يفرق القدماء ((بين الحرف المشكل بالسكون وبين حرف المد، بل عندهم ذلك سواء في السكون وبنوا قواعدهم على هذا الاعتبار، ولكن الدراسة الصوتية تأبى ذلك، وتفرق بين المقاطع المشتملة على حرف مد، وبين التي تتضمن حرفا مشكلا بالسكون))[2].

والطريقة الثانية للتخلص من التقاء الساكنين هي التحريك، وهي أصل للطريقة الأولى، ((لا يخلو التقاء الساكنين من حذف أحدهما أو تحريكه وهو الأصل، لأنه أقل إخلالاً ولذلك لا يعدل عنه إلا بعد تعذره بوجه ما))[3]. وأصل الحركة هنا عند القدماء الكسرة[4]. فعلل المبرد ذلك الاختيار بعدم اللبس مع المنصوب والمرفوع[5]، وعلل السيوطي ذلك ((لأنها حركة لا توهم الإعراب إذ الكسر الذي يكون في أحد الساكنين لا يتخيل أن موجبه الإعراب لأنه لا يكون في كلمة لا يكون فيها تنوين ولا، أل، ولا إضافة، بخلاف الضم والفتح فإنهما يكونان إعرابا ولا تنوين معهما وذلك فيما لا ينصرف فلما كانت حركة لا تكون في معرب أشبهت الوقف الذي هو مقابل الإعراب فحرك بها))[6].

---

(1) ينظر: شرح الرضي على الشافية: 2/ 231 ـ 232.

(2) من أسرار اللغة: 213.

(3) همع الهوامع: 3/ 408.

(4) الكتاب: 4/ 215، شرح المفصل: 9/ 123.

(5) ينظر المقتضب: 3/ 174.

(6) الأشباه والنظائر في النحو (السيوطي): 2/ 133.

والأمر مختلف عند المدرسة الحديثة، فاختيار الحركة له قانون يعتمد على الإتباع والانسجام مع الصوت الآتي بعده، ((من عادة العربية أن تقحم صوت الكسرة بين الساكنين أو صوت مد آخر والسبب هو الإتباع))[1]. فهناك عاملان يتدخلان في تحديد حركة التخلص من التقاء الساكنين:

- **أولهما**: إيثار بعض الحروف لحركة معينة، من ذلك إنّ حروف الحلق تؤثر الفتح في بعض صيغ الفعل الثلاثي، كما تؤثره حروف التفخيم.
- **ثانيهما**: الميل إلى تجانس الحركات المتجاورة، وهو اقتصاد عضوي في النطق يلجأ إليه المتكلم دون شعور. لذلك أتت حركة التخلص من التقاء الساكنين ضمة في مثل (قالتُ اخرُجْ)، وكسرة في (قالتِ اضرِب)[2].

ويؤخذ على النحاة عدم تفريقهم بين الحرف المشكل بالسكون وبين حرف المد، بل عدّوا كلا منهما ساكنا، وبنَوْا قواعدهم على ذلك، ولكن الدراسة الصوتية الحديثة تفرق بين المقاطع المشتملة على حرف مد، وبين التي تتضمن حرفا مشكلا بالسكون[3]، إلا أن العامل المشترك بين المنهجين القديم والحديث هو أنَّ الأصل في الكلام اتصال أجزائه اتصالا وثيقا، من خلال التخلص من التقاء الساكنين[4].

ما ذهب إليه د. أنيس فيه نظر بوثوق الصلة بين أجزاء الكلام، ففي عبارته

(1) في الأصوات اللغوية: 262.
(2) ينظر: من أسرار اللغة: 214.
(3) ينظر: م.ن: 213.
(4) ينظر: م.ن: 212.

إطلاق، وهذا يجانب الدقة في البحث العلمي، ذلك أن العلة في التخلص من التقاء الساكنين هو لمعالجة الصعوبة في النطق، بالوقوف على ساكن ثم نتابع الصعوبة النطقية بنطقِ ساكنٍ ثانٍ فلأجل التخلص من ذلك يعمد المتكلم إلى التيسير في النطق والذي يحقق له ذلك هو المماثلة في أصوات معينة، أو بأي حركة للخروج من هذه الصعوبة. ثم إنَّ الكلام إذا كان متصلا يورث انقطاع النفس لذلك وُجِدَ (الوقف) في اللغة، ومن فائدته الوقوف على المعاني المكتملة ـ كما سيأتينا في الفصل الرابع.

والتخلص من التقاء الساكنين ظاهرة ((في السياق تصبح جزءا من سليقة العربي وعادة من عاداته النطقية فإذا تعلم لغة أجنبية لا تمنع التقاء الساكنين فإنَّ هذا العربي سرعان ما يخضع للعادات النطقية العربية فيسعى إلى التخلص من التقاء الساكنين))[1]، إذ ((اختصت العربية من بين سائر اللغات السامية بهذه الناحية مراعاة منها للتكافؤ والانسجام في بنية الكلمة الواحدة))[2].

ومن ناحية المقطع ((يسيطر على نظام المقاطع في اللغة العربية، أمران مهمان:

1. الحرف المشكل بما يسمى السكون يجب تحريكه بأي حركة حين يقع في وصل الكلام بعد حرف مد.

2. لا يصح أن يتوالى في وسط الكلام حرفان مشكلان بالسكون، أو بعبارة

(1) اللغة العربية معناها ومبناها: 297.

(2) التطور اللغوي التأريخي (ابراهيم السامرائي): 67.

أخرى حرفان خاليان من الحركة))[1]. ومن قواعد العربية لا يجوز الإبتداء بساكن بل ينبغي الابتداء بمتحرك، ((الأكثرون على الإبتداء بالسكن متعذر، وذهب ابن جني إلى أنّه متعسر لا متعذر، وقال: يجيء في الفارسية نحو شتر وسطام، والظاهر أنه مستحيل ولابد من الإبتداء بمتحرك))[2].

والوسيلة لنطق الحرف الساكن الإتيان بهمزة الوصل، وهي ((همزة زائدة يوصل بها إلى الساكن في الفعل والاسم والحرف. . . وتكون في الأفعال غير المضارعة، ثم المصادر الجارية على تلك الأفعال، وقد جاءت في أسماء قليلة غير مصادر ودخلت على حرف من الحروف التي جاءت لمعنى. . . أما كونها في الأفعال غير المضارعة فنحو قولك مبتدئا: اضربْ، اقتلْ، اسمعْ، اذهبْ، كان الأصل: تذهبُ، تضربُ، وتقتلُ، وتسمعُ، فلما أزلت حرف المضارعة وهو (التاء) بقي ما بعد الحرف الساكن فجئت بألف الوصل لتصل إلى الساكن))[3].

وقال المالقي في تسمية همزة الوصل((كان الوجه فيها أن يقال همزة إيصال لا وصل؛ لأنّها لا تصل ولكن توصل الناطق إلى النطق بالساكن بعدها، ولكن قيل: همزة وصل، على غير مصدر (أوصل)))[4].

وظهر خلاف حول أصل حركة همزة الوصل في أنَّ فيها إتباعا أم لا، وهل أصلها أنْ تكون ساكنة أو متحركة. ((فذهب الكوفيون إلى أنَّ الأصل في

(1) من أسرار اللغة: 215.

(2) شرح الرضي على الشافية: 2/ 251.

(3) الأصول في النحو (ابن السراج البغدادي): 2/ 367 ـ 368.

(4) رصف المباني في شرح حروف المعاني: 38.

حركة همزة الوصل، أنْ تتبع حركة عين الفعل، فتكسر في (اضْرِبْ) إتباعا لكسرة العين، وتضم في(ادْخُلْ) إتباعا لضمة العين، وذهب بعضهم إلى أنَّ الأصل في همزة الوصل أنْ تكون ساكنة، وإنما تحرك لالتقاء الساكنين، وذهب البصريون إلى أنّ الأصل في همزة الوصل أنْ تكون متحركة مكسورة))[1]، فحجة الكوفيين في الإتباع هو النظير كما في أنتَنَ فهو مُنتِنٌ ومُنْتُن، وبما ورد في قراءة حمزة والكسائي(فلِإمِّهِ الثُّلُثُ) بكسر الهمزة في (فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ)[2]، وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو وابن عامر، بضم الهمزة، وحجة قراءة كسر الهمزة هو لكسرة اللام قبلها، لئلا يخرج من كسر إلى ضم. ومن ضمَّ أتى بالكلمة على أصلها، لأنه لا خلاف بين العرب في ضمها عند إفرادها[3]. وحجة من قال بسكونها أنها زائدة في بناء الكلمة، وتقدير السكون أولى من الحركة في الزيادة[4].

وحجة البصريين في حركتها أنه من المحال أن تقصد إلى حرف ساكن وأنت تقصد التخلص من الساكن. وحجتهم في أصل حركتها الكسرة، لأن مصاحبتها للساكن أكثر من غيره[5].

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف (ابن الأنباري): 2/ 737.

(2) سورة النساء، 11.

(3) ينظر: السبعة في القراءات: 277، الحجة في القراءات السبع، 120.

(4) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف، 2/ 737 ـ 738.

(5) م .ن.

هذا الخلاف يظهر لنا النتائج الآتية:

1. ما ذهب إليه الكوفيون من جزم وقطع بالإتباع الحركي بين همزة الوصل والحروف التي بعدها(عين الكلمة) أمر غير صحيح لأنَّ ذلك الانسجام وقع في مواضع معينة لا يصل إلى درجة الاطّراد والقياس. . فبالاستقراء نجد غلبة الكسرة في مصاحبتها لهذه الهمزة كما في انْكَسر، انْفَتح، اتَّخَذ، احمَرّ، اعْشَوشب، استخرج، وما إلى ذلك.
2. الحجج التي قدمها الكوفيون لدعم ما ذهبوا إليه في الانسجام ومنه (مُنْتُن) هي لغة من ثلاث لغات كما ذكرها سيبويه بل هي أقلها[1]، وبالتالي فإنَّ المشاكلة فيها تأتي على سبيل موضع من مواضع عدة.
3. مسألة أصل الحركة لا اعتبار لها هنا فهي قضية فلسفية أقحمت في النحو إقحاما، فسبب الإتيان بالهمزة هو لنطق الحرف الساكن الذي يمتنع اللسان أن ينطق به، فالهمزة هنا متحركة حتما.

وقد وصف الرضي نطق همزة الوصل بقوله: ((لا يجيء في العربية في ابتداء الكلام إلا مع همزة الوصل، ويوجد في الفارسية كقولهم: شتاب وسطام، وجدت من نفسك أنك تتوصل إلى النطق بذلك الساكن بهمزة مكسورة في غاية الخفاء، حتى كأنها من جملة حديث النفس، فلا يدركها السامع، ثم تجهز بالحرف الساكن في أول الكلام، فيتحقق لك إزالة كلفة النطق بالساكن بالكسرة))[2].

---

(1) ينظر: الكتاب، 4/ 109.

(2) شرح الرضي على الشافية: 2/ 211

وفي بداية الكلمة ((يتحاشى العربي أنْ ينطق بمجموعة من الصوامت الإنفجارية المتصلة، وذلك بأن يأتي بصوت[*] (Voyelle phonetique)، فيقال(ا) كتب – uktub (ٌ) بدلا من (كْتُب) ktub))[1]. ولوجود همزة الوصل أكثر من فائدة، منها ((في الفصل بين المجموعات مثل: قالَ اكتب (qalaktub)، كما يستخدم في تحليل الكلمات إلى مقاطع مثل: قا/ لَ كْ/ تُبْ))[2].

فاختلاط المستويين الصوتي والنحوي يبدو في حركات الإعراب، في تحريك أول الساكنين بالكسر حتى لا يلتقي مع الساكن الثاني كما في ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3]، وكذلك حذف حرف العلة في (لَمْ يَسْتَطِعْ)، وكذلك في حركة الإتباع في (هذا جُحْرٌ ضبٍّ خَربٍ) فحق (الباء) الأخيرة الرفع، إلا أنّ إتباعها حركة الباء التي قبلها صوتيا، جعلها تأخذ حركتها الإعرابية نفسها، بل إنّ الدلالة الصوتية تدل في بعض الأحيان على موقع إعرابي، كما في لم يَرْمِ، ولم يَغْزُ، ولم يَسْعَ فتقصير حركات المد في تلك الأفعال الثلاثة يدل على موقع الجزم فيها[4].

واختلف في أصل التخفيف من الساكن المتقدم أم من المتأخر فعند السيوطي ((الأصل تحريك الساكن المتأخر لأنَّ الثقل ينتهي عنده كما كان في تكبير الخماسي وتصغيره فإنَّ الحذف يكون في الحرف الأخير لأن الكلمة لا تزال

(*) هو ما يطلق على همزة الوصل.

(1) العربية الفصحى: 43.

(2) م.ن

(3) سورة البينة: 1.

(4) ينظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي: 47.

سهلة حتى تنتهي إلى الآخر وكذلك الجمع بين الساكنين. ولذلك لا يكون التغيير في الأول إلا لوجه يرجحه))[1]، وقيل((الأصل تحريك الساكن الأول لأنَّ به التوصل إلى النطق بالثاني فهو كهمزة الوصل، وقال قوم الأصل تحريك ما هو طرف الكلمة أو الساكنين كان أو ثانيهما لأنَّ الأواخر مواضع التغيير ولذلك كان الإعراب آخرا))[2].

ومن الأسماء التي يحصل فيها انسجام تبعاً لعلاقاتها مع ما يجيء بعدها، وارتباط حركتها لالتقاء الساكنين، هي أين وكيف وأمس وحيث ومنذ. فالقياس هو البناء على السكون، والعدول عنه لثلاثة أسباب: الأول: الهرب من التقاء الساكنين في نحو هؤلاء، والثاني عدم الابتداء بساكن، والثالث عروض البناء، نحو يا حكم، ولا رجل في الدار، ومن قبل ومن بعد، وخمسة عشر[3]، وعلة البناء على السكون لأنَّه أخف من الحركة[4]. فـ(مذ) أصلها السكون[5]، وذكره ابن جني في الخصائص في باب (مراجعة الأصل الأقرب دون الأبعد) فأصل (مُذْ) (مُنْذْ) فضُمت (الذال) لالتقاء الساكنين وإتباعا لضمة الميم. فهذا على الحقيقة هو الأصل الأول. فأما ضم ذال(مُنْذُ) فهو في الرتبة بعد سكونها الأول المقدر، فقولك (مذُ اليوم) إنما ورد إلى الأصل الأقرب الذي هو (مُنْذُ) دون الأبعد

(1) الأشباه والنظائر: 2/ 132- 133 .

(2) همع الهوامع: 3/ 409.

(3) ينظر: المفصل، 165.

(4) ينظر: شرح ابن عقيل: 1/ 40.

(5) ينظر: الكتاب: 3/ 533.

المقدر الذي هو سكون الذال في (مُنْذُ) قبل أن يحرك فيما بعده[1] فحذفت النون تخفيفا[2]، فبنيت على الضم إتباعا لضمة الميم كما في مُنْتُن[3]، وأما سبب الضم فيه فلأنّه كالغايات[4]، ولولا أنّ الأصل الضم لكسر[5].

وتبنى (قبل وبعد)على الحركة ولم تُبنَ على السكون لأنهما أسماء أصلها التمكن ولأنها قطعت عن الإضافة وبنيت على الضم لأنها من الظروف، والأكثر فيها أنْ تكون منصوبة، فأخرجت إلى الضم ولم تخرج إلى الكسر لأنَّ الكسر أخو النصب وجعلوا ذلك علامة للغاية، لأنَّ الكسر حقه أنْ يكون لالتقاء الساكنين[6]، والقول الصحيح في علة بنائهما على حركة لأنَّ كل واحد منهما كان له حالة إعراب قبل البناء فجاءت الحركة تمييزا لهما على ما بني وليس له حالة إعراب[7]. و(حيث) لها أكثر من حالة بناء فبنيت على الضم تشبيها بـ(قبل وبعد)، ومن العرب من بناها على الفتح طلبا للتخفيف، ومنهم من بناها على الكسر على أصل التقاء الساكنين، وطيء يقولون(حوث) بإبدال الياء واوا، ولغة(فقعس) تجعلها معربة بالحركات الثلاثة[8].

---

(1) ينظر: الخصائص: 2/ 342 ـ 343.

(2) اللمع في العربية: 76 .

(3) أسرار العربية: 147.

(4) ينظر: شرح الرضي على الشافية: 2/ 241- 242، ارتشاف الضرب: 2/ 721- 722.

(5) همع الهوامع: 2/ 224.

(6) ينظر الأصول في النحو: 2/ 142.

(7) أسرار العربية: 37.

(8) همع الهوامع: 2/ 209.

ومن الظروف (الآن)، فكان الأصل فيه أنْ يبنى على السكون، إلا أنه بُني على الفتح لوجهين: الأول: سبب فيه مشاكلة، على حركة التقاء الساكنين، والفتحة أخف الحركات، وأشكلها بالألف والفتحة التي قبلها فأتبعوها الألف والفتحة التي قبلها، الثاني: القياس على النظير في الظروف كأين وأيانَ[1].

وقد ورد في النصوص القرآنية والقراءات في المتجاورين ما ظهر من مشاكلة للأصوات في باب التقاء الساكنين، فمن ذلك في(نحنُ) في ضم النون أقوال: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[2] ، (نحن) للجماعة ومن علامتهم الواو والضمة من جنس الواو، لذلك ضموا واو الجماعة في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾[3] و ﴿وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾[4]، ضمت الواو لالتقاء الساكنين ويجوز كسرها[5] و ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[6] ((قرأ يحيى بن وثاب والأعمش ((وألّوُ أستَقَامُوا)) بضم الواو لالتقاء الساكنين ولأنَّ الضمة تشبه الواو. إلا أنّ سيبويه لا يجيز إلا الكسر في الواو الأصلية فرقا بينها وبين الزائدة))[7]، وقرأ الأعمش وزيد بن علي في موضع آخر((لوُ اسْتَطَعنا)) في (لوِ اسْتَطَعْنا)[8]

---

(1) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: 2/ 520.

(2) سورة البقرة: 11

(3) سورة البقرة: 16، 175

(4) سورة النساء: 42.

(5) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): 1/ 189، 457.

(6) سورة الجن: 16.

(7) إعراب القرآن: 5/ 49.

(8) سورة التوبة: 42.

((بضم الواو وفرّ من ثقل الكسرة على الواو وشبهها بواو الجمع عند تحريكها لالتقاء الساكنين))[1].

وقرئت (عليهم) ثلاث قراءات في (﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾[2] الأولى بكسر الهاء والميم للمجاورة بين الياء وكسر الميم لالتقاء الساكنين، وبضمهما على أصلهما، لأنّه كان(همو) قبل دخول حرف الجر عليه، وبكسر الهاء وضم الميم، فكسر الهاء جاء لمجاورة الياء، وضم الميم على أصل حركتها[3].

ويبدو أنّ القراءة الأولى هي الأيسر على اللسان بسبب الاتباع والسهولة للمشاكلة لصائت واحد بين الهاء والميم، فكسر الهاء جاء لوجهين: الأول لمشاكلة الهاء، والثاني الكسر على أصل حركة التقاء الساكنين.

وقرأ عاصم﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ ﴾[4] بكسر الياء والهاء، أراد يهتدي فأدغم التاء في الدال فالتقى ساكنان فكسر الهاء لالتقاء الساكنين وكسر الياء لمجاورة الهاء وأتبع الكسرة الكسرة[5] وفي ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾[6] ((قرأ أبو بكر (مِّنْ لَّدْنهي) بإسكان الدال وإشمام الضم وكسر النون والهاء، ووصل الهاء بالياء الأصل لدُن بضم الدال ثم إنه أسكن الدال استثقالا للضمة كما تقول عضد

(1) البحر المحيط: 5/ 47.
(2) سورة البقرة: 61، سورة آل عمران: 112.
(3) ينظر الحجة في القراءات السبع: 80
(4) سورة يونس 35.
(5) حجة القراءات (أبو زرعة): 332.
(6) سورة الكهف: 2.

فلما أسكن الدال التقى ساكنان النون والدال فكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء لمجاورة حرف مكسور ووصلها بياء. . . وأما إشمام الضمة في الدال فليعلم أنّ الأصل كان في الكلمة الضمة))[1].

ويحدث الانسجام في همزة الوصل عندما تقع في فعل ثالثه مضموم، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾[2]، جاءت القراءة (مـنُ اضْطُرَّ) بضم النون لالتقاء لساكنين و((إتباعا لضمة الطاء والحاجز غير حصين لسكونه وضمت الطاء على الأصل))[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4] حركت الميم بالفتح إتباعا للفتحة قبلها لالتقاء الساكنين، والوجه الثاني أنه منصوب على إضمار (أنْ) والواو ها هنا بمعنى الجمع كالتي في قولهم (لا تأكل السمك وتشربَ اللبن)، ويقرا بكسر الميم (ويَعْلَمِ) عطفا على الأولى ((ولَمّا يَعْلَمِ اللهُ))، وبضمها (ويَعْلَمُ) على تقدير (وهو يَعْلَمُ). إلا أنّ قراءة الفتح هي الأكثر[5].

ويبدو أن شهرة قراءة الفتح جاءت لسهولة المشاكلة والمجاورة في تتابع الفتحة (الصائت الخفيف على اللسان)، وهذا دليل على عدم حكر الكسرة على

(1) حجة القراءات: 412.

(2) سورة البقرة: 173.

(3) التبيان في إعراب القرآن: 1 / 76.

(4) سورة آل عمران: 142.

(5) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1/ 150.

أن تكون علامة لمعالجة التقاء الساكنين، أو أنّ فتح الميم في: (وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) جاء انسجاما مع التركيب في الآية السابقة ﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وفي (مُردِفِينَ)[2] أكثر من ثلاث قراءات في حركة (الراء) أغلبها جاء للانسجام، قرأ نافع وحده من السبعة بفتح الدال(مردَفين)، وباقي السبعة والحسن ومجاهد بكسرها، وحجة فتح الدال أنه جعل الفعل لله فأتى باسم المفعول من أردف، والحجة للكسر أنّه جعل الفعل للملائكة فأتى باسم الفعل من أردف وقرأ بعض المكيين(مَرْدِّفين) على أن أصله (مرتدفين)، نقلت حركة التاء إلى الراء، وأبدلت دالا ليصح إدغامها في الدال، وروي عن الخليل أنه يضم الراء إتباعا لحركة الميم(مُرُدِفين) لقولهم ((مُخُضم))، وقُريء كذلك (مُردِفين)بكسر الراء إتباعا لحركة الدال أو حرّكت بالكسر على أصل التقاء الساكنين[3].

ويظهر الانسجام فيما إذا وقعت الميم بعد ضم في ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[4]، وقوله ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾[5] بضم الميم للانسجام مع ما قبلها وهو تأثر مقبل، وقد يكون تأثرا مدبرا كما إذا وقع بعد ثاني الساكنين ما كان مضموما في الأصل، فجاءت على ذلك قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي((قَالَتُ

(1) سورة آل عمران: 141.

(2) سورة الأنفال: 9.

(3) ينظر: السبعة في القراءات: 304، الحجة في القراءات السبع: 169، البحر المحيط: 4/ 460.

(4) سورة البقرة: 159.

(5) سورة آل عمران: 139.

اخرُج)) بضم التاء إتباعا لضمة الراء في اخرج[1] في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ﴾[2]، إذ ليس بينهما حاجز إلا حرف ساكن[3]، ونجد التأثر في تجاور الكسرة في ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[4].

وظهر الانسجام في التقاء الساكنين عند بعض اللهجات العربية، كما نجد ذلك عند طيء أنهم يقولون(اطْلُبُوا مِنِ الرحمن) بكسر الميم والنون، وتعليل ذلك على أصل التقاء الساكنين وإتباعا لكسرة الميم. وحكى أبو عمرو عن أهل نجران قولهم (بَرَاءةٌ مِنِ اللهِ) بكسر النون[5] في ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[6].

(1) ينظر: السبعة: 174، 175، 348.

(2) سورة يوسف: 31.

(3) اللهجات العربية في التراث: 1/ 272، في الأصوات اللغوية: 262 ـ 263.

(4) سورة الزمر: 31.

(5) اللهجات العربية في التراث: 1/ 272.

(6) سورة التوبة: 1.

المبحث الثاني

المجـاورة

أدت المجاورة المكانية في تركيب الجملة العربية إلى خـرق القيـاس، وظهـور أمر يبرز فيه توافق صوتي بين الكلمتين الجارتين فيكـون في الحركـة تـأثير وتـأثر بسبب التقارب بينهما نزوعا إلى السهولة في النطق. حتى قالت العرب (هذاُجُحْرُ ضبٍّ خَرِبٍ). فجر (خرب) بسبب مجاورة ضب وحقه الرفع لأنه صفة له.

واختلف العلمـاء في تقـديرهم هـذه الظـاهرة فمـنهم مـن أولها وجعلـها مقتصرة على السماع لا يقاس عليها، ومنهم من اكتفى بتفسيرها بتقـدير خفـض الثاني[1]. عالج الفراهيدي هذه الظاهرة، وذكر أمثلة تؤيد وجودها بسبب الجوار والقرب بين الكلمتين، لكن اشترط الجواز في الخفـض علـى الجـوار أن يـستوي المتجاوران في التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث والإفراد والجمـع، ومـا نقلـه سيبويه هو قول الخليل أيضا[2]، و عند سيبويه أنّ الخفض في خـربٍ(هـذا جُحْـرُ ضبٍ خَرِبٍ) جاء على غير وجه الكلام وبـسبب الـنظير مـع(ضـب) في النكـرة ((ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام (هذا جُحْر ضبٍ خَرِبٍ). فالوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم وهو القياس، لأن الخرب نعت الجُحْر والجُحْر رفع ولكن بعض العرب يجره وليس بنعت للضب ولكنه نعت للذي أضـيف إلى

---

(1) الكتـاب: 1/ 436، 437، المقتـضب: 4/ 72، 74، الخـصائص: 1/ 192، مغـني اللبيـب: 2/ 682– 683، الانصاف: 1/ 92، همع الهوامع: 2/ 536، ظاهرة المجـاورة في الدراسـات النحوية (فهمي حسن النمر): 11، الحمل على الجوار (عبـد الفتـاح الحمـوز): 25 فمـا بعدها.

(2) ينظر الكتاب: 1/ 437 .

الضب فجروه لأنه نكرة كالضب، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد))[1]، وهو إتباع ((الجر الجر كما أتبعوا الكسر الكسر نحو قولهم بهِم وبدارِهِم وما أشبه ذلك))[2]. وهو إعمال الأول والثاني، وجاء الجر لـ(خرب) لقرب العامل[3].

وعقد ابن جني في الخصائص باباً سماه (باب في الجوار)[4] وهو على ضربين: أحدهما تجاور الألفاظ ويكون في المتصل كمجاورة العين للام بحملها على حكمها، نحو صُوَّم: صيَّم أي أنهم شبَّهوا باب صُوَّم بباب عُصُوّ عِصِيّ فقلبه بعضهم، ويكون كذلك في المنفصل، نحو: هذا جُحْر ضبٍّ خربٍ. والآخر: تجاور الأحوال.

فقول العرب (جُحْر ضبٍّ خَرِبٍ) يعد دليلا على أنّ للقرب والجوار أثرا بجر(خرب) على (ضب) وهو في الحقيقة صفة للجحر لأنَّ الضب لا يوصف بالخراب[5]. ومسألة (الجوار) في جواب الشرط كانت نقطة خلاف بين الكوفيين والبصريين. فذهب الكوفيون إلى أنَّ جواب الشرط مجزوم على الجوار لأنَّه مجاور لفعل الشرط لازم له لا يكاد ينفك عنه، والحمل على الجوار كثير. أما البصريون فقد ذهبوا إلى عدة آراء، الأول: وهم كثر فيه إلى أنَّ العامل فيهما حرف الشرط، والثاني: إلى أنَّ حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فيه، والثالث: أنَّ حرف الشرط يعمل في فعل الشرط، وفعل الشرط يعمل في جواب الشرط، والرابع

(1) م.ن: 1/ 436.

(2) م.ن: 4/ 72- 73.

(3) ينظر المقتضب: 4/ 72- 73.

(4) الخصائص: 3/ 218- 220.

(5) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: 1/ 92.

وهو قول أبي عثمان المازني إلا أنه مبني على الوقف. ولكل حججه[1] واختار أبو البركات الرأي القائل إنَّ فعل الشرط هو الذي يعمل في جواب الشرط[2].

وقد اشترط ابن جني قبول ما جاء بباب الجر على الجوار في (هذا جُحْرُ ضبٍ خَرِب) على أنه حذف المضاف لا غير أي أنَّ أصله (هذا جُحْر ضبٍ خَرِبٍ جُحْره) فحذف الجُحْر المضاف إلى الهاء وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت لأن المضاف المحذوف كان مرفوعا فلما رفعت استتر الضمير المرفوع في نفس خرب فجرى وصفا على ضب وإنْ كان الخراب للجُحْر لا للضب على تقدير حذف المضاف. وفي غير ذلك التقدير يعد شاذا لا يقاس عليه[3]. أي خَرِبٍ جُحْرُهُ، ثم نقل الضمير فصار خَرِبٍ الجحرُ ثم حذف، وقد خطّأ أبو حيان ذلك التقدير[4].

إنّ ما ذهب إليه ابن جني في تقدير وتأويل حذف المضاف أمر فيه تعقيد للفهم، فعدم التأويل أولى من التأويل ذلك أنّ ما ذهب إليه فيه تكلف، وهذا ما لا نجده في كثير من الأمثلة القرآنية وغير القرآنية التي يتعذر قبول أو تأويل محذوف. ونجد في حكم أبي البركات الأنباري الكثير من التشدد فهو نفى صحة ما هو موجود في كلام العرب فعبارته((كقولهم جُحْر ضب خرب وما أشبه ذلك وهذا ليس بصحيح لأن الحمل على الجوار قليل يقتصر فيه على السماع ولا يقاس عليه لقلته))[5]، فعبارته(ليس بصحيح) نفي لوقوع هذه الظاهرة في العربية وإنْ ظنه قليلا.

(1) ينظر: م . ن: 2/ 602 فما بعدها، همع الهوامع: 2/ 559.
(2) ينظر: م . ن: 2/ 608.
(3) ينظر: الخصائص: 1/ 191 ـ 193 .
(4) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: 4/ 1914.
(5) أسرار العربية: 174.

والخفض على الجوار قال به الجمهور، وقدره السيرافي: خَرِبٍ الجُحْر منه، كما تقول: حسنُ الوجهِ منه حذف الضمير للعلم به، ثم اضمر الجُحْر فصار خَربٍ، ولم يبرز الضمير[1]، ورد ابن هشام قول السيرافي في((مررت برجل قائمٍ أبواهُ لا قاعدين لأنه يجوز في الوصف الثاني دون الأول))[2] و((قصره الفراء على السماع ومنع القياس على ما جاء منه فلا يجوز هذه جُحْره ضب خربة بالجر))[3]، وخطّأ أبو حيان مذهب السيرافي وابن جني في التقدير، لأنّ كلا من الضب وخراب الجُحْر متوقف على صاحبه وهو لم يوجد في كلام العرب ذلك الدور، فهو فاسد[4].

وحركة المجاورة ((ليست حركة بناء ولا إعراب، وإنما هي حركة اجتلبت للمناسبة بين اللفظين المتجاورين، فلا تحتاج لعامل، لأنَّ الإتيان بها إنما هو لمجرد أمر استحساني لفظي لا تعلق له بالمعنى))[5]. وللعامل الصوتي أثره في الأسماء أحيانا إذا ما تطلبه موسيقى اللفظ من اتساق وانسجام، وقد شعر القدماء بهذا أيضا، وسمو هذا العامل الصوتي بالجوار، وضيقه البصريون وجعلوا الأمثلة الواردة مخالفة للقياس، على حين أنّ الكوفيين وسّعوا دائرة تطبيقه، فقالوا باطراده في الأفعال التي يجازى بها، نحو (اذهب) من قولهم: إنْ تذهب أذهب، لأنهم لا يجزمون بـ(إن) فعلين، ولا بأخواتها[6]. ومال د. مهدي المخزومي إلى

(1) ارتشاف الضرب: 4/ 1914.

(2) مغني اللبيب: 2/ 684.

(3) همع الهوامع: 2/ 535.

(4) ينظر: خزانة الأدب: 5/ 87 ـ 88.

(5) ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية: 8.

(6) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: 301 ـ 303.

رأي البصريين في تضييقه في الأسماء، ((لأنَّ أواخر الأسماء إنما تخضع في أصولها المختلفة للإعراب، لا للعوامل الصوتية، أما الأفعال فلعدم تحملها المعاني الإعرابية، تخضع في أحوال أواخرها للجوار وغيره من العوامل الصوتية))[1].

وقد ورد الجر على الجوار في عدة موضوعات من النحو في القرآن الكريم ونصوص الشعر العربي، ومن تلك المواضع(النعت). ومما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾[2]، قرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر(خضرٍ) خفضا على الجوار و(استبرقٌ) رفعا. وقرأ أبو عمرو بن العلاء وابن عامر(خضرٌ) رفعا و(استبرقٍ) خفضا، وقرأ حمزة والكسائي (خضرٍ واستبرقٍ) كسرا جميعا وعلل النحاس خفض (خضر) على أنّه نعت لسندس وإن كان بعيدا او لم يقبل الجوار في القرآن[3]، وقوله تعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾[4]، قراءة حمزة والكسائي (المجيدِ) خفضا على الجوار, وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم (المجيدُ) رفعا[5]. والنحويون يستبعدون الجوار في القرآن الكريم لذلك قدرها أبو جعفر النحاس على أنها نعت لربك في الآية 12 وهو تقدير بعيد[6].

ونحو قوله سبحانه ﴿ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾[7] فجعل

(1) م . ن: 301.

(2) الإنسان: 21.

(3) ينظر: السبعة في القراءات: 644، 665، إعراب القرآن: 5/ 104- 105 .

(4) البروج: 15.

(5) السبعة في القراءات: 678.

(6) ينظر: إعراب القرآن: 5/ 195.

(7) إبراهيم: 18.

العصوف تابعا لليوم في إعرابه، وإنما هو للريح. وذلك جائز على جهتين، إحداهما أنّ العصوف وإنْ كان للريح فإنّ اليوم يوصف به؛ لأن الريح فيه تكون، فجاز أنْ تقول يوم عاصف كما تقول يوم بارد ويوم حار. والوجه الآخر أن يريد في يوم عاصِفِ الريح، فتحذف الريح لأنها قد ذكرت في أول الكلمة. وإنْ نويت أنْ تجعل (عاصف) من نعت الريح خاصة فلما جاء بعد اليوم أتبعته إعراب اليوم وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض الخفض إذا أشبهه[(1)].

ويبدو من الأدلة التي قدمها الفراء أنَّ التأويل الأول هو الأقرب لأنّ جو الآية يعمد إلى التشبيه (كرمادٍ)، ومن ثم الوصف، لتوكيد أنّ أعمال الكافرين سرعان ما تذهب وتزول فلا قاعدة لهم، ثم عزز النعت في(يوم) يصير ويكون فيه ذلك الريح الذي هو المسبب الطبيعي لكشف السراب. لذلك جاء الجر لـ(عاصف) من وجهين: الأول دلالي، والثاني: لفظي بتأثير المجاورة في الخفض.

وعند البصريين أنّ (فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) جاء على النسب بمعنى ذي عصف، ومن قرأ ((في يومٍ عاصف) بغير تنوين أقام الصفة مقام الموصوف أي في يوم ريح عاصف. وحكى النحويون (هذا جُحْر ضب خرب)، ورفض أبو جعفر أن يحمل كتاب الله عليه[(2)]، و((الجوار مشهور عندهم في الإعراب))[(3)].

ويظهر أنَّ علامة الإعراب في النعت أصبحت علامة للمشاكلة الصوتية بين طرفي النعت. وقيل ((عاصف من صفة الريح إلا أنه لما جاء بعد اليوم أتبع

(1) ينظر: معاني القرآن، (الفراء): 2/ 73 ـ 74، حجة القراءات (ابن نجلة): 501.

(2) ينظر: إعراب القرآن: 2/ 367 ـ 368.

(3) التبيان في إعراب القرآن: 1/ 209.

إعرابه كما قيل (جُحْر ضب خرب) يعني إنّه خفض على الجوار))[1]، وقرأ ((نافع وأبو جعفر (الرياح) على الجمع، والجمهور على الإفراد، ووصف اليوم بـ(يوم عاصف)، وإن كان من صفة الريح على سبيل التجوز، كما قالوا: يوم ماحل وكيلٍ نائم))[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾[3]، في (قتالٍ) اختلاف في معناه وإنْ كان الاختلاف يرجع لمعنى واحد، فقرأ الجمهور بالكسر وهو بدل من الشهر بدل اشتمال، وقال الكسائي والفراء مخفوض على التكرير، أي عن قتال فيه. ولكن أبا عبيدة قال إنه مخفوض على الجوار[4]. وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[5] عن يحيى بن وثاب أنه قرأ(المتينِ) بالخفض، وبه أخذ الأعمش والوجه أن يرفع[6]، ومن قرأ (المتينُ) بالرفع ((على أنه نعت للرزاق ولذي القوة، أو على أنه خبر بعد خبر أو على إضمار مبتدأ، أو نعت لاسم أنَّ على الموضع))[7]، ورفض أبو جعفر قراءة الخفض على أنه مخفوض على الجوار، كما زعم أبو حاتم، وحجته عدم وقوعه في القرآن، ولا في كلام فصيح، وهو عند رؤساء

(1) البحر المحيط: 5 / 405.

(2) م . ن .

(3) سورة البقرة: 217.

(4) ينظر اعراب القرآن (النحاس): 1/ 307، البحر المحيط: 2/ 154.

(5) سورة الذاريات: 58.

(6) معاني القرآن (الفراء): 2/ 75، اتحاف فضلاء البشر: 517.

(7) إعراب القرآن (النحاس): 4/ 252.

النحويين غلط ممن قاله من العرب[1].

فإذن قراءة الرفع على أنه صفه لذو، وبالجر صفة للقوة[2] وقراءة الجر على أنه نعت القوة، والقوة مؤنثة والمتين في لفظ مذكر لأنه ذهب بالقوة من قوي الحبل والشيء المبرم الفتل فكأنه قال على هذا المذهب ذو الحبل القوي[3]، أو جاء على أنه ((صفة القوة وجاز ذلك مع تذكيره لتأويلها بالاقتدار، أو لكونه على زنة المصادر التي يستوي فيه المذكر والمؤنث، أو لإجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول، وأجاز أبو الفتح أن يكون صفة لذو وجر على الجوار كقولهم هذا جُحْر ضب خرب))[4]، ووجه قراءة الجر على أنها ((كناية عن معنى القوة إذ معناها البطش))[5]، وقرأ ابن محيصن (الرازق) بوزن فاعل[6].

والظاهر أنَّ (المتينُ) لو كان في غير القرآن يأتي بعد الرزاق لحقه الرفع ـ ليس غيرـ أي يكون تسلسل الجملة(إنّ الله هو الرزاقُ المتينُ) لأنه نعت لـ (الرزاق). وجاء في النص القرآني وبموقعه الأخير إيثارا للفاصلة قُرئ أكثر من قراءة. ومن ذهب مع جمهور القراء بالرفع على أنه ((لو كان من نعت القوة لكان التأنيث به أولى))[7] فهذه حجة غير كافية لأنه في المقابل((للتذكير

(1) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): 4/ 252.

(2) ينظر: الكشاف: 4/ 409.

(3) ينظر: تفسير القرطبي: 27/ 12 ـ 13.

(4) البحر المحيط: 8/ 141، روح المعاني: 27/ 24.

(5) التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1182.

(6) تفسير القرطبي: 17/ 6، اتحاف فضلاء البشر: 517.

(7) تفسير القرطبي: 27/ 13.

وجه))[1]، فالقوة مصدر والمصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث. فبتأخير(المتين) أصبح له علاقة صوتية وتركيبية مع الذي قبله(القوة) لذلك ظهرت قراءة الجر(المتين) فضلا عن المماثلة الحركية تحقق السهولة الذي يبحث عنها اللسان بصورة لا إرادية أسهل من الانتقال من كسر (القوة) إلى رفع (المتين) ولكن الذي لا يسوغ تلك الصعوبة هو الوقوف على الفاصلة.

وبوقوع الجر على الجوار في العطف اختلاف. فانقسم العلماء على فريقين: الأول يرى أنّ الخفض على الجوار في العطف لا يحسن في المعطوف، لأنّ حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة، فمن قال بذلك: الزجاج، والنحاس، وأبو حيان والآلوسي. الفريق الثاني: لا يرى مانعا في وقوعه في القرآن الكريم، بل إن ذلك وارد وكثير، ومن قال بذلك: الفراء، وأبو عبيدة، والأخفش، والعكبري[2]. وفي قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾[3] انقسم القراء والنحويون على فريقين بسبب قراءة النصب لـ(أرجلَكم)وقراءة الجر الذي تبعها خلاف فقهي في حكمين الغسل أو المسح. فقرأ ((ابن كثير وحمزة وأبو عمرو (أرجلِكم) خفضا، وقرأ نافع وابن عامر، والكسائي (أرجلَكم) نصبا))[4]، ثم وقع الخلاف في رواة عاصم أنفسهم، فقد ((روى أبو بكر عن عاصم (وأرجلِكم) خفضا، وروى حفص عن

(1) م.ن.

(2) ينظر: ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية: 59 ـ 60.

(3) سورة المائدة: 6.

(4) السبعة في القراءات: 242.

عاصم(وأرجلَكم) نصبا))[1]، ومن قرأ بالجر((أنس وعكرمة والشعبي والباقر وقتادة وعلقمة والضحاك))[2]، فالحجة ((لمن نصب أنه رده بالواو على أول الكلام لأنه عطف محدود على محدود، لأنّ ما أوجب الله غسله فقد حصره بحد وما أوجب مسحه أهمله بغير حد. والحجة لمن خفض أن الله تعالى أنزل القرآن بالمسح على الرأس والرجل ثم عادت السنة للغسل))[3]، ورجح الطبري قراءة الجر[4].

ومن أحسن((ما قيل إنّ المسح والغسل واجبان جميعا، والمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض، والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب، والقراءتان بمنزلة آيتين))[5]. ورأي النحاس هذا هو توفيقي بعدما كثر الحديث حول الاختلاف في قراءة الآية الكريمة ولكل حججه[6].

وحصل الاختلاف في قراءة ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾[7]، فقرأ ((ابن كثير، ونافع, وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم(وحورٌ عينٌ) رفعا، وروى المفضل عن

---

(1) م . ن: 243.

(2) البحر المحيط: 3/ 452.

(3) الحجة في القراءات السبع: 129.

(4) ينظر: تفسير الطبري: 4/ 461 فما بعدها.

(5) إعراب القرآن (النحاس)، 2/ 9.

(6) معاني القرآن (النحاس): 2/ 272، الكشاف: 1/ 306، تفسير الميزان (محمد حسين الطباطبائي): 5/ 223 فما بعدها، تفسير مجمع البيان (الطبرسي): 3/ 283 فما بعدها، فقه القرآن (القطب الراوندي): 1/ 18 فما بعدها.

(7) سورة الواقعة: 22.

عاصم (وحورٍ عينٍ) خفضا، وقرأ حمزة والكسائي(وحورٍ عينٍ) بخفضهما))[1].
فالحجة ((لمن رفع أنه قال الحور لا يطاف بهن فقطعهن من أول الكلام وأضمر لهن رافعا معناه ومع ذلك حور عين. والحجة لمن خفض أنه اشركهن في الباء الداخلة في قوله يطوف عليهم بكأس من معين وبحور عين فقطعهن بالواو ولم يفرق بين أن يطاف به وبين أن يطوف بنفسه))[2].

وعند سيبويه أنّ الرفع فيه محمول على المعنى((وإنما جاز هذا الإضمار لأنّ معنى الحديث في قولك هذا ضاربُ زيدٍ هذا ضَرَبَ زيدا وإنْ كان لا يعمل عمله فحُمِلَ على المعنى كما قال جل ثناؤه ولحم طيرٍ مما يشتهون وحور عين))[3]، واختار الفراء قراءة الخفض، وهو من قبيل العطف في اللفظ دون المعنى، ((وكان ينبغي لمن قرأ (وحورٌ عينٌ) لأنهن ـ زعم ـ لا يطاف بهن أن يقول (وفاكهةٌ ولحم طير)؛لأنّ الفاكهة واللحم لا يطاف بهما ليس يطاف إلا بالخمر وحدها ففي ذلك بيان؛ لأنّ الخفض وجه الكلام))[4]. واحتج بقول الشاعر:

عَلَفْتها تبنا وماءً بارداً   حتى شَتَتْ همالةً عيناها

والماء لا يعتلف؛ إنما يُشرب، فجعله تابعا للتبن[5].

(1) السبعة في القراءات: 622.

(2) الحجة في القراءات السبع: 340.

(3) الكتاب: 1/ 172.

(4) معاني القرآن: 3/ 124.

(5) م. ن.

وتعجب النحاس من حجة الفراء ((فمن أين له أنه لا يطاف بهذه الأشياء التي ادعى أنه لا يطاف بها، وإنما يسلم في هذا الحجة قاطعة أو خبر يجب التسليم له. . . والخفض جائز على أن يحمل على المعنى، لأن المعنى ينعمون بهذه الأشياء وينعمون بحور عين، وهذا جائز في العربية كثير))[1].

وبالنتيجة أنّ لـ(حور عين) ثلاث قراءات فمن قرأ بالرفع لها وجهان: إضمار والتقدير (وفيها حور عين)، أو للعطف على ﴿وِلْدَٰنٌ﴾[2]، ومن قرأ بالجر جاءت القراءة عطفا على ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3] كأنه قال: هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور، أو على (بأكوابٍ) لأنّ معنى﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[4] ينعمون بأكواب[5]، وهذا التأويل بالعطف يحقق معنى مختلفا ((والمعنى مختلف إذ ليس المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بحور عين))[6]، ومن قرأ بالنصب فعلى ((معنى ويعطون هذا كله وحورا عينا))[7].

وأكبر الظن أنّ لقراءة الرفع والجر قربا من صحة التأويل والقبول عن قراءة النصب. ففي القراءة الأولى قبول من جهة المبنى والمعنى، فمن المبنى أنّ الحذف جائز إذا دلّ عليه دليل، وكان صالحا في قبوله في سياق الكلام، ولهم ـ

(1) إعراب القرآن، 4/ 328.

(2) سورة الواقعة: 17

(3) سورة الواقعة: 12.

(4) سورة الواقعة 17 ـ 18.

(5) ينظر: الكشاف: 4/ 459، مغني اللبيب: 2/ 683.

(6) التبيان في إعراب القرآن: 1/ 209.

(7) البحر المحيط: 8/ 206.

وعندهم حور عين ـ وما شابه ذلك، ومن المعنى أصبح القطع في سلسلة التركيب بالرفع لموافقة المدلول. إلا أنّ الجر هو الأنسب من طريقين:

الأول: إنّ السياق التركيبي والصوتي يقتضي (وحورٍ عينٍ) عطفا على ما قبله من شيوع الجر، وبذلك يتحقق لنا سهولة صوتية بالمماثلة الحركية على حين نجد صعوبة الانتقال من الكسر إلى الضم ـ في قراءة الرفع ـ.

والثاني: قبول قراءة الجر من وجهين: العطف على (في جنات النعيم) فهو وصف لـ(المقربون)[1] لما يتمتعون به من الجزاء الأوفر في جناتِ النعيم وفي حورٍ عين، والآخر: قبول فعل مقارب للسياق وهو(ينعمون) أي ينعمون بلحم طير وبحورٍ عين. وبذلك يتفوق (المبنى) في قبول قراءة الجر مع تكافؤ في تأويل إضمار في جهة (المعنى) بين الجر والرفع.

ويندرج تحت باب المجاورة بالإضافة حيث يكتسب المضاف أحوالا من المضاف إليه بسبب المجاورة، تصل إلى عشرة[2]، ومن ذلك (تذكير المؤنث)، في وجه من الأوجه المحتملة في قوله سبحانه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]، الذي وصل إلى ثلاثة عشر وجها[4]. فالأصل أن يكون (قريبة) إلا أنها جاءت مذكرة لمجاورة لفظ الجلالة[5]. فقد راعت العرب مسألة (الجوار)

---

(1) سورة الواقعة: 11.

(2) ينظر: مغني اللبيب: 2 / 510 ـ 516.

(3) سورة الأعراف: 56.

(4) ينظر: تحفة الطالبين في إعراب قوله تعالى(إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (ابن طولون): 429 ـ 444.

(5) ينظر: الخصائص: 2/ 412 فما بعدها، الكشاف: 1/ 399، شرح ابن عقيل، 3/ 51، لسان العرب (قرب).

(الجوار) من ذلك ((قولهم: (قامت هند) فلم يجيزوا حذف التاء إذا لم يفصل بينهما))[1]، ومن ذلك قول الشاعر:

إنارةُ العقْلِ مَكْسوفٌ بِطَوْعِ هَوى   وعَقْلُ عاصي الهوى يَزْدادُ تَنْويرا[2]

فاكتسب (مكسوف)التذكير بإضافته إلى العقل المذكر.

ومن حالات المجاورة (تأنيث المذكر)، كقولهم (قُطِعَتْ بعضُ أصابعه). فـ(بعض) بإضافتها إلى جمع التكسير(أصابع) اكتسبت التأنيث، هذا جاء بتأثير المضاف إليه في المضاف، ((وهو منه ولو لم يكن منه لم يؤنثه))[3]، وقرأ ((مجاهد وأبو رجاء والحسن وقتادة (تَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ)، وهذا محمول على المعنى لأنّ بعض السيارة سيارة))[4] فالقراءة جاءت بالتاء((لإضافتها لمؤنث))[5]، في قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾[6]، ومما جاء في الشعر قول الأعشى:

وتَشرَقُ بالقولِ الذي قدْ أذعتَهُ   كما شَرِقَتْ صَدْرُ القناةِ منَ الدَّمِ[7]

فـ(صدر) اكتسبت التأنيث من اضافتها إلى القناة.

---

(1) التبيان في إعراب القرآن: 1/ 209.

(2) مغني اللبيب: 2/ 512.

(3) الكتاب: 1/ 51.

(4) إعراب القرآن (النحاس): 2/ 316.

(5) إتحاف فضلاء البشر: 329.

(6) سورة يوسف: 10.

(7) الكتاب: 1/ 52.

المبحث الثالث

النعت السببي

لم يحد سيبويه النعت بحد أو تعريف له، إنما وصفه بأنه تابع للمنعوت[1]، ويبدو أنّ سبب ذلك عدم استقرار المصطلح وقتئذ، وقد عرفه ابن السراج ((كل ما فرق بين موصوفين مشتركين في اللفظ))[2] وعند الرماني((قول له بيان زائد على بيان الاسم الجاري عليه مختص به))[3] وهو ((التابع الذي يُكمّل متبوعه بدلالته على معنى فيه أو فيما يتعلق به))[4]، وهو((تابع مقصود بالاشتقاق وصفا، أو تأويلا))[5].

ومن العلماء من كان عنده مصطلحا (النعت) و(الصفة) ذوي دلالة واحدة، ومنهم من فرق بينهما، فذكر ابن فارس أنّ الفراهيدي فرّق بينهما فالنعت لا يكون إلا في محمود، وأنّ الوصف قد يكون فيه وفي غيره[6] وعند سيبويه المصطلحان مترادفان[7]، و((الصفة والنعت واحد، وقد ذهب بعضهم إلى أنّ النعت يكون بالحلية نحو طويل وقصير والصفة تكون بالأفعال نحو ضارب

---

(1) ينظر: الكتاب (باب مجرى النعت على المنعوت): 1/ 421 فما بعدها.

(2) الأصول في النحو: 2/ 23.

(3) الحدود النحوية: 39.

(4) أوضح المسالك (ابن هشام): 3/ 300، شرح التصريح على التوضيح (الأزهري): 2/ 108.

(5) ارتشاف الضرب: 4/ 1907.

(6) الصاحبي في فقه اللغة: 88.

(7) الكتاب: 1/ 421، 437، 545، 2/ 7، 33.

وخارج فعلى هذا يقال للباري سبحانه موصوف، ولا يقال له منعوت وعلى الأول هو موصوف ومنعوت))[1]. وذكر أبو هلال العسكري أنّ الصفة والنعت متداخلتان ((قد تتداخل الصفة والنعت فيقع كل واحد منهما موضع الآخر لتقارب معناهما، ويجوز أن يقال الصفة لغة و النعت لغة أخرى ولا فرق بينهما في المعنى))[2].

ويبدو أنّ ما ذُكر من تخصص البصريين بمصطلح (الصفة) والكوفيين بمصطلح(النعت)[3] أمر مفتعل ولا صحة تأريخية له، وقد يكون لإثبات تخصص وانفراد وقيام

مذاهب نحوية. ذلك أنّ التداخل بين المصطلحين ورد عند البصريين أنفسهم، الذي يُظهر لنا بترادفهما فـ ((الصفة عند النحويين هي النعت))[4].

والنعت نوعان: حقيقي، وسببي[5] فالحقيقي هو الجاري على إعراب الأول[6]، الدال على ((معنى في نفس منعوته الأصلي، أو فيما هو بمنزلته وحكمه النحوي، وعلامته: أن يشتمل على ضمير مستتر أصالة أو تحويلا يعود على المنعوت))[7]، كقوله سبحانه: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾[8]،

(1) شرح المفصل: 3/ 47.

(2) الفروق اللغوية: 545.

(3) ينظر: المدارس النحوية (شوقي ضيف): 201.

(4) سر صناعة الإعراب: 1/ 34، المعجم الوسيط: 2/ 933.

(5) شرح الأشموني: 4/ 298.

(6) ينظر: الحدود النحوية: 68 ـ 69.

(7) النحو الوافي: 3/ 441.

(8) سورة الذاريات: 41.

و﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[1]. فـ(العقيم) و(عقيم) تابع ((يتبع منعوته في إعرابه، هو ما كان وصفا لمنعوته، مطابقا إياه في كل ما يتسم به: من تعريف وتنكير وتأنيث، وإفراد وتثنية وجمع))[2].

ومن أمثلة المنعوت غير الأصلي(استمعتُ إلى خطيبٍ فصيحِ اللسانِ) فكلمة فصيح نعت حقيقي، والمنعوت هو خطيب، وليس منعوتا أصليا، ولكنه في حكم الأصلي، لأنّ أصل الجملة (استمعت إلى خطيبٍ فصيحٍ لسانُه)[3]. والنعت الحقيقي يتبع المنعوت في أربعة من عشرة، واحد من أوجه الإعراب، وواحد من الإفراد وفرعيه، وواحد من التذكير وفرعه، وواحد من التنكير وفرعه[4]، وجملة العشرة: (رفعه ونصبه وخفضه وإفراده وتثنيته وجمعه وتنكيره وتعريفه وتذكيره وتأنيثه))[5]، والنعت أحد التوابع الخمسة: النعت والتوكيد وعطف البيان والنسق والبدل[6].

أما النعت السببي فسمي بالوصف المجازي، لأنه يجري على غير من هو له[7]، ((والجاري على ما بعده))[8]، وهو الوصف المرفوع فاعله، نحو:

(1) سورة الذاريات: 29.

(2) في النحو العربي قواعد وتطبيق (مهدي المخزومي): 188 ـ 189.

(3) ينظر: النحو الوافي (عباس حسن): 3/ 441 ـ 442.

(4) ينظر: مغني اللبيب: 2/ 651.

(5) شرح المفصل: 3/ 54.

(6) ارتشاف الضرب: 4/ 1907، أوضح المسالك: 3/ 299.

(7) ينظر: شرح التصريح: 2/ 110.

(8) شرح الحدود النحوية (الفاكهي): 179.

جاءني رجلٌ كريمٌ أبواه، وهذان رجلان كريمة صفاتهما))[1]. والنعت السببي((يتبع في اثنين من خمسة: واحد من أوجه الإعراب، وواحد من التعريف والتنكير، وأما الإفراد وأضدادهما فهو فيها كالفعل))[2].

وعلى هذا البناء القواعدي نجد النعت السببي في المثالين السابقين فيه أحوال:

1. النعت السببي له علاقة بالذي قبله في جانبين:

أ ـ يطابق ما قبله في الإعراب رفعا ونصبا وجرا.

ب ـ يطابق ما قبله في التعريف أو التنكير.

2. يطابق ما بعده في التذكير أو التانيث.

3. يلازم حالة الإفراد.

إنَّ تعدد العلاقة لهذا النوع من النعت مع الذي قبله وبعده، جعل عددا من الباحثين المحدثين يشككون بانتمائه إلى النعت، ((إنَّ حمل مثل هذا النعت تكلف وتمحل، لأنه لم يكن صفة لما قبله في المعنى، وإنّما كان صفة لما بعده، فلا وجه لتسميته بالتابع))[3]، فوجه الاعتراض أن يتواجد شرطا التابع لما قبله في المبنى والمعنى. بل وصل الأمر إلى ((كل ما عُدَّ عند النحاة نعتا سببيا فحقه أنْ ينفصل عما قبله، وألا يجري عليه في إعرابه، ولكنه إذا وافقه في التعريف

(1) في النحو العربي قواعد وتطبيق: 187.

(2) مغني اللبيب: 2/ 651.

(3) في النحو العربي قواعد وتطبيق: 188.

والتنكير جرى عليه في الإعراب))[1]، وحجة هذا الحكم انه لا يرتبط بسابقه ارتباط النعت فعند النحاة (رأيت فتى باكيةً عليهِ أمُّه) فـ(باكية) نعت سببي، والأسلوب أن تقول (رأيت فتىً باكيةٌ عليه أمّه) ؛ بالرفع، والرفع هو وجه الكلام، من حيث كان البكاء وصفا للأم وحديثا عنها[2].

إنَّ مجيء هذا النوع من التركيب هو على أساس((من الإتباع للمجاورة وما تقتضيه موسيقى الكلام من انسجام في الحركات))[3] وحقه الرفع على الإستئناف كما في (هذا جُحْر ضب خرب جُحْره) ولكنه يفارق الرفع ويعطى إعراب ما قبله؛ إتباع المجاورة، لا إتباع النعت[4].

ويبدو أنَّ مما عرضه مَن حمل لواء تجديد وتيسير النحو* فيه وجه (نسبي) من الصحة ذلك أنّ النعت السببي بتبعيته لما قبله في الإعراب واتصاله بسبب وهو الضمير العائد، أمر لا يخرجه من موضوع (التوابع) فالمفهوم المشترك للتوابع ((هي الأسماء التي لا يمسها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها))[5]، والتبعية الإعرابية حاصلة لما قبله من حيث البناء الشكلي، أما من جهة المعنى فهو يوضح صفة ما بعده. وسببه أمران:

---

(1) إحياء النحو (إبراهيم مصطفى): 124 ـ 125.

(2) ينظر: إحياء النحو: 124 ـ 125.

(3) في النحو العربي قواعد وتطبيق: 188.

(4) ينظر: إحياء النحو: 125 ـ 126.

* د. إبراهيم مصطفى و د.مهدي المخزومي.

(5) المفصل في علم العربية: 143.

الأول: المشاكلة والمجاورة وهو شائع في العربية، والثاني: التقديم والتأخير ((ولو قلت مررتُ برجلٍ قائمٍ أبوه) تريد بقائم التأخير كأنك قلت (مررتُ برجلٍ أبوه قائم) ثم قدمت على هذه الجهة كان جيدا))[1]. ومن جهة النعت هو يطابق وينتمي إليه من جانب المبنى، أما من حيث المعنى فهو يتخلف لأنّ ((النعت هو المنعوت في المعنى))[2]، لعدم حصول المطابقة للمنعوت كليا. لذا اقترح تسميته بـ(النعت الناقص).

لقد درس أبو بكر احمد بن الحسن بن شقير البغدادي (ت317هـ) هذا اللون من النعت في (وجوه الخفض) تحت عنوان (الخفض على الجوار)[3] وقد خلط بين الجر على الجوار والنعت السببي واستشهد بأمثلة من القرآن الكريم ومن الشعر على النعت السببي المجرور واصفا إياه بأنه مجرور على الجوار ومن أمثلته المصنوعة قولهم: مررتُ برجلٍ عجوزٍ أمُّه، خفضت (عجوز) وليس من نعت الرجل إلا أنّه لما كان من نعت الأم خفضته على القرب والجوار[4] فإذا كان الجوار اسما لم يجز الجوار ولم تخفض تقول: مررتُ برجلٍ زيدٌ أبوه، رفعت زيدٌ ولم تخفض لأنه اسم وليس بنعت[5].

(1) المقتضب: 4/ 155.

(2) إعراب القرآن (النحاس): 1/ 198.

(3) المحلى – وجوه النصب ـ ابن شقير البغدادي: 146، 148، 149، تحقيق: د.فائز فارس، مؤسسة الرسالة، 1987م، وطبع بعنوان (الجُمل) ونُسب خطأ للخليل بن أحمد الفراهيدي.

(4) المحلى – وجوه النصب -: 148.

(5) م . ن:

وليس النعت على الجوار يكون مجرورا كما خصصه ابن شقير ولكن وردت في القرآن الكريم قراءات فيها نعت على الجوار بالرفع والنصب إلى جانب الخفض. ونسبة ورود هذا النوع من التركيب قليل في القرآن الكريم[1].

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾[2]، ((فاقع نعت، لونُها: رفع بفاقع))[3] و((لم يؤنث فاقعا وإن كان صفة لمؤنث لأنه رفع السببي وهو مذكر. . . ولا يصح أنْ يكون تابعا لصفراء على سبيل التوكيد لأنه لا يلزم المطابقة))[4]. ونحو قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[5] فـ(الظالم) ((نعت للقرية وإن كان الفعل للضمير. . . ولم يقل الظالمين لأنه نعت يقوم مقام الفعل أي التي ظلم أهلها))[6]. وقوله عز من قال، و﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾[7]، فـ(مختلفا) نصب لأنه نعت لثمرات، ورفع (مختلف) لأنه نعت كذلك لأنّ ما قبله مرفوع، و(ألوانها) في الحالتين مرفوع بـ(مختلف)[8]. ونحو قوله سبحانه، ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ

(1) النعت في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه): 305.

(2) سورة البقرة: 69.

(3) إعراب القرآن (النحاس): 1/ 235.

(4) البحر المحيط: 1/ 417.

(5) سورة النساء: 75.

(6) إعراب القرآن (النحاس): 1/ 471 ـ 472.

(7) سورة فاطر: 27.

(8) ينظر: إعراب القرآن (النحاس): 3/ 370.

شَرَابُهُ ﴾[1]، و(سائغ) نعت سببي لـ(فرات) في المبنى.

والعامل المشترك في النعت الوارد في الأمثلة القرآنية وقوعه مشتقا من المشتقات وهو اسم الفاعل العامل عمل فعله، فقوة العمل جاءت من فعله، ((تقول مررت برجل قائم أبوه، فترفع الأب بفعله، وتجري قائما على رجل ؛لأنه نكرة وصفته بنكرة، فصار كقولك مررت برجل يقوم أبوه))[2]. وقد حمل بعضهم هذا التركيب على أنه ((تركيب جملي وصفي أدى وظيفة النعت كما يحدث في التركيب الاسمي والفعليّ))[3].

(1) سورة فاطر: 12

(2) المقتضب: 4/ 155.

(3) الجملة الوصفية، شعبان صلاح: 187، نقلا عن (التوابع في نهج البلاغة) رسالة ماجستير: 48.

الفصل الرابع

الانسجام الصوتي في الظواهر اللغوية

الفصل الرابع

الانسجام الصوتي في الظواهر اللغوية

المبحث الأول: الإمالة

المبحث الثاني: تسهيل الهمز.

المبحث الثالث: الوقف.

الفصل الرابع
الانسجام الصوتي في الظواهر اللغوية

المبحث الاول
الإمالة

لم يرد في كتاب سيبويه تعريف واضح للإمالة. وإنما وردت عبارات انطلق منها من جاء بعده لتعريفها نقل قول الخليل (إنَّ إجناح الألف أخف عليهم، يعني الإمالة، ليكون العمل من وجه واحد))[1]، وفي موضع آخر قال سيبويه: ((فالألف تمال اذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك: عابدٌ وعالِمٌ. . . وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها))[2]، ثم قال: ((ومما يميلون ألفه كل شيء كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عينٌ إذا كان أول فَعَلْتُ مكسورا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء))[3].

وجاء بعد سيبويه النحويون، وأصحاب القراءات القرآنية فعنوا بهذه الظاهرة اللغوية الصوتية، فالنحويون مالوا إلى ما جاء في عبارة سيبويه إلى كلمة (نحو نحوَ)، ((ولا يكون ذلك إلا لعلة تدعو إليه))[4]، وعند ابن جني((إنما وقعت لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو عالم وكاتب. . . بأن نحوت بالفتحة نحو

(1) الكتاب: 3/ 278.
(2) م . ن: 4/ 117
(3) م .ن: 4/ 120
(4) المقتضب: 3 / 42.

الكسرة فأملت الألف نحو الياء)[1] وهي عند الزمخشري ((أن تنحو بالألف نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء ليتجانس الصوت))[2]، وعند ابن يعيش ((عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة وبحسب بعده تكون خفتها))[3].

أما القراء فقد أمالوا إلى مصطلح (تقريب) في الغالب، وكانت للقراء دراسات صوتية دقيقة، ومنها هذه الظاهرة[4]، فعند مكي بن أبي طالب((تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة))[5]، فمادة (نحا) عند النحاة ليست نصا في التقريب الذي يحرص عليه القراء، على الرغم من مجيء لفظة (نحا) عند القراء المتقدمين[6].

من الصعب أن نقتنع بهذا الحكم لأمرين: أولهما، أنَّ سيبويه ذكر لفظة(التقريب)[7] تعليلا وإبانة لوقوع الإمالة على الرغم من عدم استقرار المصطلح وقتئذٍ، وثانيهما: هو وجود تأثر معظم القراء بتعريفات النحاة ومنهم

(1) الخصائص: 2/ 141، سر صناعة الإعراب: 2/ 816.

(2) المفصل: 471.

(3) شرح المفصل: 9/ 54.

(4) ينظر في الدراسات القرآنية واللغوية (عبد الفتاح شلبي): 31 فما بعدها، التطور النحوي للغة العربية: 9.

(5) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 168.

(6) ينظر: في الدراسات القرآنية: 35.

(7) الكتاب: 4/ 117

ابن الجزري[1]. وما نجده من تعريفات لبعض القرّاء من تقدم لفظة (تقريب) على كلمة(نحو)[2] إنما هو مصطلح عام وعنوان كبير استعمله النحاة المتقدمون للانسجام بين الأصوات يضم: الإدغام والإمالة، والإبدال، والإتباع، والمضارعة (المماثلة) والإمالة عكسها الفتح (التفخيم أو النصب)[3].

وعند المحدثين تعني (المماثلة)، فهي ((ظاهرة من ظواهر المماثلة، وتعني المماثلة أنّ صوتا من الأصوات في كلمة أو ما يشبه الكلمة أثّر في صوت آخر في نفس الكلمة فجعل نطقه قريبا من نطقه))[4]، ((فكلما اجتمعت كسرة وفتحة أثّرت الأولى في الثانية فحولتها إلى إمالة))[5]، والأمر ليس مطردا في كل أنواعها[6]. فهي إذن ((ضرب من المماثلة بين الأصوات عموما وضرب من الإتباع خصوصا))[7]. وعرّفها بعض المستشرقين بأنها((تضييق الفتحة الطويلة المتقدمة إلى (: ع) و(e): وأحيانا أيضا(:i) في لهجات مختلفة بشروط متباينة))[8]، وهي المرحلة الثانية للصوت المركب الذي يسميه المحدثون (Diphthong)، وحين

(1) ينظر: النشر: 2/ 30، في الدراسات القرآنية: 214، الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية (عبد العزيز علي): 51 فما بعدها.

(2) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 168

(3) النشر: 2/ 30.

(4) علم اللغة العربية (محمود حجازي): 226 ـ 227

(5) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: 1/ 95 ـ 96.

(6) م . ن: 1/ 96.

(7) لهجة تميم: 128..

(8) دراسات في العربية (فيشر): 334.

تكون إمالة إلى الكسر في حالة (ai)، وإلى الضم في حالة (au)[1].

والإمالة تأتي من جهة الجواز لا الوجوب[2] وتقع لضرب من تجانس الصوت وتقاربه مع صوت آخر فعندما تنحو بالفتحة نحو الكسرة لتميل الألف نحو الياء، نحو مالك وحاتم، ومثلما يقع في الحرف يقع كذلك في الحركة الفتحة والضمة والكسرة، نحو فتحة عين عابد وعارف[3]، طلبا ((للتشاكل، لئلا تختلف الأصوات فتتنافر))[4]، و((صيرورتها من نمط واحد))[5] فيتحقق((تناسب الصوت وذلك أنَّ الألف والياء وإنْ تقاربا في وصف وقد تباينا من حيث أنَّ الألف من حروف الحلق، والياء من حروف الفم فقاربوا بينهما بأن نحوا بالألف نحو الياء، ولا يمكن أن ينحى بها نحو الياء حتى ينحى بالفتحة نحو الكسرة فيحصل بذلك التناسب))[6]، فبين الألف والياء تشابه في اللين، وتباعد لانفتاح الألف، وانسفال الياء، والألف تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب منه أسفله فتنافرا ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء. فصار الصوت بين بين، فاعتدل الأمر، وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر[7]، ولا يختلف ((فيخف على اللسان ويسهل على النطق))[8].

---

(1) ينظر: في اللهجات العربية: 81.

(2) الخصائص: 1/ 164، شرح التصريح: 2/ 346، 351.

(3) ينظر: سر صناعة الإعراب: 1/ 51 ـ 52.

(4) أسرار العربية: 202.

(5) شرح التصريح على التوضيح: 2/ 346.

(6) همع الهوامع: 3/ 414.

(7) ينظر: في الدراسات القرآنية واللغوية: 226.

(8) لهجة تميم: 128.

وتنقسم على قسمين:

1. الإمالة الكبرى (الشديدة): وهـي المحـضة، أي الكـثيرة في الانحـراف، ويقال لها الاضجاع، أو البطح، أو الكسر.

2. الإمالة الصغرى(المتوسطة): ويقال لها التقليل والتلطيف، وبين بين أي بين الفـتح والإمالـة المحـضة[1]، ((والقـراء يـستعملونهما معـا))[2]. واعتد سيبويه الإمالة (الشديدة) كأنها حرف آخـر قـرب مـن اليـاء، وإمالة بين بين لم يعتدها[3]، على الـرغم مـن أنّ كليهمـا ((جـائز في القراءة، جارٍ على ألسنة العرب))[4] فـ(بين بين) هنـا((لا هـي فـتح ولا إمالة))[5]. ورفض بعض المحدثين تسمية النـوع الثـاني بالإمالـة، بل يسمى (بين اللفظين) أو ترقيقا[6].

يبدو لي أنّ مـسألة انتمـاء إمالـة (بـين بـين) إلى الإمالـة أولاً تنـاقش مـن جهتين: الأولى: إنّ الإمالة ظـاهرة جـواز لا وجـوب لـذا قـرأ القـراء بالـشديدة والمتوسطة معا، الثانية: إنّ إمالة (بين بين) لو طبقنا الحد الصوتي عليه لابتعد عن هذا العنوان. فالإمالة ميل من صوت إلى آخر مع وجود إشمام للـصوت المبـدل

(1) ينظر: النشر: 2/ 30.

(2) إبراز المعاني: 204.

(3) ينظر: النشر: 1/ 201.

(4) الأصوات اللغوية: 40.

(5) في الدراسات القرآنية واللغوية: 27.

(6) ينظر: المحيط في أصوات العربية: 1/ 94.

عنه مقتربا كثيرا من الكسرة ومبتعدا عن الفتحة، لأجل الانسجام – غالبا[*] – بشرط وجود الكسرة أو الياء. وقد وصف بعض المحدثين النوعين بأن الإمالة الشديدة هي حركة إمامية نصف منغلقة وإمالة بين بين يكون الصوت فيها بين الفتحة والكسرة[1] بل ((تكون أقرب إلى أصلها وهو الفتح منها إلى الكسر))[2].

وتقع الإمالة في الأسماء المعربة والأفعال وهي((في الفعل أقوى منها في الاسم، لتمكنها في التصريف، وهي دخيلة في الحرف لجموده ولذا قلت فيه))[3].

واضطرب القدماء في أسباب وقوع الإمالة، فمنهم من جعلها ثلاثة[4]، وستة عند الآخر[5]، ومنهم من عدها ثمانية[6] إلى أن وصلت الأسباب إلى اثني عشر[7]، ولكن ((أشهرها إمالة الفتح إلى الكسر))[8] والذي سنبدأ به في تفصيل تلك الأسباب:

أولاً: إمالة الألف نحو الكسرة

فعند القدماء أنّ الفتحة التي قبل الألف تُمال إلى الكسرة ومن ثمّ تمال

(*) في بعض أنواع الإمالة لا انسجام فيها نحو: الحجاج والناس، وإمالة الفتحة قبل هاء التأنيث نحو مدرسة.

(1) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 157.

(2) الأصوات اللغوية: 40

(3) إتحاف فضلاء البشر: 102.

(4) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 170.

(5) شرح المفصل: 9/ 55، الأشباه والنظائر: 2/ 134.

(6) أوضح المسالك: 4/ 354، شرح التصريح: 2/ 347.

(7) النشر: 2/ 32.

(8) في اللهجات العربية: 58.

الألف إذا جاء قبلها أو بعدها كسرة، ((اعلم أن الألف إذا دخلتها الإمالة دخل الإمالة ما قبلها))[1]، وهذا ما يرفضه الرأي الحديث من تفسير القدماء أنّ هناك صوائت قصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) قبل الصوائت الطويلة (ا، و، ي)، فالذي يوجد هو صوائت طويلة فقط(أصوات مد)، وهي التي يصيبها التغيير[2]، فلا وجود للحركة قبل الألف، لا في الإمالة ولا في غير الإمالة[3]

المهم إذا كان قبل الألف كسرة أو بعده، مع عدم وجود فاصل من فتح أو ضم، مثال الأول(عِماد) والثاني(عالِم)، وبوجود حرف أو حرفين، بين أول حرف وبين الألف، يكون الحرف الأول ساكنا، لأنّ الساكن ليس بحاجز قوي، مثل سِربال، وشِمال[4] فإذا كان الفاصل حرفا واحدا تكون الإمالة أقوى للقرب الصوتي وبذلك يحصل التأثير. ولكن تمال أيضا فتحة اللام في (شِمْلَال)* لكسرة الشين ((ولا يعتد بالميم فاصلة لسكونها فهي حاجز غير حصين فصارت كأنها غير موجودة فإذاً قولك شملال كقولك شمال))[5]. والكسرة ((هي التي دعت إلى الإمالة))[6]، وهو شرطها الرئيس[7]، وكلما كانت الكسرة ((متقدمة على الألف كانت أدعى للإمالة منها إذا كانت متأخرة. . . في تقدمها تسفل بالكسرة ثم تصعد إلى الألف وإذا كانت الكسرة بعد الألف كان في ذلك تسفل بعد

(1) الكتاب: 4/ 126.

(2) ينظر: علم الأصوات (كمال بشر): 451، فما بعدها.

(3) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 202.

(4) ينظر: الكتاب: 4/ 117 ـ 120، التكملة: 528.

* شملال: الناقة الخفيفة (شرح التصريح: 2/ 348).

(5) شرح المفصل: 9/ 55.

(6) شرح المفصل: 9/ 55.

(7) ينظر: لهجة تميم: 128.

تصعد، والانحدار من عالٍ أسهل من الصعود بعد الانحدار وإنْ كان الجميع سببا للإمالة))[1].

ومن أمثلة ما أميل بسبب الكسرة في(الراء) إذا وقعت الفتحة قبل حرف (الراء) مباشرة، وألا يكون الحرف المفتوح ياء أو أن يحدث الفصل بحرف مكسور أو ساكن غير ياء، وأن تكون الراء مكسورة، نحو (من الكبَرِ) و(من الصغَرِ)، فتمال فتحة ما قبل الراء بسبب وقوعها قبل راء مكسورة[2]. والراء الذي وصف بالمكرر هو ((حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجافى للصوت كالرخوة ولم يكرر لم يجرِ الصوت فيه))[3]. وكسرة الراء((بمنزلة كسرتين، لأنّ فيها تكريرا))[4]، فاللسان ((يتعثر بما فيه من تكرير، ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين))[5]. والراء ((أصلها التغليظ والتفخيم ما لم تنكسر الراء، فإن انكسرت غلبت عليها، فخرجت عن التفخيم إلى الترقيق وذلك نحو: (مررتُ بساتر وغافر))[6]، وهو صوت (يُفخم في مواقع ويرقق في مواقع))[7].

وتأتي قوة الراء من جهتين((كأنها مضاعفة والوقف يزيدها إيضاحا))[8]، ((فإذا جاءت بعد الألف مكسورة مالت الألف من أجلها وذلك قولك: هذا

---

(1) شرح المفصل: 9/ 56.

(2) ينظر: الكتاب: 4/ 142.

(3) م. ن: 4/ 435.

(4) إعراب القرآن (النحاس): 4/ 56.

(5) سر صناعة الإعراب: 1/ 63.

(6) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 209.

(7) دراسة الصوت اللغوي: 279.

(8) الكتاب: 4/ 136.

عارم وعارف. فكانت الإمالة هاهنا ألزم في عابد ونحوه))[1]. والإمالة((تقع على الألف لأنها حرف هوائي، فيتهيأ فيه مالا يتهيأ في غيره))[2].

وفي الجر ((فالألف تُمال وكذلك إنْ كان أول الحرف مضموما أو مفتوحا نحو: من الدُّوارِ. لأنّ الراء في كل هذا كحرفين مكسورين فيقوى لذلك على اجتلابها مجرورة كما قَوِيَ على منعها مرفوعة ومنصوبة. وإذا كانت الراء بعد الألف التي تليها قويت الإمالة عليها كما قويت في صِفافٍ وقِفافٍ)[3].

وإذا كانت الراء مفتوحة أو مضمومة منعت من الإمالة، ((لأنّ الراء حرف تكرير فإذا كانت مفتوحة أو مضمومة فكأنه اجتمع فيها فتحتان أو ضمتان))[4]، نحو(هذا رَاشد، وهذا فراش)، على عكس الكسر الذي يقوّي الإمالة[5]، ومن الأحوال التي تقوى الإمالة هي كسرة البناء لأنّها ((لازمة لا تتغير، وكسرة الإعراب لا تلزم إلا في حالة الخفض. فهي أضعف))[6]. من ذلك ما تفرد به الكسائي من إمالة (جَبَّارِينَ)[7]، و(سَارِعُواْ)[8]، (بَارِئِكُمْ)[9]،

---

(1) المقتضب: 3/ 48.

(2) إعراب القرآن (النحاس): 4/ 56.

(3) التكملة: 535، فما بعدها.

(4) أسرار العربية: 203.

(5) ينظر: شرح المفصل: 9/ 61.

(6) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 171.

(7) سورة المائدة: 22، الشعراء: 130

(8) سورة آل عمران: 133.

(9) البقرة: 54.

وغيرها[1] فأمال ذلك كله لوقوع الكسرة تحت الراء بعد الألف الزائدة، وأجرى كسرة البناء مجرى كسرة الإعراب[2].

ثانياً: إمالة الألف نحو الياء

وهي عند القراء(الإمالة على الأصل)[3]. فتمال الألف التي أصلها ياء في الاسم والفعل إذا وقعت متطرفة، وهذا الموقع يتعرض للتغيير، ((فآخر الحروف أضعف، لتغيره والعدة على حالها))[4]. والألف إذا ((كانت منقلبة من ياء في اسم أو فعل فإمالتها حسنة وأحسن ذلك أن تكون في موضع اللام))[5].

فالألف إما تكون(أصلها الياء، أو تكون زائدة رابعة وأكثر، فيكون حكمها حكم ما أصله الياء، أو تكون الألف للتأنيث))[6]، نحو: أتى، وتعالى، ورمى، وسعى، ألخ، هذا في الأفعال، أما

في الأسماء فنحو: الهدى، والهوى، والقرى، ألخ. أما الألف الزائدة التي تجري على حكم الأصلية فتُمال، نحو كسالى، يتامى، وشبهه، ومنه ما فيه ألف التأنيث، فتُمال، لأنّ التأنيث له الكسر والياء في قوله تعالى: (أنّى

(1) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 171، التيسير في القراءات السبع: 49، فما بعدها.

(2) ينظر: م .ن.

(3) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 177.

(4) الكتاب: 4/ 119.

(5) المقتضب: 3/ 43.

(6) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 177.

لَكِ)[1] و(مَتَى)[2] وشبهه، ولأنّ الألف قد صارت رابعة فيه، فهي في حكم ما أصل ألفه الياء، نحو: (شَتَّى)[3]، (صَرْعَى)[4] وشبهه، وكل ذلك يميله حمزة والكسائي[5].

وإذا كانت الألف منقلبة عن واو في الفعل((جازت الإمالة فيه على قبح، نحو قولك غزا، دعا، عدا لأنّ هذا البناء قد ينقل بالهمزة إلى أفعل فيصير واوه ياء لأنّ الواو إذا وقعت رابعة صارت ياء نحو أغزيت وأدعيت فتقول: أغزي وأدعي بالإمالة))[6].

ولإمالة الألف نحو الياء أربعة أسباب:

- أحدها: أنها منقلبة عن ياء كما مر بنا،
- وثانيها : في كل ما آخره ألف تأنيث مقصورة فإنها تمال لأنها تئوول إلى الياء في التثنية والجمع نحو حبلى وسكرى.
- وثالثها: إذا كانت الألف بدلا من عين فعل تكسر فاؤه حين يسند إلى الضمير نحو خاف أصلها خوف وباع بيع.
- ورابعها: تمال الألف التي تتلو ياء متصلة بها نحو سَيَال بفتحتين أو منفصلة بحرف نحو شَيْبان، أو بحرفين ثانيهما هاء نحو جَيْبُها أو يدها، ونلاحظ في كلمة (شيبان) أنّ الياء فيها ساكنة فتكون الإمالة أقوى من كون الياء

(1) سورة آل عمران: 37.

(2) سورة البقرة: 214.

(3) سورة طه: 53.

(4) سورة الحاقة: 7.

(5) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 177 ـ 178.

(6) شرح المفصل: 9/ 57.

متحركة، واشترطوا أن يكون الفاصل حرفين أحدهما (الهاء) لأنها صوت خفي فيكون الفاصل حينئذ ضعيفا[1].

والياء ((وإنْ كانت من أقوى أسباب الإمالة عند النحاة لم تكن سبباً لإمالة شيء عند القراء))[2] فأسبابها ترجع إلى شيئين: الكسرة والياء[3].

ثالثاً: الإمالة للإمالة

نحو(رأيتُ عِمَادا)[4]، فيميلون ((الألف في النصب لإمالة الألف الأولى))[5]، نحو إمالة حمزة والكسائي في قوله تعالى: (وَنَـأَ بِجَانِبِهِ)[6] النون والهمزة، لأنّ الألف التي بعد الهمزة، أصلها الياء تقول: نأيت، فأمالا لتقرب الألف إلى أصلها عن طريق تقريب فتح الهمزة إلى نحو الكسرة[7]. ((والغرض من ذلك تناسب الأصوات وتقارب أجراسها))[8]. فتكون الإمالة من هذا النوع على ضربين:

- الأول: أنْ تمال فتحة في كلمة، لإمالة فتحة في تلك الكلمة. . . فأما أن يُمال

(1) ينظر: شرح الاشموني على ألفية ابن مالك: 4/ 225، في الدراسات القرآنية واللغوية: 160 ـ 164.

(2) في الدراسات القرآنية واللغوية: 182.

(3) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 163.

(4) الكتاب: 4/ 123.

(5) الأصول في النحو (ابن السراج): 3/ 160.

(6) سورة الإسراء: 83، فصلت: 51.

(7) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 188 ـ 189، 191.

(8) شرح المفصل: 9 / 58 ـ 59.

الثاني، لإمالة الأول، أو يمال الأول، لإمالة الثاني. كما في الأمثلة المارة الذكر.

- الثاني: أن تُمال فتحة في كلمة، لإمالة مثل تلك الفتحة في نظير تلك الكلمة، كما في الفواصل القرآنية كقوله سبحانه: (وَالضُّحَى)[1] أميل، ليزاوج (قَلَى)[2]. وإمالة ألف(تلا) من قوله عز من قال (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا)؛ لمناسبة ما بعدها مما ألفه منقلبة عن ياء، (جَلَّاهَا) و(يَغْشَاهَا)[3]، والصورتان من الإمالة لأجل التناسب[4]. بل إنَّ غرضها بشكل عام هو((التناسب، وقد ترد للتنبيه على أصل))[5].

فكل أضرب الإمالة لها تفسير واحد وهو يحتمل أنّ ما نسمعه الفا الآن كان في الأصل أحد صوتين: رقيق يقرب من الياء، نحو سار يسير، وفخم يقرب من الواو، كالأفعال التي عينها واو، وما الإمالة والتفخيم إلا آثار هذين الصوتين[6]. ومنهم من قسمها على قسمين:

1. صوت لين خالص تكون من صوت لين مركب يسميه المحدثون (**Diphthong**).
2. تغير في مقياس صوت من أصوات اللين. والحالة الأولى حين يكون

(1) سورة الضحى: 1، 3

(2) ينظر: شرح الرضي على الشافية: 3/ 13 ـ 14، أوضح المسالك: 4/ 354 ـ 355.

(3) سورة الشمس: 2 ـ 4.

(4) ينظر: شرح الاشموني على ألفية ابن مالك: 4/ 34 ـ 35.

(5) م . ن: 4/ 24.

(6) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 204 ـ 205.

صوت اللين طويلا، ومنقلبا من أصل يائي أو واوي[1].

والإمالة ليست بابا مفتوحا في عالم اللغة، فهناك عوامل تؤدي إلى إضعاف الإمالة، وهي حروف الاستعلاء إذا كان حرف منها قبل الألف، أو بعد ألف تليها، وإن كانت بعد الألف بحرف أو بحرفين، والحروف هي) (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء))، إذا كان حرف منها قبل الألف، والألف تليه وذلك قولك قاعد. . . وإذا الحرف من هذه الحروف بعد ألف تليها وذلك قولك ناقد. . . وكذلك إن كانت بعد الألف بحرف وذلك قولك نافخ. .. وكذلك إنْ كان شيء منها بعد الألف بحرفين وذلك قولك مناشيط. . . .))[2] وعلة المنع يعود إلى ما تتصف به هذه الأصوات من استعلاء عند النطق بها، فهي منفتحة المخارج فلذلك وجب الفتح معها، والإمالة تسفل وكان بينهما تناف[3]. فمنعت الإمالة معها طلبا لتجانس الصوت الذي هو سبب وجود الإمالة[4]، فحدث التباين بين تلك الأصوات والإمالة[5]. واللسان عند النطق بهذه الأصوات السبعة ((يعلو نحو الحنك محدثا التفخيم (أو نوعا منه) ومن ثم تبقى الألف (والفتحة) على حالها دون إمالة، طلبا للمجانسة. والإمالة - كما هو معروف ـ ضرب من الترقيق))[6].

وبذلك يظهر لنا أنّ المحافظة على الانسجام والخفة أحد وأهم أسباب منع

(1) ينظر: اللهجات العربية (إبراهيم أنيس): 46، في اللهجات العربية: 57.

(2) الكتاب: 4/ 128 ـ 130.

(3) ينظر: شرح المفصل: 9/ 59، 60.

(4) ينظر: شرح التصريح: 2/ 349.

(5) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 205 ـ 206.

(6) علم الأصوات (كمال بشر): 455.

الإمالة مع هذه الأصوات التي يتناسب معها الفتح، لأنه يرتفع إلى الحنك. فعند ميل الألف معها يؤدي إلى ثقل في النطق، وغاية الإمالة تحقيق التخفيف والسهولة النطقية، كما منع صوت الراء المفتوح والمضموم من الإمالة لتكريره ولأنه يحتاج إلى مد زمني أطول.

ويمكن القول إنّ (عنوانات) الكتب اللغوية من قولهم (موانع الإمالة) مصطلح يجانب الدقة، فالمختار هو (أسباب إضعاف الإمالة). ذلك أنّ هذه أصوات الاستعلاء تضعّف الإمالة في الأسماء دون الأفعال، فمن الممكن إمالة طاب، خاف، سقى، أعطى، وما شابه ذلك، ثم أنّ الإمالة ظاهرة اختيار لا وجوب فيها بقصد الخفة وانسجام الأصوات فيما بينها كما مرّ بنا.

وفيما يخص حروف المعاني فلا إمالة معها وهي(حتى، وإلى، وعلى، وأما، وإلا، وألا، وإذا)[1]، لأنّ ((الإمالة ضرب من التصرف، أو لتدل الألف على أنّ أصلها ياء، والحروف لا تتصرف، ولا تكون ألفاتها منقلبة عن ياء ولا واو))[2] ولكنهم أمالوا (بلى) لكونها على ثلاثة أحرف كالأسماء، وأنها تُغْني في الجواب، وأمالوا (يا) في النداء لأنها قامت مقام الفعل[3]، و(بلى) عكس (حتى، وإلا) فلا تكفي عن شيء[4]، وكذلك أمالوا(أنى، متى، ولاالنافية) فيدخل في حكم الشاذ، ونيابتها عن الجمل فصار لها مزية على غيرها[5]، وإمالة بعض الحروف ((قليل

(1) ينظر: التكملة: 538 – 539.

(2) أسرار العربية: 204.

(3) ينظر: م .ن.

(4) ينظر: شرح المفصل: 9/ 65.

(5) ينظر: شرح التصريح، 2/ 352.

جدا بحيث لا ينقاس بل يقتصر فيه على مورد السماع))[1]، إذ باب الإمالة يكون في ((الاسم والفعل))[2].

واختلف القدماء في كون الإمالة فرعا عن الفتح أو أنّ كلا منهما أصل برأسه، وكان الرأي الغالب عندهم هو أنّ الإمالة فرع عن الفتح والفتح أصل، ((أصل الكلام كله الفتح. والإمالة تدخل في بعضه، في بعض اللغات لعلة، والدليل على ذلك أنّ جميع الكلام، الفتح فيه سائغ جائز، وليست الإمالة بداخله إلا في بعضه، في بعض اللغات، لعلة. فالأصل ما عمّ، وهو الفتح))[3]، وشارك النحاة القراء في ذلك معللين((أنّه يجوز تفخيم كل ممال ولا يجوز إمالة كل مفخم، وأيضا فإن التفخيم لا يحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب))[4]. والفتح والإمالة ((لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب))[5].

وحكم بعض المحدثين أنّ جدلية هذه المسألة من صنيع القراء لا النحاة[6]، والصحيح ((أنّ النحاة لم يختلفوا عن القراء في حديثهم حول هذا الموضوع))[7] فمن الصعب أن نقتنع أنّ مسألة الأصل والفرع للإمالة بعيدة عن النحاة بل إنهم - وخاصة البصريين - أقحموا هذه المسألة في النحو وهي من ظواهر الفلسفة

(1) همع الهوامع: 3/ 414

(2) م . ن.

(3) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 168، النشر: 2/ 31 ـ 32.

(4) شرح المفصل: 9/ 54.

(5) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 243.

(6) ينظر: في الدراسات القرآنية واللغوية: 60 ـ 61.

(7) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: 121.

والمنطق الذي أثقل النحو وشابه التكلف. فظهر مثلا الأصل والفرع في المعرب والمبني، والمذكر والمؤنث وغيرهما، مما لا فائدة منها. ويكفي أنّ الإمالة ظاهرة صوتية يميل إليها الناطق العربي بحثا عن الانسجام والاتساق الذي يحقق له السهولة والخفة.

ونظرة المحدثين لهذه المسألة تختلف عن القدماء ((فمرة تكون الأصالة للفتح ومرة تكون للإمالة. فالتي أصلها ياء الأصل فيها الإمالة ثم تفرع الفتح عنها نحو(باع) هي (بَيْعَ) ثم (إمالة) ثم (فتح) فالصوت المركب (ai) قد تطور أولا إلى(:e)ثم الى (a :)، . . . قبائل الحجاز التي عرف عنها الفتح قد قطعت مرحلة أخرى في تطور لهجاتها، إذ انتقلت من الإمالة إلى الفتح))[1]، ومنهم من حكم قطعيا بأصالة الفتح ((إنّ صوت الإمالة فرع من صوت الفتح، وليس أصلا في ذاته))[2].

وقرر القدماء أنّ كل ممال يجوز فتحه[3]، ولو صح ((هذا القول لأمكن أنّ نتصور أنّ من القبائل من كانوا يميلون ويفتحون كما تشاء لهم أهواؤهم، وذلك أمر لا يقبله اللغوي الحديث، . . . إنما هو عادة لكل قبيلة. . . ، يتوارثونها الخلف عن السلف دون شعور بها))[4].

ويبدو لي أنّ تخطئة ما قيل مسألة فيها نظر. لأنّ مقام ما ذكر من حكم،

(1) اللهجات العربية: 47، في اللهجات العربية: 58.

(2) المحيط في أصوات العربية: 1/ 40.

(3) ينظر: شرح المفصل: 9/ 54.

(4) اللهجات العربية: 50، في اللهجات العربية: 60 ـ 61.

هو إعطاء دليل على أنّ الإمالة فرع من الفتح. وإلا فالقدماء اعترفوا بوجود الاختلاف، ((العرب مختلفون في ذلك فمنهم من أمال، وهم تميم وأسد وقيس ويمامة أهل نجد، ومنهم من لم يمل إلا في مواضع قليلة وهم أهل الحجاز))[1].

رابعاً: الإمالة واللهجات

نستطيع أنّ ننسب الإمالة إلى القبائل البادية في وسط شبه الجزيرة وشرقها، وذلك راجع إلى أنهم كانوا يميلون إلى الاقتصاد في الجهود العضلي، والإمالة تحقق لهم ذلك[2]، فالعلة الرئيسة بوجودها عند تميم مثلا، ((من ميلهم إلى الكسر، وإلى كون الكسرة عندهم حركة قوية تؤثر في الحركات الأخرى إنْ وجدت، فإنْ كانت هذه الحركات طويلة كالألف قربتها من الكسرة كما في الإمالة أو من الحركات القصيرة كالفتحة قلبتها إلى كسرة صريحة كما في الإتباع))[3]. ويمكن أنْ ننسب الفتح إلى غرب شبه الجزيرة أي الحجاز الذين كانوا يفخمون بالفتح[4]. وإنّ سبب وجود الفتح والإمالة ((يمكن أنْ تعزى إلى اختلاف اللهجات العربية))[5].

ويظهر أنّ إمالة قبائل وسط الجزيرة وشرقيها كانت إمالة شديدة[6]، التي

(1) همع الهوامع: 3/ 414.

(2) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 168.

(3) لهجة تميم: 130 .

(4) ينظر: في تاريخ العربية (نهاد الموسى): 54.

(5) اللهجات العربية: 40.

(6) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 159.

تكون((بين أصوات اللين))[1]، أي لا تكون من أصوات اللين المتسعة[2] على عكس القبائل المتاخمة لمدن

العراق التي كانت إمالتها خفيفة أي قريبة من الفتح[3]:

وظهور الإمالة في بعض القبائل وخفائها عند البعض الآخر ((يجعلنا نميل إلى أنّ الصوت كان يمر بمرحلة اضطراب وقلق هي إرهاصات تطور صوتي فيه تخليط بين الألف التي هي من أصل ياء والتي جاءت زائدة ابتداءً والتي هي منقلبة عن واو، فهو إذن صوت كان يمر بمرحلة انتقال))[4]، مثال ذلك أنّ تميم لم تُمل ما جاء على ثلاثة أحرف من أصل واو: قفا وعصا من الأسماء، أو بلغت الأسماء أربعة أحرف[5].

وفي اللهجات العربية الحديثة نجد أنّ نسبة إمالة الفتحة الطويلة إمالة شديدة جدا أقل بكثير بل هي نادرة بالمقارنة مع الإمالة الضعيفة التي هي كثيرة جدا[6]. ونجد أكثر من صورة للإمالة، ففي لبنان نجد نحوا بالألف جهة الياء، نحو (سالم)، وفي فلسطين نحوا بالفتحة جهة الكسرة نحو (فاطمة)[7].

(1) في اللهجات العربية: 81.

(2) ينظر: الأصوات اللغوية: 41.

(3) ينظر: في اللهجات العربية: 81.

(4) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: 204.

(5) ينظر: الفكر الصوتي عند ابن دريد والكوفيين (خليل العطية): 92.

(6) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 160.

(7) ينظر: في تاريخ العربية: (نهاد الموسى): 54.

خامساً: الإمالة عند القراء

ومثلما وجدنا الفتح في لهجة، والإمالة في لهجة أخرى، كذلك الأمر عند القرّاء. فالقراءة صدى للهجات ـ غالبا ـ و((كان عاصم يفرط في الفتح وحمزة يفرط في الكسر))[1]، وكل ((القراء العشرة إلا ابن كثير فإنّه لم يمل شيئا في جميع القرآن))[2].

فيظهر لنا سؤال مهم. هل للبيئة أثر تام وكامل على القارئ فتكون القراءة انعكاسا لها، أم المسألة لا تطرد بهذا الجزم، أو قد تكون مؤثرات أخرى على القارئ غير محيطه المكاني، شيوخ القارئ مثلا الذي أخذ القراءة عنهم. في الواقع إنّ كل عنصر من تلك العناصر الثلاثة لها أثر في توجيه القراءة.

فمن القراء الذين عكسوا ما اشتهرت به بيئتهم من الفتح (ابن كثير) ذو البيئة الحجازية المكية[3]، وفي مقابل ذلك عكس قراء الكوفة والبصرة ما شاع من وجود الإمالة عندهم كـ(حمزة) (ت156هـ) إمام القراء في الكوفة، والكسائي(189هـ) الذي ورث إمامة القراءة بعد حمزة، وخلف (229هـ). وأبي عمرو بن العلاء (154هـ) إمام القراءة في البصرة، وخلفه يعقوب(205هـ)[4].

ولكن ذلك لا يطرد فمن القراء من خالفوا بيئتهم كـ(أبي عمرو) التميمي النسب فكان يلوّن بين القراءة فتارة، تظهر الإمالة التي هي لهجة قومه، وتارة

(1) شرح المفصل: 9/ 54.

(2) الإتقان: 1/ 246.

(3) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 1/ 285 ـ 286.

(4) ينظر: اللهجات العربية: 42.

يميل إلى الفتح التي هي لهجة شيوخه من مكة والحجاز[1] ولعل: ((الصراع العلمي الذي كان بين الكوفة والبصرة هو الذي دعا إلى هذه المغايرة، وإلى أنْ تتخذ البصرة طريق الفتح في معظم المواضع، حتى لا تشبه الكوفة في إمالتها))[2]. ولا استبعد هنا وجود التأثر والتأثير عند القراء الذين خالفوا بيئتهم ومن ذلك وجود أحد مراكز الاختلاط وهي البصرة. وظهرت((الإمالة في قراءة نافع وهو حجازي مدني))[3].

وخالف عاصم (127هـ) بيئته المشهورة بالإمالة. فقد روي عنه الإقلال منها في رواية حفص[4]، حتى ورد أنّه أمال(مجريها) فقط في كل القرآن[5]. ويمكن أنْ نعزو ذلك للأسباب الآتية:

1. عاش عاصم قبل أنْ يشتد التنافس بين مدرستي البصرة والكوفة، وكان أسبق علماء الكوفة في فن القراءات، فقد يكون قد تأثر بغير بيئة الكوفة، كالبيئة الحجازية مثلا[6].
2. للقارئ قراءتان: إحداهما قديمة عدل عنها، والأخرى جديدة اختارها كثير من الرواة عنه. فقد روي عنه الإقلال من الإمالة حسب رواية حفص، وفي رواية أبي بكر الإكثار منها.

---

(1) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 1/ 285 ـ 287

(2) اللهجات العربية: 42.

(3) اللهجات العربية في التراث: 1/ 287.

(4) ينظر: التطور النحوي: 60.

(5) ينظر: في الدراسات القرآنية واللغوية: 121.

(6) ينظر: اللهجات العربية: 43.

3. كان عاصم جامعا للقراءات ووجوهها والروايات وأسانيدها، فجمع الإمالة والفتح، ثم اشتهرت عنه رواية الفتح.

4. كان إمام القراءات بالكوفة، وكان مسجد الكوفة يعج بأصوات القراء في كل وقت.

5. لعل السبب يعود لشيوخه. فمنهم عبد الله الرحمن السلمي الذي يؤثر الفتح، وزر بن حبيش الأسدي الكوفي الذي يؤثر الإمالة[1].

6. علل عاصم وجود الإمالة في الكوفة((إنما الكسر - أراد الإمالة ـ بقية من لغة أهل الحيرة؛ لأنهم كانوا معلمين لأهل الكوفة حين خطت))[2].

وعند استعراض قراءات القرّاء نجد أنهم أمالوا ما عدا (ابن كثير). فكان (نافع) يقرأ - غالبا - بين الإمالة والفتح. مثال ذلك الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة، نحو قوله سبحانه: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[3]، (مِن قَرَارٍ)[4]، و(الأَبْرَارِ)[5]، و(الْأَشْرَارِ)[6]، و(دَارَ الْبَوَارِ)[7]، وغيرها[8]. وعلة ((من قرأه بين اللفظين أنه

---

(1) ينظر: في الدراسات القرآنية واللغوية: 121 ـ 124.

(2) الفكر الصوتي عند ابن دريد والكوفيين: 93.

(3) سورة البقرة: 39.

(4) سورة إبراهيم: 26.

(5) سورة آل عمران: 193.

(6) سورة ص: 62.

(7) سورة إبراهيم: 28.

(8) ينظر: السبعة في القراءات: 149.

توسط الأمر، فلم يُمل، لئلا يخرج الحرف عن أصله. ولم يفتح لقوة الكسر في الراء))[1].

وكان ابن كثير وعاصم وابن عامر يفتحون ذلك كله[2]، وعلة ((من فتح أنه أتى به على الأصل، ولم يستثقل التسفل بعد التصعد))[3]. وكان نافع كذلك يقرأ(الياء) بين الإمالة والفتح في قوله تعالى: (فَأَحْيَاكُمْ)[4]و(أَحْيَا)[5]، و(نَمُوتُ وَنَحْيَا)[6]، و﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾[7]، وما كان مثله[8].

وقرأ أبو عمرو بين الإمالة والتفخيم فيما تقدم ما كان في رؤوس الآي إذا كانت السورة أواخر آياتها على ياء، ويفتح سائر ذلك. فأمال قوله تعالى: ﴿ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[9]، و ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[10]. وكان حمزة لا يميل من ذلك إلا الفعل في أوله الواو نحو: ونحيا، وأحيا، ويحيى، وإمالته أشد من إمالة أبي عمرو ونافع والكسائي يميل كل ذلك[11]. وأمال(نافع) الألف المنقلبة عن الياء أو في حكم

---

(1) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 171.
(2) ينظر: السبعة في القراءات: 149.
(3) الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 171.
(4) سورة البقرة: 28.
(5) سورة النجم: 44.
(6) سورة المؤمنون: 37.
(7) سورة الأنفال: 42.
(8) ينظر: السبعة: 150.
(9) سورة النجم: 44.
(10)سورة طه: 74، الأعلى: 13.
(11) ينظر: السبعة: 151.

المنقلب عنها، نحو (الْهُدَى)[1] و(الْهَوَى)[2]، و(الْعَمَى)[3]، و(اسْتَوَى)[4]، وما شابه ذلك. ليدل على أنّ أصلها الياء، أو في حكم ذلك[5]. وكان (ابن كثير) يفتح ذلك كله. لأنه ((كره أنْ ينحو نحو الياء، وقد كان كرهها وفرَّ منها حتى قلبها ألفا، فكره أنْ يعود إلى مقاربة ما كان رفضه))[6]

ومن شواهد قراءات عاصم التي جاءت بالفتح والإمالة عن طريق اختلاف الرواية عنه. ففي رواية أبي بكر عن عاصم أنه كان يميل الراء في قوله تعالى: ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾[7] و ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[8]، و﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾[9] و﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[10]. وروى خلف عن يحيى بن آدم[11]، عن أبي بكر عن عاصم أنه كان يميل الراء والهمزة من قوله تعالى: ﴿رَءَا ٱلشَّمْسَ﴾[12]

(1) سورة البقرة: 120، 159، 185، سورة آل عمران: 73، سورة النساء: 115، وغيرها.

(2) سورة النساء: 135، سورة ص: 26، سورة النجم: 3، سورة النازعات: 40.

(3) سورة فصلت: 17.

(4)سورة البقرة: 29، سورة الأعراف: 54، سورة يونس: 3، وغيرها.

(5) ينظر: الحجة للقراء السبعة (أبو علي الفارسي): 1/ 235.

(6) ينظر: الحجة للقراء السبعة (أبو علي الفارسي): 1/ 236.

(7) سورة الأنعام: 76.

(8) سورة الأنفال: 17

(9) سورة النمل: 40.

(10) سورة الإسراء: 82.

(11) يحيى بن آدم الأموي (ت203هـ)، هو من ثقات الحديث، فقيه، من أهل الكوفة (ينظر: الحجة للقراء السبعة: 1/ 234).

(12) سورة الأنعام: 78.

و ﴿رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾[1] و﴿رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[2]. وكان غير خلف يروي عن يحيى عن أبي بكر عن عاصم في ذلك بفتح الهمزة بعد كسر الراء، مثل حمزة[3]. فعلة الإمالة في (رأى) و(رآه) لأنّ أصل ألفه الياء، أو حدثت الإمالة للإمالة بعده، فأمالوا الراء لإمالة الهمزة، وللألف بعدها. وامال(رمى) لأنّ أصل الألف ياء فتقول رميت[4].

وأما حفص فروى عن عاصم ذلك كله بالفتح، إلا قوله سبحانه (مَجْرَاهَا)[5] فإنه أمالها [6] بفتح الميم وكسر الراء (مَجْرِهَا) بمعنى من جرت السفينة جريا ومجرى، وقرأ بذلك حمزة والكسائي، وحجتهم قوله تعالى بعدها ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾[7] وقرأ الجمهور من السبعة (مُجراها) بضم الميم، وقرأ مسعود وعيسى الثقفي وزيد بن علي والأعمش (ومَجراها ومَرساها) بفتح الميمين، فالحجة لمن ضم الميم أنّه أراد المصدر من قولك أجرى يجري مجرى، ومن فتح أراد المصدر أيضا من (جرت مجرى)[8].

فالقياس في (مجراها) هو فتح الميم والراء لأنه اسم مكان، فهو من (جرى يجري مجرى) فيكون على وزن (مَفْعَل)، فيكون الأصل حينئذ هو الفتح للراء،

(1) سورة الأنعام: 77.

(2) سورة النحل: 85.

(3) ينظر: الحجة للقراء السبعة: 1/ 234- 235.

(4) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 181، 184- 185.

(5) سورة هود: 41.

(6) التيسير في القراءات السبع: 48.

(7) سورة هود: 42.

(8) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 187، البحر المحيط: 5/ 225، حجة القراءات: 340.

لأنه فعل ناقص. وبالتالي فإنّ قراءة الفتح جاءت على الأصل، وقراءة الإمالة جاءت لتدل على أنّ أصل الألف ياء.

ووضع اللسان مختلف بين التفخيم (الفتح) والإمالة. ففي الحالة الأولى يرتفع ((مؤخر اللسان إلى أعلى قليلا في اتجاه الطبق اللين وتحركه إلى الخلف قليلا في اتجاه الحائط الخلفي للحلق. ولذلك يسميه بعضهم (الإطباق) (Valorization) بالنظر إلى الحركة العليا للسان، ويسميه بعضهم التحليق، بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان))[1]. والألف الممالة: هي الفتحة المشوبة بالكسر قصيرة أو طويلة. وحال اللسان مع الكسرة الممالة (e) تكون((مقدمة اللسان مرتفعة بصورة أقل مما يحدث مع الكسرة الخالصة، أي بين الحالة التي يكون فيها اللسان مستويا في قاع الفم، كما هو الحال مع الفتحة، والحالة التي يكون فيها مرتفعا، كما في نطق صوت الكسرة الخالصة))[2].

ويبقى للمؤثر الصوتي دوره في توجيه القراء إلى طريق الفتح أو الإمالة الشديدة أو المتوسطة. وقد علل ابن الجزري وجودها عندهم بأنها تمثل ((سهولة اللفظ وذلك أنّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال. وأما من فتح فانه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل))[3]. فنجد منهم المقل وهم ((قالون والأصبهاني عن ورش وابن عامر وعاصم، ومكثر وهم الأزرق عن ورش وأبو عمرو وحمزة والكسائي وكذا خلف ووافقهم الأعمش))[4].

(1) دراسة الصوت اللغوي: 279.

(2) علم الأصوات اللغوية (مناف مهدي): 101، 99.

(3) النشر: 2/ 35.

(4) إتحاف فضلاء البشر: 103، اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 165.

ونجد حمزة والكسائي وخلف أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن سواء في الاسم أو الفعل. فمثال الأسماء: قوله تعالى: (الْهَدْيِ)[1]، و(الْهَوَى)[2]، و(الْقُرَى)[3]، وما شابه ذلك، ومثال الأفعال: قوله سبحانه: (أَتَى)[4]، و(تَعَالَى)[5]، و(رَمَى)[6]، وشبهه، وكذلك ما كان أصل ألفه الثاني الواو ثم ترجع إلى الياء في الرباعي نحو: قوله عز من قال: (تَزَكَّى)[7]، و(زَكَى)[8]، و(يَرْضَى)[9]، فعلة الإمالة لكون الألف قد صارت في حكم ما أصله الياء[10]. وأمالا (أنّى) بمعنى (كيف) نحو قوله تعالى: (أَنَّى شِئْتُمْ)[11]، و(أَنَّى لَكِ)[12]، وشبهه ما خلا خمس كلمات وهن: حتى، ولدى، وعلى، وإلى، وما زكى، فإنهن مفتوحات بإجماع[13].

---

(1) سورة البقرة: 196.

(2) سورة النساء: 135.

(3) سورة الأنعام: 92.

(4) سورة النحل: 1.

(5) سورة الأنعام: 100

(6) سورة الأنفال: 17.

(7) سورة طه: 76.

(8) سورة النور: 21.

(9) سورة النساء: 108.

(10) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 177 ـ 178.

(11) سورة البقرة: 223.

(12) سورة آل عمران: 37.

(13) ينظر: التيسير في القراءات السبع: 46.

وأمالوا من الواوي ما كسر أوله أو ضم وهو قوله سبحانه: (الرِّبَا)[1] كيف وقع (وَالضُّحَى)[2] كيف جاء، و(والعُلَى)[3]. وأمالوا رؤوس الآي من إحدى عشرة سورة، جاءت على نسق: وهي طه، والنجم، و سأل، والقيامة، والنازعات، وعبس، والأعلى، والشمس، والليل، والضحى، والعلق[4]. وأما ((أبو عمرو فكان يقرأ من ذلك ما كان من رؤوس الآي بين الكسر والفتح، مثل آيات سورة طه، والنجم، وعبس وتولى، والضحى والليل، والشمس وضحاها، ودحاها، وطحاها، فإذا لم تكن رأس آية فتح))[5].

وأعطى أبو علي الفارسي تعليلا للوجهين: فالإمالة لها وجه لأنّ الفواصل بمنزلة القوافي وهي في مواضع وقوف، وفصلوا بين الوصل والوقف، فأمالوا إذا وقفوا، ولم يميلوا إذا وصلوا، أما وجه الفتح فهو في الوصل فتترك الإمالة هنا، لانّ الألف في الوصل أبين منها في الوقف، فعلى هذا فصل أبو عمرو بين رؤوس الآيات وغيرها[6].

وفي مواضع انفرد الكسائي عن حمزة في الإمالة[7] واشتهر عنه إمالة هاء التأنيث في الوقف[8]، وعندما سئل عن ذلك قال: هذا طباع العربية، فالإمالة هنا

(1) سورة البقرة: 275 – 278، سورة آل عمران: 130، وغيرها.

(2) سورة الضحى: 1.

(3) سورة طه: 4، 75.

(4) ينظر: الإتقان: 1/ 247.

(5) الحجة للقراء السبعة: 1/ 236.

(6) ينظر: الحجة للقراء السبعة: 1/ 237.

(7) ينظر: م . ن: 1/ 240، السبعة: 344، الكشف: 1/ 190، التيسير: 48.

(8) ينظر: الكشف: 1/ 203 فما بعدها، التيسير: 54، الإتقان: 1/ 248.

لغة أهل الكوفة، وهي باقية فيهم إلى الآن[1] فتصير من (ـَة) إلى (ـَه) عند الوقف. على حين يذهب أكثر القراء الآخرين أنّ ذلك يحدث بشرط سبق تاء التأنيث بحرف (ك/ هـ/ ر/ أ) مع كونه مسبوقا بكسرة[2]. وانفرد حمزة عن الكسائي في مواضع[3]. ومواضع الإمالة كثيرة عند القراء لو وقفنا عندها ليطول بنا المقام.

واحتج الكوفيون في الإمالة((بأنهم وجدوا في المصحف الياءات في مواضع الألفات فاتبعوا الخط وأمالوا ليقربوا من الياءات))[4]. وإمالة ((الفتحة الطويلة الممالة إنما تأتي في محيط صوتي بعينه دون غيره، ومن هنا نتحدث عن صورة صوتية لا عن وحدة صوتية))[5]، ((على مقربة من الكسرة أو الكسرة الطويلة))[6].

سادساً: معاني الإمالة

للإمالة ثلاثة معان: ((فإذا أطلقت قصد منها الصوت الذي بين الفتحة والكسرة، وإذا قيل (إمالة الألف أو الفتحة) قصد بها إبدال صوت الإمالة من أحد هذين الصوتين، وإذا قيل (إمالة الدال أو اللام. . . ألخ) قصد بها إلحاق صوت الإمالة بهذه الحروف))[7].

(1) النشر: 2/ 82.

(2) ينظر دروس في علم أصوات العربية: 162..

(3)ينظر: الكشف: 1/ 173، 174، 186، التيسير: 50، التطور النحوي: 61

(4) الإتقان: 1/ 244.

(5) علم اللغة العربية (حجازي): 227.

(6) م . ن: 228.

(7) المحيط في أصوات العربية: 1/ 94.

وتجد أنّ الانسجام الصوتي والاقتصاد في المجهود العضلي الذي يلجأ إليه الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية سبب في الانتقال والتطور من الفتح إلى الإمالة، أو العكس، والاتساق الحاصل في الفتح مع حروف الاستعلاء[1]. وهذا الانسجام الحادث مع أصوات اللين دفع ابن جني إلى حسبان الحركات ستا: في أيدي الناس من ظاهر الأمر ثلاث، وهي الضمة والكسرة والفتحة، ومحصولها على الحقيقة ست: وذلك أن بين كل حركتين حركة. فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة، والألف قبل ألف التفخيم التي بين الفتحة والضمة نحو فتحة لام الصلاة والزكاة والحياة، والكسرة المشمة ضما التي بين الكسرة والضمة ككسرة قاف قيل وسين سير، ومثلها الضمة المشمة كسرا كضمة المنقر، وضمة عين مذعور[2].

وفي منظور المحدثين أنّ ابن جني أصاب في جانب وخلط في آخر فالذي وفق به هو اختلاف نطق الحركات باختلاف السياق، وهذا واضح في الفتحة، فالحركة مرققة عند الإمالة، ولكنها مفخمة عند عدم جواز الإمالة وخلط في جانب بأن نسب التغيير الحادث في الحركات إلى الفتحة والكسرة والضمة بأنها سابقات لحروف المد. بل إنّ التغيير أصاب حروف المد، والحركات ثلاث لا ست[3].

ويظهر أنّ تلك الأنواع الفرعية التي أشار إليها ابن جني كانت شائعة في اللهجات العربية القديمة. وكان من واجبه أن يقصر الأنواع الفرعية لأصوات اللين على ما يأتي:

(1) ينظر: اللهجات العربية: 48، في الدراسات القرآنية واللغوية: 64.

(2) ينظر: الخصائص: 3/ 120، فما بعدها.

(3) ينظر: علم الأصوات (كمال بشر): 451 فما بعدها.

1. الفتحة المشوبة بالكسرة التي تظهر في إمالة قبل تاء التأنيث، كما في قراءة الكسائي لـ(رحمة) عند الوقف عليها.
2. ألف المد حين تمال تصبح مشوبة بالكسرة كما في قراءة (ربا) بالإمالة.
3. ألف المد الممالة نحو الضم التي تسمى ألف التفخيم، كقراءة (الصلاة).
4. ياء المد الممالة نحو الضم، المسمى (بالإشمام) كنطق الفعل المبني للمجهول نحو (قيل وبيع)[1].

والإمالة عند القدماء حركة مستقلة، شأنها الفتحة والكسرة والضمة، وليس الأمر كذلك، فهي ((مجرد صورة نطقية من صور نطق ألف المد والفتحة، يحددها السياق الصوتي الذي تقع فيه، وليست لها أي قيمة دلالية))[2]، ((ولا تحمل أية قيمة فونيمية خاصة بها))[3]، فهي لهجة خاصة، ومن الخطأ العلمي حسبانها عنصرا من عناصر حركات اللغة العربية، وهو منهج غير مقبول في الدرس اللغوي الحديث لأنه يوقعنا في الخلط بين مستويات الكلام[4]. وفي ترقيق المفخم خضوع الصوت الأقوى للأضعف، وهو يخالف قانون (جرامونت) اللغوي الفرنسي الذي سماه (قانون الأقوى)[5]. هي ظاهرة ليست عامة، فمنذ

(1) ينظر: الأصوات اللغوية: 39- 40.
(2) علم الأصوات (كمال بشر): 455.
(3) في الأصوات اللغوية: 163.
(4) علم الأصوات: 455.
(5) ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 319.

النصوص الأولى نجد بعض الفوارق بين اللهجات في هذا المضمار. والدليل عدم اتفاق القراء على قراءتهم بالإمالة[1].

وينبغي أنْ تكون هناك علامات للإمالة فعدم وجودها يؤكد على اختيارية هذه العملية الصوتية التي تؤثر التوافق وتبقى في حكم المشافهة التي يصيبها التغير عادة بالمقارنة مع الكتابة التي يصيبها الثبات غالبا[2]. و((يبقى لصورة الكتابة التي لم تميز الألف الممالة برسم خاص أثر بالغ في إلغاء الإمالة عند تناول النصوص المكتوبة وطرد النطق بالألف على منهاج واحد بالتفخيم))[3].

(1) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 159.

(2) ينظر: علم الأصوات (مالمبرج): 255.

(3) في تاريخ العربي (نهاد الموسى): 54.

المبحث الثاني

تسهيل الهمز

الهمز في اللغة: تأتي بمعنى الغمز، والدفع فإذا قلنا هَمَزَهُ دفعه، وهي بمعنى العَصْر، وسميت الهمزة في الحروف، لأنها تُهمَز، فَتُهتُّ فتهمز عن مخرجها. يقال هو يهتُّ هتّاً، إذ تكلم بالهمز[1].

والهمز صوت مثّل مشكلة معقدة بين القدماء والمحدثين، بسبب مخرجه وصفته، وعدم استقراره، وعلاقته مع أصوات المد. فيما يخص المخرج الصوتي فقد جعلها الخليل وسيبويه وتابعهم القدماء من أقصى الحلق[2] وعند المحدثين صوت حنجري وهي سابقة للحلق[3]، والخلاف في ذلك هو اتساع منطقة الحلق عند القدماء وتضييقها عند المحدثين.

ومن ناحية الصفة الصوتية اتفق القدماء والمحدثون على عدّ الهمزة من الأصوات الشديدة (الانفجارية)[4]، واختلفوا في جهرها أو همسها. فعند الفريق الأول مجهورة[5]، واتفق الفريق الثاني على نفي الجهر عنها، ولكنّ المحدثين انقسموا على فريقين. الأول[6]: يرى أنّ الهمزة صوت مهموس، لأنّ صفة الجهر

---

(1) ينظر: لسان العرب (همز) .

(2) ينظر: العين: 1/ 52، الكتاب: 4/ 434.

(3) علم الأصوات (كمال بشر): 292.

(4) الكتاب: 4/ 434.

(5) م . ن.

(6) ومن هؤلاء د.عبد الرحمن أيوب في أصوات اللغة، د. تمام حسان في مناهج البحث في اللغة، ، د. عبد الصبور شاهين، في المنهج الصوتي، وغيرهم.

هي ذبذبة الوترين الصوتيين وهذا لا يحدث عند إصدار الجهاز الصوتي لانطباق الوترين انطباقا تاما ثم انفتاحهما بدون ذبذبة[1] والفريق الثاني[2] يراها صوتا لا مهموساً ولا مجهوراً، لأن وضع الحنجرة لحظة النطق بها مغاير لوضعها في حالة الجهر والهمس[3].

والهمزة صوت غير مستقر، يعزى إلى صعوبته في النطق، وله أكثر من صورة ((تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق، والتخفيف، والبدل))[4]، وتخفيف هذا الصوت عند سيبويه رقم إضافي إلى الحروف التسعة والعشرين. حتى تصل عنده إلى خمسة وثلاثين حرفا، وهذه الستة حسنة يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام: وهي النون الخفية ويقال الخفية، والهمزة المخففة، وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي[5].

لقد أظهرت التسجيلات الطيفية الحديثة للهمزة، أنها تظهر ((بصورة متنوعة، وصوتا غير مستقر لا يأخذ شكلا معينا محددا، وصوتا شبيها بالعلة في بعض السياقات))[6]. فالتخلص منها نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام

(1) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 123، المنهج الصوتي: 172، القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: 21.

(2) وهم: دانيال جونز، ود. إبراهيم أنيس في اللهجات العربية والأصوات اللغوية، ود. كمال بشر في علم الأصوات، ود. أحمد مختار عمر في دراسة الصوت اللغوي.

(3) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: 24، علم الأصوات (كمال بشر): 288.

(4) الكتاب: 3/ 541.

(5) ينظر م.ن: 4/ 432، سر صناعة الإعراب: 1/ 46.

(6) دراسة الصوت اللغوي: 297.

التحقيق في النطق معها. لأن نطقها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية. لذلك مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق[1]، ففي العربية كانت تسمى (ألفا) لأنّ الألف أكثر الأصوات تعرضا للهمز، أي الضغط حين تتحرك، وفي العبرية (أليف) بإمالة حركة اللام, وفي الآرامية (آلَفْ)، وهو فيها جميعا صوت (احتباسي)[2].

ولتصرف القدماء في هذا الصوت ((بالتخفيف ـ إبدالا ونقلا وحذفا ـ وتسهيلها بين بين، كتبت بحسب ما تخفف به. فأحيانا كتبت ألفا وطورا واوا أو ياء، وثالثة لم يرمز لها بأي رمز، فالرسم الذي نعرفه الآن للهمزة حديث بالنسبة للرسم العثماني))[3].

وتميل اللغة ((في تطورها، نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة، وتستبدل بها أصواتا أخرى، لا تتطلب مجهودا عضليا كبيرا))[4]، و هذا ينطبق عليه نظرية السهولة والتيسير[5].

لكن من الصعب أن نقبل بالتغييرات التي تحدث للأصوات أن تسمى (القوانين الصوتية) كما هو عند بعض الباحثين المحدثين [6]. ذلك أنّ القانون له ضوابط تسري أحكامه وفق زمان ومكان على صفة الإطلاق، وأنّ القانون قصدي متعمد، على حين أننا نجد التغييرات والتطورات تتصف بأنها غير

(1) ينظر: اللهجات العربية: 58.
(2) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث (عبد الصبور شاهين): 17، 23.
(3) الأصوات اللغوية: 89.
(4) التطور اللغوي (رمضان عبد التواب): 47.
(5) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي: 45.
(6) ينظر: التطور اللغوي: 13.

شعورية، واجتماعية فليست هي فردية، وأنها تسير ببطء وتدرج، وتتصف بمحدودية الزمان والمكان[1].

وتحقيق الهمزة أو تسهيلها ظاهرتان موجودتان في المستوى اللغوي، فالأول يعني إعطاء الصوت حقه بالهمز، من جهة المخرج أو الصفة نحو: قرأت، ورأس، والثاني: التغيير الحاصل على الهمزة بصورة متعددة هي: بين بين، وبدل، وحذف، كنطق المئر ـ المير، الجؤنة ـ الجونة، العلماء ـ العلما[2].

مذهب النحاة في تسهيل الهمزة:

- أولا: الهمزة الساكنة: يُبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه حركة ما قبلها. فالضمة قبل الهمزة تبدل إلى واو، والكسرة إلى ياء، والفتحة إلى ألف، وعلل سيبويه ذلك بالانسجام ((لأنه ليس شيء أقرب منه، ولا أولى به منها))[3]. كما في الجُؤْن ـ الجون، الذِئْب ـ الذيب، بَأْس ـ باس[4]. هذا في المتصل ويحصل الأمر كذلك بالمنفصل، كقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾[5] فيصير بالإبدال((إلى الهداتنا))[6]، والأصل ((إلى الهدى آئتنا بهمزتين الثانية فاء الفعل ساكنة والأولى همزة الوصل. . . . فلما اجتمع همزتان الأولى مكسورة والثانية ساكنة قلبوا الثانية ياء. . . . إلا أنّ البدل

---

(1) ينظر: م . ن: 15 ـ 17

(2) ينظر: الكتاب: 3/ 541، فما بعدها، سر صناعة الإعراب: 1/ 48، النشر: 1/ 445.

(3) م . ن: 3/ 544.

(4) ينظر: الأصول في النحو (ابن السراج): 2/ 422.

(5) سورة الأنعام: 71.

(6) ينظر: التكملة: 213.

يقع ههنا لازما لاجتماع الهمزتين))[1]، والإبدال في المتصل والمنفصل ((قياس مطرد))[2].

- ثانياً: الهمزة المتحركة: ويعتمد في تخفيفها على ما قبلها أيضا وكالآتي:

1. إذا كانت الهمزة متحركة وقبلها ساكن معتل بالواو أو الياء، يكون في تخفيفها وجهان:

أ. قلب الهمزة من جنس الواو أو الياء، وتدغم فيما قبلها:

ب. إلقاء حركتها على ما قبلها، وتحذف. بثلاثة شروط، أن تكون الواو والياء ساكنين، مزيدتين، غير طرفين، وقبلهما حركة من جنسهما. نحو: خطيئة – خطيّة، النبيء – النبيّ، مقروءة – مقروة[3].

2. في حالة تحرك الهمزة، و قبلها حرف ساكن صحيح، يكون تخفيفها بإلقاء حركتها على ما قبلها مع حذفها، نحو اسْأل – سَلْ – يسْأل – يسَلْ، يَجْأَرُ – يَجَرُ.[4]

3. إذا كانت الهمزة متحركة وقبلها ساكن معتل بالألف، تكون الهمزة (بين بين)، فإن كانت مفتوحة جعلتها بين الهمزة والألف، نحو: سَاءَلَ، وإن كانت مضمومة جعلتها بين الهمزة والواو، نحو: تساؤُل، وإن كانت مكسورة جعلتها بين الهمزة والياء نحو: قائِل[5].

(1) شرح المفصل: 9/ 108.

(2) م . ن:

(3) ينظر: المقتضب: 1/ 161، الأصول في النحو: 2/ 423.

(4) ينظر: م . ن .

(5) ينظر: شرح المفصل: 9/ 109.

وتسهيل الهمزة المتحركة (بين بين) عند القدماء هو نطقها لا محققة، ولا حرف لين خالص، ((فكل همزة تقرب من الحرف الذي حركتها منه، فإنما جعلت هذه الحروف بين بين، ولم تجعل ألفات، ولا ياءات، ولا واوات، لأنّ أصلها الهمز، فكرهوا أن يخففوا على غير ذلك فتحول عن بابها، فجعلوها بين بين، ليعلموا أنّ أصلها عندهم الهمز))[1]، وليس ذلك((بقياس متلئب، نحو ما ذكرنا وإنما يحفظ عن العرب))[2]. فهذا النوع من الهمزة ضعيف ولا يصل إلى تمكن المحققة، وشرطها أن لا تقع أولا، لقربها بالضعف من الساكن[3].

4. إذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها فتحة تُجعل (بين بين)، أي بين الهمزة والألف، في المتصل والمنفصل، مثل: سَأَلَ - سَالَ، قَرَأَ - قَرَا، ويوضح ذلك عن طريق المشافهة.

5. إذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها فتحة أو ضمة تجعل(بين بين)، نحو سَئِم، وقال إبراهيم، وسُئِل، وعبدُ إبراهيم، وإذا كانت مكسورة وقبلها كسرة: فتخفف(بين بين) مثل: من عبدِ إبراهيم.

6. مضمومة وقبلها فتحة أو كسرة أو ضمة: فتكون (بين بين) بأن تُضعِفَ صوتها ولا تتمه، فتقرب حينئذٍ من الواو الساكنة، نحو: لَؤُم - لَوُم، ورُؤُوس - رُوُس، يستهزئون - يستهزِوُون

7 . تبدل الهمزة مع الضم واوا، ومع الكسر ياء، إذا كانت مفتوحة وقبلها

(1) الكتاب: 3/ 542.

(2) الكتاب: 3/ 554 .

(3) ينظر: سر صناعة الإعراب: 1/ 48، شرح الرضي على الشافية: 3/ 30.

ضمة أو كسرة، مثل جُؤَن - جُوَن، غلامُ أبيك - غلاموَبيك [1].

8. تحذف الهمزة إذا تطرفت بعد الألف، مثل: يشاء - يشا [2].

إنَّ حذف الهمزة بعد صوت المد، سببه أنه أقوى، وأظهر في السمع من الهمزة، فيغلب صوته على الهمزة، ومن ثم لا حاجة صوتية لوجود الأخير، وخاصة عند الوقف.

وقد تلتقي الهمزتان في كلمة واحدة، أو في كلمتين منفصلتين، ففي الحالة الأولى تبدل الهمزة الثانية ولا تخفف، فباجتماع الهمزتين يزداد الثقل لذلك وجب إبدال الثانية إلى حرف لين نحو: آدم، أصله أأدم بهمزتين الأولى همزة أفعل، والثانية فاء الفعل، وآخر وهو من التأخر، فأبدلوا من الثانية ألفا محضة لسكونها وانفتاح ما قبلها. وجاء أصلها جائي بهمزتين متحركتين، أبدلت مكانها الياء، لأن ما قبلها مكسور.

وفي الحالة الثانية قد تلتقي الهمزتان في كلمتين منفصلتين فلها حكمان: التحقيق لكليهما أو تخفيف إحداهما، فمنهم من يخفف الأولى ويحقق الثانية نحو قوله سبحانه ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [3] فكان يقرأ ((فقد جا أشراطها)) وقوله تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ [4]، وهو قول أبي عمرو، ومنهم من يحقق الأولى، ويخفف الثانية، كقراءة أبي عمرو(يَا وَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ) في قوله تعالى:

(1) ينظر: الأصول في النحو: 2/ 425 فما بعدها، التكملة: 212 فما بعدها، شرح المفصل: 9/ 111 فما بعدها، القراءات القرآنية (شاهين): 99 ـ 100.

(2) المحيط في أصوات العربية: 1/ 86.

(3) سورة محمد: 18.

(4) سورة مريم: 7.

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾[1]، وهو الذي اختاره الخليل[2]، واتفقوا على رسم كل كلمة في أولها ألفان فصاعدا بألف واحدة نحو: ءألد، ءأنت قلت، ءآلله خير[3].

وهناك فرق بين التخفيف والتسهيل. فالأول يشمل حذفها، كما في (مسْألَة) - مَسَلَة، وقلبها إلى حرف آخر، كما في (مُـؤْمن) - مُـومن. أما الثاني فيسمى بنطقها بين بين. وهو ((على نوعين: بين بين المشهور، وهو أن تحذف الهمزة وينطق بحركتها فقط، مثل(أإن - أ - ن)، وبين بين البعيد، وهو أن تحذف وينطق مكانها بحركة من جنس حركة ما قبلها، مثل: (سُئِلَ - سُ - لَ)))[4].

وهناك خلاف بين حكم القدماء والمحدثين في همزة (بين بين)، فقد مـرّ بنا أنّ الرأي القديم ينظر لها من حيث إنها تسهيل للهمزة المتحركة بأن ينطق بها، لا محققة، ولا حرف لين خالص بل بين بين، بل هي حالة سقوط الهمزة من الكلام، تاركة حركة وراءها، أو أنّ همزة (بين بين) صوت ساكن، ولكنه ضعيف غير متمكن.

والرأي الحديث يرى أنّ ما نسمعه لا يمت إلى الهمزة بصلة بل هو صوت لين قصير يسمى حركة الهمزة، من فتحة أو ضمة أو كسرة، ويترتب على ذلك التقاء صوتي لين قصيرين. وتكون بين بين في الهمزة المتحركة بحركة ما دون الهمزة الساكنة[5].

---

(1) سورة هود: 72.

(2) ينظر: الكتاب: 3/ 549، فما بعدها، المقتضب: 1/ 158، الأصول في النحو: 2/ 426، فما بعدها.

(3) اتحاف فضلاء البشر: 18.

(4) المحيط في أصوات العربية: 84 ـ 85.

(5) ينظر: الأصوات اللغوية: 91.

وهي في الواقع (حركة) بسقوط الهمزة أساسا واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة بحيث يتكون لدينا المزدوج بالمعنى الكامل، ومن ثم يضعف وجود الانزلاق الذي تنشأ عنه أنصاف الحركات (الواو والياء). فالإنزلاق بين الحركتين في حالة (بين بين) أقل ظهورا منه في حالة القلب الكامل، مثل: يُقرِيَك، حيث نتج عن نطق المزدوج محققا ياء يبرز الناطق وجودها، والهمزة عندما تسقط في التخفيف لا تقلب إلى أي صوت آخر[1]. وسقوط الهمز يؤدي أحيانا إلى اشتقاق جديد، ((فإن سقوط الهمز من الفعل: (يؤاسي) مضارع (آسى) و(يؤدي) مضارع: (أدّى)، وتحولهما إلى(يواسي) و(يودّي) مثلا، هو المسؤول عن اشتقاق الماضي الجديد))[2].

إنّ الخلاف بين الرأي القديم والحديث حول همزة (بين بين) أنّ القدماء وصفوا لنا هذا النوع من الهمز عن طريق (المشافهة)، في حين أنّ المحدثين أعطوا رأيا آخر مخالفاً عن طريق (الكتابة)، ومن هنا انطلق التقاطع. فلو استمعنا إلى ابن يعيش في وصفه لهمزة (بين بين) أنها((بين مخرج الهمزة وبين مخرج الحرف الذي منه حركة الهمزة، وهذا القياس في كل همزة متحركة، لأن فيه تخفيفا للهمزة بإضعاف الصوت وتليينه وتقريبه من الحرف الساكن مع بقية آثار الهمزة ليكون ذلك دليلا على أنّ أصله الهمزة. . . ولا يظهر سر هذه الهمزة ولا ينكشف حالها إلا بالمشافهة))[3]. هذا يعني أنّ في نطق هذا النوع من الهمز تعطي حقا لصوتين للهمزة، ولصوت آخر يسبق الهمزة، ولكن الهمزة هنا ضعفت تجاه

(1) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: 105، 106، 111.

(2) التطور اللغوي (رمضان عبد التواب): 49.

(3) شرح المفصل: 9/ 112.

الموج الصوتي لصوت اللين، ولكن لا يخفى صوت الهمزة وكل ذلك يجلس على قاعدة (المشافهة) فلعل النطق القديم كان ينطق بهذا اللون.

في حين أنَّ الرأي الحديث استند على (الكتابة)لا على (المشافهة) فجزم أنّ نطق (مير) أو(جون) وأمثالهما أنه لا وجود للهمزة هنا بل هو صوت لين قصير، أو هو حركة بسقوط الهمزة واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة، الذي كوّن لنا (المزدوج الكامل).

ولم يقتنع بعض الباحثين من أنّ هذا النوع من الهمزة هو (حركة)، لأن ((من أهم خواص الحركة هي قوة الوضوح السمعي، وهذه الهمزة التي وصفها العلماء من أهم خواصها الضعف والخفاء والوهن))[1]، وهمزة بين بين صامت وليست حركة بسبب تضييق مجرى الهواء الحادث احتكاكا، وبالتالي إمكانية أن يكون قاعدة في المقطع[2] .

و(بين بين) هو ((تليين صوتها وتقريبه من حروف اللين الذي منه حركتها. . . . . وهمزة بين بين لا تتكون في أقصى الحلق حيث تتكون الهمزة الأصلية بل في الموضع الواقع بين الحلق وجوف الفم لذلك يطلق عليها (بين بين) أي بين الحروف الحلقية والحروف الجوفية(ا و ي) وصوت هذه الهمزة ضعيف جدا حتى يقال عنه تقريب من الساكن))[3]، بيد ((أنّ نطقها على ما ذكره النحويون، كان وسطا بين النطق بالهمز وبغير الهمز))[4].

(1) اختلاف الرواة عن نافع، (رسالة ماجستير)، 47.

(2) ينظر: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: 70.

(3) اللهجات العربية في التراث: 1/ 323.

(4) التطور النحوي: 45، دروس في علم أصوات العربية: 124.

لقد اختفت ((الهمزة الصوت الانفجاري الحنجري المهموس، وهو في العربية القديمة صوت كامل، في المحيط الكلي للعربية الحديثة تقريبا في وسط الكلمة وآخرها، وفي الغالب بمد بديل للحركة القصيرة المتقدمة، بئر، بير، يأكل، ياكل، وتتحول الأفعال المهموزة إلى أفعال معتلة، مثلا في الدمشقية بدأ، بدا))[1].

وجاز التخفيف في الهمز ((لأنه بعد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر، تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع))[2] والتحقيق ((هو الأصل كسائر الحروف، والتخفيف استحسان))[3].

وترك الهمزة ((لغة أكثر العرب الذين هم أهل الجزالة والفصاحة))[4]. والنبي((ليس في لغته عليه السلام الهمز))[5]. والضعف في الهمزة له تأثير في الصرف، فأصل(سَلْ) إسأَلْ وقد بنوا من هاتين الصيغتين صيغة (سالَ) في الماضي. ومنه يرى الأمر منه(رَ)(أو(رَهْ) وكلها من رأى[6].

وربط أحد المستشرقين بين ضعف الهمزة المفتوحة باللهجات القديمة ((إنَّ كل نصوص العربية الوسطى تشير إلى ضعف الصوت الحنجري المفتوح (الهمزة) أو حذفه. وربما يمكن أن ينظر إلى هذا على انه استمرار لظاهرة يستدل عليها في اللهجات العربية القديمة. ومع ذلك فمن الممكن أن تكون نشأت أساساً من

---

(1) دراسات في العربية (فيشر): 333.

(2) الكتاب: 3/ 548، التكملة: 212، شرح المفصل: 9/ 107.

(3) شرح الرضي على الشافية: 3/ 32.

(4) النشر: 1/ 429.

(5) جمهرة اللغة: 2/ 291، المخصص: 6/ 118.

(6) دروس في علم أصوات العربية: 129 ـ 130

خلال تطور موازٍ))[1]. وللبيئة البدوية والحضرية اتجاهاتها في قضية التحقيق أو التخفيف للهمزة. فاشتهرت تميم وقيس وبكر بالتحقيق، والحجاز بالتخفيف.[2].

إلا أننا نجد في نص ابن يعيش علاقة هذه القضية باللهجات، أنها ليست ذات حكم مطلق على كل اللهجات، ((التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز. . . والتحقيق لغة تميم وقيس))[3]، فهي ليست صفة مطلقة على القبائل التي تحقق أو التي تسهل[4]، و((بعض لهجات نجد خالفت لهجة الحجاز في ذلك، فبقيت أكثر الهمزات فيها سالمة على حالها))[5]، وكانت ((لهجة الحجاز تخفيف الهمز أكثر من اللهجات الأخرى))[6].

فالأصل هو التحقيق - كما مر بنا - ومال التميميون إليه في ((كثير من الألفاظ التي كانت على وزن (فعل) إذا كان في موضع العين من الفعل الف ساكنة ما قبلها مفتوح نحو رَأْس وفَأْس وكَأْس في رَاس وفَاس وكَاس، أو ياء ساكنة ما قبلها مكسور نحو ذِئْب وبئْر في ذيب وبير، أو واو ساكنة ما قبلها مضموم نحو شُؤْم ولُؤْم في شُوم ولُوم))[7] فجنحت قبائل البدو إلى ذلك كتميم وأسد وعقيل وقيس وغيرهم[8] لأنه تعود النبر في تحقيق الهمزة، ((وهي عادة

(1) دراسات في العربية (فيشر): 251.

(2) ينظر: الكتاب: 3/ 551، 553، إعراب القرآن (النحاس): 2/ 375.

(3) شرح المفصل: 9/ 107.

(4) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 126 ـ 127.

(5) التطور النحوي: 45.

(6) م . ن: 42.

(7) لهجة تميم، وأثرها في العربية الموحدة: 82 ـ 83.

(8) اللهجات العربية في التراث: 1/ 336.

أملتها ضرورة انتظام الإيقاع النطقي، كما حتمتها ضرورة الإبانة عما يريد من نطقه لمجموعة من المقاطع المتتابعة، السريعة الانطلاق على لسانه، فموقع النبر في نطقه كان دائما أبرز المقاطع، وهو ما كان يمنحه كل اهتمامه وضغطه))[1]، حتى أنهم بالغوا في (نبرة الهمزة) بتحويلها إلى (عين)، وهو ما سمي بـ(العنعنة)، حتى قيل(لابُدَّ عَنْ) والمراد (لابد أن). ويشتهر ذلك التحول الصوتي عندما تكون من مقطع واحد، فيقع النبر عليه وحده، بسبب المبالغة في الضغط على الصوت تحولت الهمزة إلى عين[2]، وهو لا يسلم من الإبدال لقرب المخرجين.

أما القبائل الحضرية فعلى العكس أهملت همز كلماتها (النبر والتوتر)، واستعاضت عن ذلك بالتسهيل أو التخفيف[3] ونجد البيئة الحضرية كالحجاز وهذيل وأهل المدينة والأنصار وقريش وكنانة وغيرهم[4]، تميل إلى التحقيق باستثناء الهمز، فهي ((تطلب الدقة في معظم مظاهرها الاجتماعية ومن بينها اللغة. فالحضري يُعنى بتخير لفظه، وحسن أدائه، ويعمد إلى نطق كل صوت دون تداخل بين الأصوات. . . ، لأنّ مظاهر التحضر اللباقة في القول وحسن النطق ومراعاة قواعده، وذلك ما شاع في البيئة الحجازية على العموم، وفي مكة بصفة خاصة))[5]، و((تختلف اللغة الأدبية عن لهجة قريش في القليل من

(1) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: 30، في الأصوات اللغوية: 181.

(2) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: 31 ـ 32.

(3) ينظر: م.ن: 30 ـ 31.

(4) اللهجات العربية في التراث: 1/ 336

(5) اللهجات العربية: 101.

الصفات الصوتية كتحقيق الهمزة الذي لم يكن شائعا بين الحجازيين، ولكنه يعد أصلا في اللغة النموذجية التي رويت لنا بها أشهر القراءات))[1]. ومثلما تخلصت بعض القبائل العربية القديمة من صعوبة الهمزة كذلك تخلص منها معظم اللهجات العربية الحديثة. فمن المعروف أنّ الهمز يسقط في غير أول الكلام، إلا أنّ بعض اللهجات العربية الحديثة امتد التسهيل عندهم إلى أول الكلمة مثل دان في آذان، وسنان في أسنان، وسبوع في أسبوع[2].

وقد مثّلت القراءات أنموذجا لعدم التسرع في الحكم على اشتهار بيئة دون أخرى بقضية صوتية، ومنها تحقيق الهمزة أو تخفيفها، فالبعض منهم خالف في قراءته بيئته، على أنّ اللهجات نفسها أخذ يؤثر فيها قضية التأثير والتأثر عن طريق الارتحال والاحتكاك، وكما ذكر ذلك أحد المستشرقين، ((فقد ظلت اللهجات العربية متشابهة بعضها مع أكثر مما كان المرء يتوقعه مع الاتساع الكبير، وعوائق الاتصال الجغرافية الشديدة. ويمكن أن يكون ذلك ناشئا من أنّ ارتحال بعض القبائل العربية قد أدى إلى احتكاك لهجات الجهات البعيدة، بعضها بالبعض الآخر، ومهد السبيل للتوفيق بينها))[3].

فلا يكاد ((المرء يصل إلى حكم خاص يمكن نسبته إلى بيئة معينة، نظرا لاختلاف القراء في أحكام الهمزة))[4]، فنرى من مال إلى تحقيق الهمز في مكة قارئها (ابن كثير). ومكة اشتهرت من بين مدن الحجاز بتخفيفها. ويعزى ذلك

(1) م.ن: 102.

(2) ينظر: التطور اللغوي (عبد التواب): 47 ـ 48.

(3) اللغات السامية (نولدكه): 88 ـ 89.

(4) في اللهجات العربية: 67.

إلى أنّ هذا الصوت له حكم خاص يخالف جميع الأصوات الأخرى، وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة، والغريب أن يحققها قرّاء البيئة العراقية الذين عرفوا بالميل إلى التسهيل من إدغام وإمالة!هذا يدل على أنّ اللهجات لا تلتزم دائما حالة واحدة في كل صفاتها، لظروف لغوية خاصة)[1].

ومن نماذج القراء الذين أظهرت قراءاتهم عدم تأثرهم ببيئتهم اللغوية ((قراءة أبي عمرو في بعض ظواهرها دليلا على أنّ القراء لم يكونوا يتأثرون ببيئاتهم اللغوية كل التأثر. فالقراءة تروى ثم تؤدى كما أخذت، فأبو عمرو كان يميل إلى تسهيل الهمز أو حذفها في قراءته وهو تميمي وتميم تهمز))[2].

ومن القراء الذين اشتهروا بالتخفيف الذين أصلهم من العراق ومن شرقي الجزيرة العربية كابن العلاء من البصرة والكسائي من الكوفة وحمزة من الكوفة وعاصم من الكوفة وحفص تلميذه الشهير[3]، وأبي جعفر ونافع من رواية ورش. ولا غرابة في ذلك فهما أشهر قراء المدينة، ومن البيئة الحجازية التي اشتهر عنها عدم الهمز[4].

طرق القراء في تخفيف الهمز:

1. ((سقوطها من الكلام والاستعاضة عنها بإطالة صوت اللين قبلها، فكأنّها كالمشكلة بالسكون حينئذ. وأحيانا لا يعوض عن سقوطها بشيء كما في قراءة (مستهزون) في (مستهزئون).

(1) ينظر: م . ن: 68.

(2) أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو (زهير زاهد): 58.

(3) دروس في علم أصوات العربية: 124.

(4) اللهجات العربية: 57.

2. تسهيل الهمزة بين بين))[1]، وربما نجد في مجال القراءات ((أنّ تحقيق الهمزة كان أكثر انتشارا من تسهيلها))[2]، وقد يعزى ذلك لسببين: أنّ التحقيق هو الأصل، فالمنطق اللغوي يقول إنّ الصوت يحقق أولا ثم يُسَهَّل، والثاني: أنَّ في التحقيق إيجادا للنبر أي إعطاء الهمزة حقها من حيث المخرج أو الصفة وبذلك يظهر البروز والظهور الصوتي له. ويبقى للتخفيف وجهه وميل المتكلم اللاشعوري نحو التيسير النطقي لكون الهمز صوتا صعبا ويحتاج لجهد عضلي. لذلك ورد عن ابن الجزري أنّ تخفيف ((الهمز ليس بمنكر ولا غريب فما أحد من القراء إلا وقد ورد عنه تخفيف الهمز إما عموما وإما خصوصا))[3].

وفي القراءات القرآنية نجد الاختلافات حول التحقيق والتخفيف، فمن ذلك اختلافهم في الهمز أو تركه في قوله تعالى: (الذِّئْبُ)[4]، ونجد الاختلاف في رواة القارئ الواحد، فمنهم من يذكر الهمز والآخر يروي القراءة عنه من غير همز. فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة بالهمز، وقرأ الكسائي بغير همز، في حين روى ورش عن نافع أنه لا يهمز، وقال ابن جماز: أبو جعفر وشيبة ونافع لا يهمزون فيقرؤون (الذيب). في حين روي عن أبي عمرو أنّه قرا (فأكله الذيب)[5]، وذكر الداني أنّ أبا عمرو ابن العلاء كان لا

---

(1) الأصوات اللغوية: 90.

(2) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 118.

(3) النشر: 1/ 429.

(4) يوسف: 13، 14، 17.

(5) ينظر: السبعة في القراءات: 346.

يهمز(الذئب)، وكذلك ورش وحمزة والكسائي، والباقون يحققونها في ذلك كله حيث وقع[1].

ونجد مواضع تخفيف الهمز عن عاصم قليلة نحو قوله سبحانه ((كُفُوا))[2]و(هُزُواً)[3]، برواية حفص مثقلا غير مهموز، وبرواية أبي بكر (كُفُوءاً) مع (هزؤا) و((جُزْءاً))[4] مثقلات مهموزات. واختلف الرواة عن نافع فالأكثر ذكروا قراءاته بهمز، ومنهم من ذكر قراءته مثقلا غير مهموز. في حين قرأ بالهمز كل من ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وأبو عمرو في رواية اليزدي وعبد الوارث (كفْؤا) بضم الفاء مهموزة، وقرأ حمزة مهموزة خفيفة[5].

والحجة في ذلك بين الضم والهمز هو اتباع الخط لأنه في المصحف مكتوب بالواو في (هزؤا) و((كفؤا))، و(جزءا) بغير واو فاتبعوا في القراءة تأدية الخط[6]، وقرأ ((حمزة ذلك كله مسكنا مخففا، ووقف على هزوا وكفوا بالواو ووقف على جزء بغير واو ليجتمع له بذلك الإشراك بين الحروف إذ كان الجزء والهزء سيان، ويتبع الخط في الوقف عليها))[7].

وكان أبو عمرو يميل إلى تخفيف الهمز. فإذا قرأ في الصلاة ، أو أدرج قراءته أو قرأ بالإدغام لم يهمز كل همزة ساكنة سواء كانت فاءً أو عينا أو

(1) التيسير في القراءات السبع: 35، 36، 39.

(2) سورة الإخلاص: 4.

(3) سورة البقرة: 67، 231، سورة المائدة، 57، 58، سورة الكهف: 56، 106، وغيرها.

(4) سورة البقرة: 260، الزخرف: 15.

(5) ينظر: السبعة: 159، 701ـ 702.

(6) ينظر: الحجة في القراءات السبع: 84.

(7) م . ن: 81 ـ 82

لاما[1]، نحو: (يُومِنُون) في (يُؤْمِنُونَ)[2] (بيس) في(بِئْسَ) [3]، (بـير) في (بِئْـرٍ)[4]، (فادراتم) في(فادّارَءْتُم)[5]، و شبهه. وإذا كان سكون الهمـزة للجـزم فإنـه يهمـز، نحـو((أو ننـسأها)) في أوْ نُنـسِهَا)[6]و(تَـسُؤْكم) [7]و(وَهَيِّـئْ لَنَـا)[8]، و(اقْـرَأْ كَتَابَكَ)[9]، وما أشبه ذلك[10].

وعلل ابـن خالويـه قـراءات الهمـز وعـدم الهمـز في الفعـل (يؤمنـون) أو (يؤمن) وما شابهه، ((فالحجة لمن همـز أنـه أتـى بالكلمـة علـى أصـلها وكمـال لفظها، لأنّ الهمزة حرف صحيح معدود في حروف المعجم. والحجة لمن تركه أنه نحا التخفيف فأدرج اللفظ وسـهل ذلـك عليـه سـكونها وبعـد مخرجهـا. وكـان طرحها في ذلك لا يخل بالكلام))[11].

وانفرد أبو عمرو بقـراءات أحيانـا لميلـه إلى التخفيـف، مـن ذلـك قراءتـه

(1) ينظر: السبعة في القراءات: 133، التيسير في القراءات السبع: 36.
(2) سورة البقرة: 88، ، سورة آل عمران: 114، سورة الأنعام: 92، وغيرها كثير في القرآن.
(3) سورة البقرة: 126، 206، سورة آل عمران: 12، 151، وغيرها.
(4) سورة الحج: 45.
(5) سورة البقرة: 72.
(6) سورة البقرة: 106.
(7) سورة المائدة: 101.
(8) سورة الكهف: 10
(9) سورة الإسراء: 14.
(10) ينظر: السبعة في القراءات: 133، التيسر في القراءات السبع: 37.
(11) الحجة: 64.

(وُقِّتَتْ)[1] في ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾[2]، فقرأ بالواو ((على نظير وُجوه أجوه واستردها فاسقطها))[3]، أما إذا تحركت الهمزة فلا خلاف عنه في تحقيقها [4] نحو: ﴿ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾[5]، و(مُؤَذِّنٌ) [6]، وما شابه ذلك.

وفيما يخص قراءة ورش عن نافع، فقد ورد عنه عدة مواضع يقرأ فيها بالتسهيل. إذ قرأ (أريتكم) و(أريتم) و((أريت)) من غير همز والألف على مقدار ذوق الهمز في (أَرَءَيْتَكُم)[7] و(أرأيتُم)[8]، و(أَرَءَيْتَ)[9] وقرأ الكسائي بغير همز ولا أ لف، وقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة في كل القرآن بالهمز[10]، وقرأ نافع و(الصابيين) و ((الصابون)) في كل القرآن بغير همز في (وَالصَّابِئِينَ)[11] و(الصَّابِئُونَ)[12]، وهمز ذلك كله الباقون[13].

---

(1) السبعة في القراءات: 666.

(2) سورة المرسلات: 11.

(3) مختصر في شواذ القراءات: 131، سر صناعة الإعراب: 1/ 80.

(4) أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو: 63، 61.

(5) سورة النور: 43.

(6) سورة الأعراف: 44

(7) سورة الأنعام: 40، 47.

(8) سورة الأنعام: 46، سورة يونس: 50، 59، سورة هود: 28، 63، 88، وغيرها

(9) سورة الكهف: 63.

(10) ينظر: السبعة في القراءات: 275.

(11) سورة البقرة: 62، الحج: 17.

(12) سورة المائدة: 69.

(13) السبعة: 158.

ووجّه ابن خالويه القراءتين إلى أصل الفعل. ففي قراءة الهمز أنه مأخوذ من (صبأ) أي خرج من دين إلى دين، وفي قراءة عدم الهمز أنه أخذه من (صبا يصبو) إذا مال[1]. وقرأ[2] كذلك بالألف الساكنة بدلا من الهمزة مع أبي عمرو في (مِنسَأَتَهُ)[3].

وقرأ ورش عن نافع بتسهيل الهمزة المفردة سواء سكنت أو تحركت في موضع الفاء من الفعل نحو (يَأْخُذْ)[4]، و(يُؤْثِرُونَ)[5] و(يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ)[6] و(الْمُؤَلَّفَةِ)[7]، وشبه ذلك، وسهل الهمزة من(بِئْسَ)[8] و(بِئْسَمَا)[9]، و(بِئْرٍ)[10] و(الذِّئْبُ)[11] و(لِئَلاَّ)[12] في جميع القرآن وتابعه الكسائي على الذئب وحده فترك همزه، والباقون يحققون الهمزة في ذلك كله[13].

---

(1) الحجة في القراءات السبع: 81.

(2) التيسير في القراءات السبع: 180.

(3) سورة سبأ: 14.

(4) سورة الأعراف: 73، 145، 169، سورة التوبة: 104، سورة هود: 64، ، وغيرها.

(5) سورة الحشر: 9.

(6) سورة آل عمران: 75.

(7) سورة التوبة: 60

(8) سورة البقرة: 102، 126، 206، سورة آل عمران: 12، 151، وغيرها.

(9) سورة البقرة: 90، 93، سورة الأعراف: 150.

(10)سورة الحج: 45.

(11) سورة يوسف: 13، 14، 17.

(12) سورة البقرة: 150، سورة النساء: 165، سورة الحديد: 29.

(13) ينظر: التيسير في القراءات السبع: 34 ـ 35، دروس في علم أصوات العربية: 127.

ومن القراءات القرآنية التي آثرت الانسجام والخفة والتسهيل للهمز هي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع – من القراء العشرة – فأبدل الهمزة الساكنة المفردة بحرف مد بحسب حركة ما قبله، فهو مثّل بيئته خير تمثيل فهو قارئ المدينة، وأخذ القراءة عن نافع، فكان يقرأ: يُؤْمن ـ يُومن، يُؤتى ـ يُوتى، بئس ـ بيس، جئْتُ ـ جيت، فأْذنوا ـ فاذنوا، وغيرها واستثنى من ذلك كلمتين (أَنبِئْهُم) في البقرة و(نبِئْهُم) في الحجر والقمر.

وفي الهمزة المتحركة وقبلها متحرك، نحو: مستهزئون، الصابئون، متكئون، قرأ أبو جعفر وحده بحذف الهمزة وضم ما قبلها: مستهزون – الصابون – متكون، ووافقه نافع على (الصابون) – كما مر –. وقرأ الهمزة المتحركة وقبلها ساكن (الألف) نحو (إِسْرَائِيلَ)[1] بتسهيلها وحققها الباقون. وإذ كان قبلها ساكن (الياء) نحو: (هَنِيئاً مَّرِيئاً)[2]، و(بَرِيءٌ)[3] يقرأ بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء التي قبلها فيها، وقرأ الباقون بالهمز. وإذا كان قبل الهمزة المتحركة سكون نحو(جُـزْءاً) قرأ بحذف الهمزة وتشديد الزاي (جزّاً)[4].

وفي تخفيف الهمزة أثره في وقوع الانسجام وكما يأتي:

ي ـَ ء / خ ـُ ذ/ بالهمز (يَأخُذ)

ي ـَ / خ ـُ ذ/ بالتسهيل (ياخُذ)

ي ـُ ء / م ـِ ن/ بالهمز (يُؤْمِن)

---

(1) سورة البقرة: 40، 47، 83، سورة آل عمران: 49، 93، وغيرها.

(2) سورة النساء: 4، سورة الطور: 19، سورة الحاقة: 24، سورة المرسلات: 43.

(3) سورة الأنعام: 19، 78، سورة الأنفال: 48، سورة التوبة: 3، وغيرها.

(4) ينظر: النشر: 1/ 390، اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 115 – 118.

ي ـُـُ / م ـِ ن/ بالتسهيل (يُومِن)

ذ ـِ ء/ ب/ بالهمز (ذئب)

ذ ـِ / ب/ بالتسهيل (ذيب). وهكذا.

ومن القراء الذين مالوا إلى التخفيف هو (حمزة)، ((كان يستحب ترك الهمز في القرآن كله إذا أراد أن يقف، والباقون يقفون بالهمز كما يصلون))[1]، ومن المواضع التي يقف عليها بغير همز(مُسْتَهْزِئُونَ)[2] وكأنه يريد الهمز، (لِّيُوَاطِؤُواْ)[3]، و(يَسْتَنبِئُونَكَ)[4]، وغيرها[5]. وتفرد حمزة بتسهيل الهمزة المتوسطة الساكنة بإبدالها حرفا خالصا[6] نحو(الْمُؤْمِنُونَ)[7]، (يُؤْفَكُونَ)[8]، و(تَسُؤْكُمْ)[9] وغيرها.

وجميع ((ما يسهله حمزة من الهمزات فإنما يراعى فيه خط المصحف دون القياس))[10]، فإن انضمت الهمزة جعلتها بين الهمزة والواو، نحو قوله عز

(1) السبعة: 132.

(2) سورة البقرة: 14.

(3) سورة التوبة: 37.

(4) سورة يونس: 53.

(5) السبعة: 144، دروس في علم أصوات العربية: 127.

(6) ينظر: التيسير في القراءات السبع: 39.

(7) سورة البقرة: 285، سورة آل عمران: 28، 110، 122، 160، وغيرها.

(8) سورة المائدة: 75، سورة التوبة: 30، سورة العنكبوت: 61، وغيرها.

(9) سورة المائدة: 101.

(10) التيسير في القراءات السبع: 40 – 41.

وجل(فَادْرَءُوا)[1]، وشبهه مالم يكن صورتها ياء نحو(أَنَبِّئُكُم) [2]، وشبهه فإنك تبدلها ياء مضمومة إتباعا لمذهب حمزة في إتباع الخط عند الوقف على الهمز وهو قول الأخفش وهو ما يسمى التسهيل بالبدل، وإن انفتحت جعلتها بين الهمزة والألف نحو قوله تعالى: (سَئَلْتُهُمْ)[3]، وشبهه، وإن انكسرت جعلتها بين الهمزة والياء نحو: ((جِبْرَئيل)) في (جِبْرِيل)[4].

ويتحقق بتسهيل الهمزة الإنتقال من وصف إلى آخر، ومن مقطع منبور مغلق إلى منبور مفتوح ((وحين لا تتقدم الهمزة حركة فإنها تختفي وتتم إطالة الحركة السابقة. ومن خلال ذلك انتقلت الأفعال المهموزة الآخر من جهة إلى أفعال معتلة الياء، والألف الممدودة إلى ألف مقصورة من جهة أخرى))[5].

وإذا وقعت ((الهمزة بين بين في تجاور مباشر مع حركات مختلفة من بينها كانت الكسرة أو الضمة فإنها تنتقل إلى ياء أو واو. فإذا كانت متطابقة مع الحركة السابقة أو اللاحقة فإن الهمزة تحذف، وتدمج الحركتان في امتداد مطابق، وإذا وقعت الهمزة بين صامت وحركة فإنها تحذف، ويحرك من خلال ذلك الحد بين المقاطع. وإذا كان الصامت واواً أو ياءً، فإنّ الهمزة تتماثل مع الواو أو الياء بحيث تضعف الواو / الياء))[6]. فالمد للحركة يحصل إذا وقعت الهمزة ساكنة بعد حركة، ويتضح ذلك في الكسر: نحو(بير)، والضم: نحو(يوخذ). وأما في الفتح،

(1) سورة آل عمران: 168.

(2) سورة آل عمران: 49، سورة المائدة: 60، سورة يوسف: 45، وغيرها.

(3) سورة التوبة: 65، سورة العنكبوت: 61، وغيرها.

(4) سورة البقرة: 97، 98، سورة التحريم: 4.

(5) دراسات في العربية: 251.

(6) دراسات في العربية: 251ـ 252.

فنجد في الرسم ألفا في أكثر الحالات، نحو(تاويل) و(أخطانا) إلا أنّ المصاحف الكوفية العتيقة تكتب (أخطنا)، بدل(أخطأنا)، و(تويل) بدل: (تأويل)، فالألف هنا تشير إلى المد لا الهمز[1].

وهناك قراءات شاذة كونت (المزدوج) بنوعيه التام والخفيف، مما يعد دليلا على وجوده في العربية. فالهمزة فاصل بين عنصرين حركيين، لضرورة نبرية، ولكنها سرعان ما يتصلان عند زوال هذه الضرورة، بسقوط الهمزة لسبب ما[2]. والمزدوج هو: ((تتابع صائت ونصف صائت في مقطع واحد، فإذا تقدم الصائت سمي المزدوج هابطا، كالفتحة والياء في: لَيْتَ / ل ـَ ي/ ت ـَ/، وإذا تأخر الصائت سُمي المزدوج صاعدا، كالياء والفتحة في يَكتبُ: / ي ـَ ك/ ت ـُ/ ـُ/))[3].

ومن تلك القراءات التي كونت المزدوج التام قراءة [4] الذماري وأبي جعفر ((يَيسوا) بغير همز بل بياء بدل الهمزة في(يَئِسُوا)[5]، وقرأ[6] ابن محيصن والحسن (وكَيٍ) بياء مكسورة منونة من غير همز ولا تشديد للياء، وقراءة حفص(وَكَأَيِّن)[7]. وبذلك كوّنت لنا قراءات التسهيل (فتحة قصيرة + كسرة قصيرة)[8].

---

(1) ينظر: التطور النحوي: 44.

(2) ينظر: القراءات القرآنية (عبد الصبور شاهين): 173.

(3) أبحاث في أصوات العربية: 8.

(4) ينظر: البحر المحيط: 7/ 142، 8/ 280.

(5) العنكبوت: 23، الممتحنة: 13.

(6) ينظر: البحر المحيط: 3/ 78.

(7) سورة آل عمران: 146، يوسف: 105، الحج: 45، وغيرها.

(8) ينظر: القراءات القرآنية: 165.

وقرأ أبو جعفر بن القعقاع ((لرَوْف)) بغير همز ((وكذلك سهّل كل همزة في كتاب الله ساكنة كانت أو متحركة))[1]، وبذلك كونت لنا هذه القراءة (فتحة قصيرة + ضمة طويلة قصرت)[2]، والقراء السبعة اختلفوا في أن تكون الهمزة قبل الواو وأن تكون هي الواو، ((فقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم (لَرَؤُوفٌ)[3] على وزن لرعوف في كل القرآن، وكذلك ابن عامر، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو وحمزة والكسائي (لرؤف) في وزن لرعف))[4].

وقرأ الجمهور(سَائِغٌ)[5] وقرأ عيسى بن عمر قراءتان الأولى (سَيِّغ) على وزن فيعل كميّت، والثانية (سَيْغ) مخففا من المشدد لميْت[6]، والقراءة الثانية(سيْغ) أظهرت لنا مزدوجا من (فتحة طويلة قصرت + كسرة قصيرة).

وقرأ الزهري ونافع ((باريكم)) بكسر الياء من غير همز، في (بَارِئِكُمْ)[7] ولقراءة التسهيل تخريجان، أحدهما: التخفيف وقع بالإبدال المحض غير القياسي، فالقياس جعلها بين بين. والثاني: أن يكون الأصل (باريكم) بالياء من غير

(1) البحر المحيط: 1/ 601.

(2) ينظر: القراءات القرآنية: 166.

(3) سورة البقرة: 147، 207، سورة آل عمران: 30، وغيرها.

(4) السبعة: 171.

(5) سورة فاطر: 12.

(6) مختصر في شواذ القراءات: 123، البحر المحيط: 7/ 291.

(7) سورة البقرة: 54.

همز، ويكون مأخوذا من (بريت القلم)[1]، إذ كونت لنا هذه القراءة (كسرة قصيرة + كسرة طويلة). وهناك قراءات أخرى أظهرت لنا المزدوج[2].

وسبب شذوذ هذه القراءات هو خروجها على ما سنه القدماء من قواعد للمزدوج، أي النطق بحركتين متواليتين، من وجود للهمزة (بين بين) ولكنها ضعيفة، في حين أنها غير موجودة، وإنما يكون تتابع حركتين يكونان نوعا من المزدوج، خفيف الانزلاق، من عنصره الأول إلى عنصره الثاني[3].

وكثير من السياقات تؤكد وجود المزدوج في العربية الذي لم تتكلس في شكل كتابي (واو أو ياء)، وهذا ما نجده في قراءة أبي عمرو بن العلاء بتتابع همزتين، مختلفتين الضبط، ثم ننطقها بإسقاط الهمزة الثانية، نحو (أئِفكا)، فتح فكسر، يصير(أفكا). وكذلك (أأنزل)، فتح فضم إسقاط الهمزة (أنزِل)، (وعاءِ أخيه)، كسر ففتح، إسقاط الهمزة (وعاءَ خيه). وتلك الأمثلة لا علاقة لها بالإبدال للهمزة واوا أو ياء، إنما هو إسقاط الهمزة لا غير، وتولد شبه حركة (واو أو ياء) نتيجة اتصال الحركات بعد سقوط الهمزة[4].

(1) ينظر: البحر المحيط: 1/ 366.

(2) ينظر: القراءات القرآنية: 165 ـ 178.

(3) ينظر: م.ن: 173.

(4) ينظر: علم الأصوات (مالمبرج): 82 ـ 83.

المبحث الثالث

الوقــف

هو ((قطع النطـق عنـد إخـراج آخـر اللفظـة))[1]، والترتيـل عنـد الإمـام علي(عليه السلام) هو تجويد الحروف ومعرفة الوقـف[2]، بقـصد الاسـتراحة[3]، وهو عند المحدثين ((مِفْصل من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السلسلة النطقيـة (Chain of utterance) فينقـسم الـسياق بهـذا إلى دفعـات كلاميـة (Spoken groups) تعتبر كل دفعة منها إذا كان معناها كـاملا(واقعـة تكليميـة (Speech event) منعزلـة)))[4]، ويمثـل ((الـصوت الأخـير في الكلمـة حركـة قـصيرة في الوقف))[5].

وقد كان للقراء دراسات دقيقة وواسعة لظاهرة الوقف في القرآن الكـريم. فنظروا فيها من حيـث الـصوت وقطـع الحركـة أو إخفاؤهـا، كمـا نظـروا إليـه صرفيا، في أثر الوقف في بنية الكلمة، ثم نظروا إليه نحويا، في أثر الوقـف في بنيـة الجملة، واستمرار المعنى وكماله أيضا.

فهم كانوا يعتمدون على السماع واللغة المسموعة. لذلك كـان نظـرهم في دقائق العبارة وجزئياتها أكثر من نظرة النحويين، الذين درسوا الوقف وأنواعـه.

---

(1) ارتشاف الضرب: 2/ 798.

(2) النشر: 1/ 209، 225.

(3) شرح التصريح: 2/ 338.

(4) اللغة العربية معناها ومبناها: 270.

(5) دراسات في العربية: 163.

ولكنّ دراستهم للظواهر اللغوية الأخرى كالإدغام والإمالة والهمز لم تكن بسعة دراسة القراء، لاعتمادهم في الغالب على اللغة المكتوبة، وفرق بين الحالين كبير.

فالوقف عند القراء هو قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة[1]، وعند النحويين ((قطع الكلمة عما بعدها))[2]. فالقراء ينظرون إليه من الناحية المعنوية أي وفقا للمعنى الذي تؤديه الجملة. أما النحاة فعندهم استراحة عند كلال الخاطر من ترادف الألفاظ والحروف والحركات[3].

والقراء هم((أول من لفت الأنظار إلى موضوع الوقف والوصل))[4]، واستعمل القراء عدة مقاييس في هذا الموضوع هي: القياس البلاغي القرآني، ومقياس النظم القرآني، والمقياس النحوي القرآني، ومقياس الرسم العثماني. على حين أنّ النحاة اعتمدوا على المعيارية القياسية[5].

وهناك فرق بين الوقف، والسكت، والقطع. فالأول: هو قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة وتنبغي البسملة معه في فواتح السور، ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط كلمة ولا فيما اتصل رسما. والسكت: قطع الصوت زمنا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس، والسكت لا يكون إلا مع عدم التنفس سواء قل زمنه أو كثر وهو مقيد بالسماع والنقل وهو جائز في رؤوس الآي مطلقا حالة الوصل لقصد

(1) ينظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد (محمد مكي نصر): 153.

(2) شرح الرضي على الشافية: 2/ 271.

(3) الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية (محمد سالم): 17 ـ 18.

(4) ينظر: الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية: 221.

(5) ينظر: م.ن: 222.

البيان[1]، فإذن هو ((قطع الصوت عن القراءة زمنا يسيرا بدون تنفس مع نية استئناف القراءة))[2]

والسكتة(Pause) هي((أخف من الوقفة وأدنى منها زمنا. وهي في حقيقة الأمر لا تعني إلا مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، إشعارا بأن ما يسبقها من الكلام مرتبط أشد ارتباط بما يلحقها ومتعلق به))[3]، والسكتة ((بخلاف الوقفة يمكن إعمالها، كما يجوز إهمالها، ولكنّ إعمالها أولى))[4].

فعلة وجود الوقف ((للاستراحة ومحل التخفيف الأواخر لأنّ الكلمة تتثاقل إذا وصلت إلى آخرها))[5]، وترجع هذه الظاهرة إلى كراهية توالي الأضداد أو كراهية التنافر، وبين الوقف والحركة تنافر، لأنّ الحركة مظهر الاستمرار في الأداء والصمت بالوقف الذي يأتي عن تمام المعنى. وفي الوقف انعدام النبر وبالتالي ضعف الحركة في النطق ويجعلها من قبيل الرَّوم بل من قبيل الإشمام. ومن هنا اختار الاستعمال ظاهرة الوقف دفعا للتنافر[6].

ونلمس الانسجام في النسيج العربي عن طريقين. أحدهما: هو أنّ العربية تبدأ بحركة وتنتهي بسكون الذي هو أصل الوقف، وثانيهما: هو إلزام الوصل بالحركة وإلزام الوقف بالسكون الذي هو نقيض الحركة. فالمتكلم في بداية السلسلة الكلامية يكون في قوته النطقية الذي يناسبه تعاقب الحركات، ثم يحتاج

---

(1) ينظرالنشر: 1/ 240- 243.

(2) الكشف عن أحكام الوقف: 15

(3) علم الأصوات (كمال بشر): 557، أبحاث في أصوات العربية: 66.

(4) م . ن: 558.

(5) شرح الرضي على الشافية: 2/ 274.

(6) ينظر: اللغة العربية معناها ومعناها: 270- 271.

بعد ذلك الجهد إلى استراحة متمثلة بالوقف، فيحدث التعاقب وكأن المحيط الصوتي من بدايته إلى نهايته أمواج يكمل بعضها بعضا.

اختلف النحاة في أوجه الوقف وتغيراته. فمنهم من عدها خمسة: السكون، والإشمام، والرَّوم، والتشديد (التضعيف)، والإتباع (النقل)، أو أكثر[1].

وعند القراء المستعمل تسعة((السكون، والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات والإلحاق))[2]، وبذلك زادت كتب القراءات: الوقف بالحذف، والوقف بالإبدال[3]. وحدد القراء أنواع الوقف أربعة التام، والكافي، والحسن، والقبيح. فالتام يكون في رؤوس الآي وانقضاء القصص نحو الوقف على البسملة والإبتداء (الحمد لله رب العالمين)، والكافي الذي يكثر في الفواصل وغيرها، والحسن نحو الوقف على (بسم الله) وعلى (الحمد لله)، وعلى (رب العالمين)، والقبيح نحو الوقف على بسم، وعلى الحمد، وعلى رب. . .[4].

والأصل في الوقف والأكثر أن يكون بالسكون لأنّ المتكلم تكون عنده ((الراحة في السكون لا في الحركة))[5]، وهو عبارة ((عن تفريغ الحرف من الحركات الثلاث، وذلك لغة أكثر العرب))[6]. ويظهر أنّ ((الأصل في الكلمات

(1) ينظر: شرح المفصل: 9/ 66 ـ 67، أسرار العربية: 204، شرح التصريح: 2/ 338..

(2) النشر: 2/ 120.

(3) اللهجات العربية في التراث: 2/ 480.

(4) ينظر: النشر: 1/ 226 ـ 229، من أسرار اللغة: 188.

(5) أسرار العربية: 205، شرح المفصل: 9/ 67.

(6) النشر: 2/ 120 ـ 121.

أن تنتهي بهذا السكون، وأنّ المتكلم لا يلجأ إلى تحريك الكلمات إلا لضرورة صوتية يتطلبها الوصل))[1].

والوقف بالروم هو الإتيان بحركة ضعيفة غير كاملة يسمعه القريب، بينما يحسب البعيد منك أنك قد وقفت، ويكون في الضمة والكسرة، نحو قوله تعالى (فَقِيرٌ)[2]، و(عَلِيمٌ)[3]، والإشمام إتيانك بضم شفتيك لا غير من غير صوت، وعلة وجودهما هو لبيان الحركة، كيف كانت في الوصل[4] نحو إشمامك ضمة الدال في قوله تعالى: (نَعْبُدُ) [5]. وسمي روماً ((لأنك تروم الحركة وتريدها حين لم تسقطها بالكلية))[6]. أي الإتيان ببعض الحركة كما في(نَسْتَعِينُ) [7] بالوقف على النون مع الإتيان بصوت ضعيف يشبه الضمة[8]، فهو اختلاس الحركة وتقصير زمن النطق بها، ويكون الفرق بين الحركة الطبيعية والحركة في هذه الظاهرة فرق كمية فقط[9].

والإشمام هو إعارة حرف أو حركة (رائحة) حرف آخر أو حركة

---

(1) من أسرار اللغة: 188.

(2) القصص: 24.

(3) سورة يوسف: 76.

(4) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 122.

(5) سورة الفاتحة: 5.

(6) شرح الرضي على الشافية: 2/ 275.

(7) سورة الفاتحة: 5.

(8) ينظر: اللهجات العربية في التراث: 2/ 485 ـ 486، إحياء النحو: 89.

(9) ينظر: من أسرار اللغة: 189 ـ 190.

أخرى[1]، وعلة ارتباطه بالمرفوع والمضموم دون المنصوب والمجرور ((يرجع إلى أنّ الضمة من مخرج الواو، والواو تخرج من الشفتين، والإشمام إشارة بالشفتين فيكون هناك يسر وسهولة في النطق به))[2].

والظاهرتان نوع من المبالغة اعتاده القراء حرصا على سلامة الأداء، فهما ليسا من طرائق العرب الصحيحة في الوقف وهناك أدلة[3] والغرض منها تعليمي، وهو وقف بما يشبه الوصل، بل إنّ الظاهرتين لا تمت إلى الوقف بصلة، وهما من اختراع القراء[4].

ومن وسائل الوقف الذي يؤتى به لبيان حركة الإعراب المحذوفة، أو الفرار من التقاء الساكنين وهو (الوقف بالنقل)[5]، والذي يحصل فيه الإتباع المدبر لذلك سماه ابن الأنباري بـ(الإتباع). وهو ((أن تحرك ما قبل الحرف الأخير إذا كان ساكنا حركة الحرف الأخير في الرفع والجر نحو: (هذا بَكُرْ ومررت ببَكِرِ)))[6].

ولهذا النوع من الوقف ثلاث حالات: الأولى: إذا كان آخره ساكنا صحيحا فيكون الوقف في حالتي الضم والكسر فقط دون الفتحة في المثالين المارين الذكر، ويمتنع النقل إذا كان آخره فتحة نحو (انظرْ البَدْرَ) فلا يمكن نقل

(1) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 164.

(2) الكشف عن أحكام الوقف: 77.

(3) ينظر: المحيط في أصوات العربية: 64.

(4) ينظر: من أسرار اللغة: 189 ـ 190.

(5) ينظر: الكتاب: 4/ 173 فما بعدها، الخصائص: 3/ 220.

(6) أسرار العربية: 204.

فتحة الراء إلى الدال. هذا هو رأي البصريين وأجازه الكوفيون، وقبله ابن يعيش[1]. وقد اشترط النحاة لهذا النوع من الحالة الأولى ستة شروط[2].

والحالة الثانية إذا كان آخره همزة فيكون الوقف بإلقاء حركة الهمزة على الساكن من الحركات الثلاثة، نحو الوُثُوء، ومِن الوِثِى، ورأيت الوَثَا[3]، وهذا قول تميم. وأهل الحجاز يقومون بنقل حركة الهمزة الساكن ما قبلها ثم حذفها، فيكون الوقف على الحرف الذي نُقلت إليه، نحو: هذا الخَبْ، ورأيت الخَبْ، ومررت بالخَبْ[4] وعلل الفراء السكت على ما قبل الهمزة ((لأن الهمزة إذا سكن ما قبلها حذفت من الكتاب، وذلك لخفاء الهمزة إذا سُكت عليها، فلما سكت ما قبلها ولم يقدروا على همزها في السكت كان سكوتهم كأنه على الفاء))[5]، كما في قوله تعالى: (دِفْءٌ)[6]، و مثله (الْخَبْءَ)[7]، و(مِّلْءُ)[8].

وبذلك يظهر الانسجام المدي عند تميم خاصة[9]، بنقل حركة الهمزة، لأنها صوت خفي لبعد المخرج، وسكون ما قبلها يزيدها خفاءً، فدعاهم ذلك

(1) ينظر: شرح المفصل: 9/ 72، شرح الأشموني: 4/ 9 فما بعدها.

(2) شرح التصريح: 2/ 341 ـ 342.

(3) ينظر: الكتاب: 4/ 173، فما بعدها، شرح ا لمفصل: 9/ 73 فما بعدها.

(4) ينظر: م . ن: 4/ 177 ـ 178، ارتشاف الضرب: 2/ 814.

(5) معاني القرآن: 2 / 96.

(6) سورة النحل: 5

(7) سورة النمل: 25.

(8) سورة آل عمران: 91.

(9) ينظر: في الأصوات اللغوية: : 211

لتحريك ما قبلها، لأنّ ذلك يزيدها وضوحا[1].

والظاهر في مسار لهجتي تميم والحجاز في مسألة الوقف على الهمز أنَّ هـذا الصوت ضعيف ويزداد ضعفه في جانبين، أحدهما: تطرفه، وثانيهما: عندما يقـع بعد أصوات المد فتغطي هذه الأصوات بامتدادها القوي على الهمـزة ممـا يجعلـه يتنازل عن وجوده في المحيط الصوتي بحذفه كمـا هـو الحـال عنـد الحجـازيين، أو بفقدانه لقمته من الصوائت القصيرة لغيره.

والحالة الثالثة من الوقف بالنقل هو الوقـف علـى ضـمير الغائـب المفـرد المذكر(الهاء)[2]، فيكون بنقل حركته إلى الساكن قبلها، نحو: ضَرَبْتُهُ واضْرِبُه. وقرأ طلحة بن سليمان[3] ((يُدْرِكُه)) بضم الكـاف في (يُدْرِكْـهُ)[4] بنيـة الوقـف علـى الكلمة فنقل الحركة من الهاء إلى الكـاف، فـصار يدركُـه، فلمـا صـار يدركْـه إلى يدركُهْ حرك الهاء بالضم على أول حالها، ثم لم يُعِدْ إليها الضمة الـتي كـان نقلـها إلى الكاف عنها، بل أقر الكاف على ضمها، فقال (ثم يدركُهُ الموت)[5].

وفي الوقوف على المنـون فإنـه يحـذف بعـوض أو بغـير عـوض، ومعظـم القبائل قد اختصت المنون المنصوب بالوقوف عليه بالألف، إلا قبيلة ربيعـة الـتي اشتهر عنها الوقوف بالسكون. نحو رأيت زيدا أو رأيـت زيـدْ. ولغـة أزد الـسراة

(1) ينظر: الكشف عن أحكام الوقف: 77 ـ 78.

(2) ينظر: الكتاب: 4/ 179 ـ 180.

(3) طلحة بن سليمان أخذ القراءة عرضا عن فياض بن غزوان عن طلحة بن مصرف، ولـه شواذ تروى عنه (طبقات القراء: 1/ 341).

(4) النساء: 100.

(5) ينظر: : المحتسب: 1/ 196.

من القبائل اليمنية التي كانت تقف على الكلمات المنونة بحركة من جنس حركة آخر الكلمة، نحو جاء خالدو ورأيت خالدا، مررت بخالدي[1].

وبذلك صار للعرب أكثر من طريقة للمحافظة على الصوت المتطرف[2]، فالمرء في وقفه قد يسلك إحدى طريقتين: إما التأني في النطق بأواخر الكلمات والحرص على اعطائها حقها الصوتي، من دون أن يسقط من حروفها شيئا ومنهم قبيلة الأزد في مطلهم لصوت المد. وهو ما يشبه الوقف الشعري على الروي المرفوع أو المجرور في القافية المطلقة.

ومن العرب من ينقص من أواخر الحروف، فيظل نطقه مستمرا، فهو يقف بما يشبه الوصل، ويتعجل نهاية الكلمة، كما عند قبيلة ربيعة الذين يقفون بالسكون على الاسم المنون، وقبيلة لخم يقفون على ضمير الغائبة بحذف ألفه، نحو (والكرامة ذات أكرمكم الله بهْ) أي بها.

وكان موقف قريش وسطا فهم يقفون على الاسم المنون بإسقاط الضم والكسر، والإبقاء على الفتح نحو هل جاء خالدْ، هل مررت بخالدْ، هل رأيت خالداً. لأنّ الفتح أوضح، و يتطلب زمنا أطول للنطق به[3].

وفي الاسم المقصور الأصل فيه الوقف بالألف، إلا أنّ قبيلة (فزارة وبعض قيس) يقلبون الألف ياء حالة الوقف فيقولون في أفعى - أفعِيْ بسكون الياء. وكان أهل الحجاز وطيء يقلبون الألف المتطرفة واوا في الوقف فيقولون في أفعى

(1) ينظر: ارتشاف الضرب: 2/ 800، همع الهوامع: 3/ 427.

(2) ينظر: في الأصوات اللغوية: 210 ـ 211.

(3) ينظر: من أسرار اللغة: 191 ـ 193.

- أفعو، والبعض يقلبها همزة نحو أفْعَأ[1]. ويظهر الانسجام والتوافق الصوتي عند ((من يبدلها حرفا يناسب الحركة فيقول: زيْدُو، ومررتُ بزيدي))[2].

ويكون الوقف بزيادة الهاء التي تسمى (هاء السكت) والسبب في اختيار الهاء دون غيرها، لمماثلتها لما قبلها وكأنّ ما قبلها هو آخر الكلمة[3] و((لسهولة السكوت عليه))[4] ولبيان الحركة[5]. أو للتعويض عن بعض الكلمات المحذوفة[6].

والظاهر أنّ كتب اللغة ركزت فائدة (هاء السكت) على جانب المبنى دون المعنى، فبوجود (الهاء) يُميز بين المعاني المختلفة وبعدم وجودها يحصل اللبس والغموض، نحو لِمَه، وعمَّهْ، ولِمَ، وعَمَّ.

وتساهم هاء السكت بتحقيق الانسجام الصوتي كما ورد في بعض فواصل القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[7]، فمع الانسجام نلمس السمة الجمالية في الوقف على الهاء الخفيفة.

وأكثر مواضع زيادتها بعد شيئين ((أحدهما: الفعل المعتل المحذوف الآخر جزما، نحو (لم يُعطِهْ) أو وقفا، نحو(أعطِهْ). والثاني (ما) الاستفهامية إذا جرت

(1) ينظر: الكتاب: 4/ 181، شرح المفصل: 9/ 76 ـ 77.

(2) ارتشاف الضرب: 2/ 800.

(3) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات: 1/ 127.

(4) شرح الرضي على الشافية: 2/ 296.

(5) الخصائص: 1/ 235، همع الهوامع: 1/ 236.

(6) ينظر: الكشف عن أحكام الوقف: 96.

(7) سورة الحاقة: 19 ـ 20.

بحرف، نحو(على مَهْ)، أو باسم، نحو (اقتضاءَ مَـهْ)))[1]. وهـي جـائزة لا واجبـة، وتجب في حالة واحدة إذا بقى الفعل بحرف واحد بسبب الحذف، نحو الأمـر مـن وعى يعي (عه) لئلا يلزم الابتداء بالساكن والوقف على المتحـرك[2]. وللوقـوف على هاء السكت شروط[3].

والوقوف على هاء السكت يحقق مقطعـا مغلقـا، وعكـسه المفتـوح الـذي ينتهي بحركة بناء أو حرف مد، والعربي يأباه ((في الوقف ويحاول إغلاقه بأن يمتد النفس فيسمع بعد الفتحة أو بعد ألف المد ما يشبه الهاء، وتلك هي الـتي عُرفـت بها السكت))[4]

إنّ ميل المتكلم إلى المقطع المغلق يُعزى إلى تقليل الجهد بقلة وانخفاض المد، وهذا الشيء مطلوب في الوقف الذي هو استراحة سبقتها جهد نطقي. وبعكـسه المقطع المفتوح الذي يتطلب جهدا في الكمية الكبيرة لـه الـذي لا يناسـب نهايـة السلسلة المنطوقة للمتكلم. وعليه نبني أنّ المقطع المغلق يناسب اللهجة الحضرية، والمفتوح يتناغم مع اللهجة البدوية – غالبا –، ((كان البدو يقفون بالهمز، وكـان الحضر في الحجاز يقفون بالهاء))[5].

والسكتة في علم الـصوت الحـديث تـساوي (المَفْـصِل)، ويـسمى كـذلك

(1) شرح الاشموني: 4/ 15.

(2) ينظر: شرح التصريح: 2/ 344.

(3) ينظر: الكشف عن أحكام الوقف: 98 ـ 100.

(4) الأصوات اللغوية: 97.

(5) م . ن.

(الإنتقال)، وفي الإنجليزية يسمى (فونيم المفصل) الذي هو من خلاله تنماز ثنائيات صغيرة[1].

ومن أوجه الوقف الأخرى هو الوقف بالحذف: وهو أن تحذف صوتا واحدا أو أكثر للوصول إلى الساكن، نحو جاءَ الرجلُ - جاء الرجلْ. والوقف بالتضعيف (التشديد) هو ما يشبه قلقلة بطيئة للحرف الموقوف عليه وليس المقصود به تضعيف الحرف، مثل: هذا خالدٌ - هذا خالدّ[2].

وليس في الوقف القرآني الوقف بالتضعيف، ولم ينقل عن أحد القراء إلا عن عاصم في كلمة (مُسْتَطَرّ)[3]. وفي هذه السورة (55 آية) تنتهي بحرف (الراء)، ولا نجد إلا خمسا فقط تستحق التضعيف بحكم صيغتها وهي (مُستَمِرّ، مُستَقِرّ، نَحْسٍ مُّستَمِرّ، عذاب مُسْتقِرّ، أدْهَى وَأَمَرّ)[4]. والذي حقق الانسجام بين هذه الآيات الخمس مع الآيات الخمسين الأخرى هو (الوقف) على رؤوس الآيات دون تضعيف الراء[5]. فللوقف مع الفواصل القرآنية ارتباط لكونهما موضع استراحة فنظام الفواصل القرآنية يتطلب الوقوف على رؤوس الآيات لتبرز موسيقاها، وتستريح الآذان إلى سماعها كما هو في القوافي الشعرية[6]، فمن ذلك سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ

(1) ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 196.

(2) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 271- 272، المحيط: 1/ 61 فما بعدها.

(3) سورة القمر: 53.

(4) الآيات من سورة القمر على الترتيب: 2، 3، 19، 38، 46.

(5) ينظر: من أسرار اللغة: 199.

(6) ينظر: م.ن: 193- 194.

﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[1] أو ما نلحظ ذلك في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[2].

فالوقف يلبس الفاصلة القرآنية حلة أخاذة مع الاستراحة الصوتية، فيبرزها بأجمل صورة. ثم يقوم الوقف بدور تناسق الألوان الصوتية باختلافاتها عن طريقه. فمنه الوقف بالسكون الذي هو الغالب في النصوص القرآنية، كما في قوله سبحانه: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾[3] أو الوقف المطلق، كما في سورة الانسان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[4]، وفي سورة الضحى بثمان آيات من مجموع إحدى عشرة آية: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[5]، أو في سورة (الزلزلة)[6]، و(العاديات)[7].

واللافت للنظر أنّ المقطع المطلق (المفتوح) يأتي في بدايات النصوص لسورتي الزلزلة والعاديات، في السور القرآنية، ثم يأتي الثلث الأخير من نفس السورة المقطع المقيد (المغلق). فيكون ختاما للاستراحة الصوتية، مما يؤكد ما

---

(1) سورة الرحمن: 1 ـ 6

(2) سورة الجن: 1 ـ 3.

(3) سورة المعارج: 1 ـ 3.

(4) سورة الانسان: 1 ـ 2.

(5) سورة الضحى: 1 ـ 4

(6) سورة الزلزلة: 1 ـ 5.

(7) سورة العاديات: 1 ـ 5 .

ذهبنا إليه أنّ المقطع المفتوح يتطلب جهدا ومداً الذي يناسبه بداية السلسلة الكلامية وهو بداية النشاط النطقي، وعكسه المقطع المغلق الذي يأتي في نهاية هذه السلسلة.

والمد الصوتي للمقطع المفتوح (الصائت الطويل) يأتي ليحقق المعنى الكبير وبذلك يتعاضدان الصوت والمعنى لإثبات الدلالة الشاملة والكبيرة كما في (مَّذْكُوراً) ، و (بَصِيراً) ، و (تَفْجِيرا)، و (وَمُلْكاً كَبِيراً)، و(لَيْلاً طَوِيلاً)[1]، أو (الأَعْلَىَ)، (فَسَوَّى)، (فَهَدَى)، (النَّارَ الْكُبْرَى)، (يَحْيَى)[2]. وغيرها من المواضع.

والوقف يجمع بين اختلاف الحركات الإعرابية في الفواصل ويجعلها ((على نبرة صوتية واحدة نتيجة الوقف عندها))[3]، كقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾[4]، فجمع الوقف بين كلمة (جانب) وهي مجرورة، ثم أتبعها (واصب) وهي مرفوعة، ثم (ثاقب) وهي مرفوعة، والأمثلة القرآنية زاخرة بذلك[5].

وللقراء مذاهب متعددة في الوقف فقد رُوي عن نافع أنه كان يقف على الكتاب، وعن أبي عمرو أنه كان يسكت على الكتاب، وابن عامر يتبع رسم

(1) سورة الإنسان، الآيات على الترتيب: 1، 2، 6، 20، 26

(2) سورة الأعلى، الآيات على الترتيب: 1، 2، 3، 12، 13.

(3) الصوت اللغوي في القرآن: 109.

(4) سورة الصافات: 8 ـ 10

(5) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن: 109 ـ 11.

المصحف في الوقف، وعاصم يقرأ (الصراط)[1] بالصاد من أجل الكتاب، وحمزة كـان يتبـع الكتـاب في الوقـف، ماعـدا أحرفـا (الظّنونـا)[2] و(الرسـولا)[3] و(السبيلا)[4]، و(قَوَارِيرًا) [5] (الأولى) في سورة الإنسان 15، و(ثمود)[6]، فأنهن في الكتاب بألف، وحمزة يقف عليهن بغير ألف.

وعن الكسائي أنه كان يتبع القرآن في الوقف، وابن كثير أنه لا يلتـزم مـن رعاية مرسوم الخط ما التزم سائر القراء، بقراءته (السراط) بالسين، وزيادته هـاء السكت في الوقف، وغيرها[7].

(1) سورة الفاتحة: 6.

(2) سورة الأحزاب: 10.

(3) سورة الأحزاب: 66.

(4) سورة الأحزاب: 67.

(5) سورة الإنسان: 15.

(6) سورة هود: 68، سورة الفرقان: 38، سورة النجم: 51.

(7) ينظر: الإقناع في القراءات السبع (أبـو جعفـر أحمـد بـن مخلـف الأنـصاري): 320 فمـا بعدها.

الخاتمــــة

الخاتمـــة

بعد الإنتهاء من دراسة ((الانسجام الصوتي في الـنص القرآنـي)) ظهـرت لي النتائج الآتية:

1. وجّه القرآن الكريم الدارسـين لدراسـة الأصـوات، مـن خـلال الحـروف المقطعة بتوازنها في المخرج والصفة والتوافق والمماثلة بين تلك الأصوات.
2. المماثلة عنـوان كـبير يـشمل: الإدغـام، والإبـدال، والإمالـة، وخلـصنا إلى تعريفها بأنها((تنازل صوت لآخر، في مجموعة صوتية متحدة أو متقاربة من قيمته في المخرج، والصفة، كليـا أوجزئيـا، بـسببَ الجـاورة بينهمـا، لأجـل السهولة النطقيـة، ولتحقيـق المماثلـة او المـشابهة بـين تلـك الأصـوات)). والمماثلة مصطلح حديث، وقديما كان يـسمى: المـضارعة، أو التقريـب، أو تشاكل الصوت وتجانسه، أو المناسبة.
3. الإبدال يلتقي في نقطة بداية الإدغام والمماثلة والإمالة، واشترط ابن جـني في وقوعه تقارب المخارج، ومنهم من لم يشترط ذلك كأبي الطيب اللغوي. وقدمنا تعليلا صوتيا لكل فريق من أنَّ الرأي الأول يريد تقاربـا خاصـا في نقطة ولادة الـصوت، فـالانطلاق الخـاص والـولادة الواحـدة، أو النـشأة للصوت اللغوي هي سمة للأصوات المنطلقة من هذا المصدر إذ إنه يمكـن أنْ تتبادل فيما بينها فقـط. أمـا الـرأي الثـاني فينظـر إلى الأصـوات نظـرة شمولية، بتقاربها تقاربا عاما.

4. اعترضنا على حد الإدغام من أنه (فناء صوت في صوت آخـر)، فالـصوت الساكن لم يفن بل اندمج مع الصوت الثاني المتحرك، وقدمنا تعريفا له بأنه ((تأثر صوت ساكن بتأثير صـوت متحـرك فيلتقيـان في مجموعـة صـوتية، فيحدث فيه تأثير الصوت الأقوى، تأثرا تاما أو ناقصا)).

والقرّاء مختلفون في قراءاتهم بالإدغام. فمنهم مـن ظهـر عنـده واشـتهر كـأبي عمرو بن العلاء، الذي قرأ بالإدغام الكبير، والكسائي وحمزة وابـن عـامر، ومن قَلَّ عندهم إلى حد كبير مثل، نافع وابن كـثير وعاصـم مـن الـسبعة، ويعقوب.

5. ومن خصائص العربية اتساع معاني أبنيتها، فهدف انسجام أصـوات اللـين أو التوافق الحركي هو للاقتصاد في الجهـد العـضلي، مـيلا غـير شـعوري، ويحدث في الفتحة والكـسرة والـضمة، والفتحـة أخـف الحركـات، فنـسبة ورودها في القرآن كبير بالمقارنة مع الكسرة والضمة التي تتقارب في النسبة، ففي سورة البقرة ـ مثلا ـ نسبة وجود الفتحة 54,4٪، والكـسرة: 20، 8٪، والضمة 24، 8٪.

وبيّنا العلاقة بين الفتحة وأصوات الحلق من جهات ثلاث، فمن ناحية المخرج أصوات الحلق بعيدة، هذا البعد ينتج عنه صعوبة النطق فيحتاج المتكلم إلى صوت سهل للموازنـة بـين الـصعوبة والـسهولة، والفتحـة هـي الـصوت المناسب، والثاني من ناحية الصفة هي أصـوات رخـوة مهموسـة باسـتثناء الهمزة، والثالث: يتعلق بلهجة دون أخرى.

والكسرة أكثر صفاءً من الضمة، وجاءت القراءات القرآنية على هـذا التماثـل الحركي (عِتِيًا، جِثِيًاً، جنِيًاً) و (نِستعِين، بيس، بِئِيس)، وخلـصنا إلى تعليـل ورود هذا النوع من الإتباع عند البدو(تميم) للعلاقة بين الكسرة وأصـوات الحلق في الصعوبة، فالكسرة صائت قصير مجهـور يتـصف بانقبـاض فتحـة المزمار معها، فيحقق السرعة في الأداء الذي يعوض صعوبة الحياة عندهم.

وتتصف الضمة بالثقل والقوة والثبوت على الحرف. فقـد سـجلت القـراءات القرآنية نسبة كبيرة من التماثل الحركي في الضمة، وغالبا ما نجد هـذا عنـد البدو الذي يريد أصواتا تتناسب مـع بيئتـه، والـضمة تحقـق ذلـك بقوتهـا ووضوحها وسط الصحراء. فالتغيير ذاتي، وهذا ما نجده في أبـواب الفعـل فنحس بالثقل في نطق فَتَحَ يَفْتَحُ على عكـس نَـصَرَ يَنْـصُرُ. وقـد اسـتعمل القرآن الكريم نسباً متوازية في استعماله للأبواب بصورة متعادلة.

6. الفاصـلة القرآنيـة تـرتبط بموسـيقى الـنص القرآنـي، ويتحقـق التـوازن والانسجام في الفاصـلة مـن خـلال ظـواهر، منهـا التقـديم والتـأخير، أو الحذف والزيادة، أو العدول من لفظة إلى أخرى.

7. والانسجام في المتجاورين، من مظـاهره الحركـات الإعرابيـة عنـدما تلتقـي وخلصنا بالقول: إنَّ الحركات الصوتية تحقق نظاما إيقاعيا داخل البنيـة، إلا أنه لا يمكن عزل الحركات عن المعنـى، فبهـا نـستطيع التمييـز بـين المعـاني بأيسر الطرق.

والخفض على الجوار قال به الجمهور، ويعد دلـيلا علـى أنـه موجـود في لغـة العرب، وقد ورد في القرآن والقراءات ونصوص الشعر العربي.

وشكك بعض النحويين بانتماء (النعت السببي) إلى النعت بسبب تعدد العلاقة مع الذي قبله وبعده. ورجحنا رأياً أنَّ النعت السببي يبقى ضمن التوابع، والتبعية حاصلة لما قبله، أما من جهة المعنى فهو يوضح صفة ما بعده بسبب المشاكلة والمجاورة، فلعدم حصول المطابقة كليا للمنعوت اقترحنا تسميته بـ (النعت الناقص).

8. والانسجام في الظواهر اللغوية يظهر في الإمالة وتسهيل الهمز والوقف. فالإمالة ميل من صوت إلى صوت مع وجود إشمام للصوت المبدل عنه مقتربا كثيرا من الكسرة ومبتعدا عن الفتحة، لأجل الانسجام ـ غالباً ـ.

وما دامت الإمالة تحقق الاقتصاد في المجهود العضلي فإنّ مكانها عند القبائل البدوية. ويمكن أنْ ننسب الفتح إلى غرب شبه الجزيرة (الحجاز). والقرّاء كلهم أمالوا إلا ابن كثير، وعاصم أفرط في الفتح وحمزة أفرط في الكسر، ولم يكن للبيئة الأثر التام في القراءة، فمنهم من عكس ما اشتهرت به بيئتهم، ومنهم من خالف محيطه، وقد يكون لشيوخهم أثر في توجيه قراءاتهم.

والوقف هو احد طرق الانسجام في العربية التي تبدأ بحركة وتنتهي بسكون هو أصل الوقف. وأوجه الوقف عند النحاة خمسة، وعند القرّاء تسعة. ومن أوجه الوقف هو (الوقف بالنقل) الذي يحصل فيه الإتباع المدبر. ومن صوره الثلاثة الذي يظهر فيها الانسجام إذا كان آخره همزة، فيكون الوقف بإلقاء حركة الهمزة على الساكن من الحركات الثلاث. وعللنا وقوع تلك الصورة: أنَّ الهمزة صوت ضعيف ويزداد ضعفه في جانبين: تطرفه، وعند وقوعه

بعد صوت المد، فيغطي هذا الصوت بامتداده القوي على الهمزة مما يجعله يتنازل عن وجوده.

ومن أنواع الوقف الذي يساهم في تحقيق الانسجام هو الوقف بهاء السكت في فواصل القرآن الكريم. والتي تحقق مقطعا مغلقا، وذهبنا إلى تعليل ذلك بتقليل الجهد وانخفاض المد بعكس المقطع المفتوح الذي يتطلب جهدا في الكمية لا يناسب نهاية السلسلة المنطوقة.

والوقف يقوم بتناسق الألفاظ الصوتية باختلافاتها، وبجمع اختلاف الحركات الإعرابية في الفواصل الغالب في الوقف القرآني هو الوقف بالسكون.

المراجع

المراجع

القرآن الكريم

(حرف الألف)

- أبحاث في أصوات العربية، د. حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1998م.
- الإبدال، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، (ت351هـ)، تحقيق: عز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق 1960م.
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت590هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءة والنحو، د. زهير غازي زاهد، مطبعة جامعة البصرة، 1987م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنّاء، (ت1117هـ)، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1998م.

- الإتقـان في علـوم القـرآن، جـلال الـدين عبـد الـرحمن الـسيوطي، (ت911هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1996م.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنـة التـأليف والترجمـة والنـشر، القاهرة، 1959م.
- أدب الكاتب، عبد الله مسلم بن قتيبة، (ت276هـ)، تحقيق: محمـد محيـي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط4، 1963م.
- الإدغـام الكـبير في القـرآن، أبـو عمـرو عثمـان بـن سـعيد الـداني(ت 444هـــ)، تحقيـق: د. زهـير غـازي زاهـد، دار الكتـب، بـيروت، ط1، 1993م
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيـان الأندلـسي، (ت745هــ)، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1998م.
- أسرار العربية، ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري، (ت577هـ)، تحقيق: محمد حـسين شمـس الـدين، درا الكتـب العلميـة، بيروت, ط1، 1977م.
- الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، مطبعـة دار المعـارف، ط2، 1359هـ.
- الاشتقاق، عبد الله أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنـشر، القـاهرة، ط1، 1956م.

- إصلاح المنطق، يعقوب بن إسحاق بن السكيت، (ت244هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1949م. .
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1971م.
- الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، الأردن، ط1، 1998م
- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج البغدادي، (ت316هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، 1973م.
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، د. بنت الشاطئ، طبعة دار المعارف، 1984م.
- الإعجاز الصرفي في القرآن، الكريم، د. عبد الحميد أحمد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر بن محمد بن إسماعيل النحاس، (ت338هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1988م.
- الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد بن علي بن خلف الأنصاري (ابن الباذش) (ت540هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، ط2، 2001م.
- الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، (ت356هـ)، دار الحديث، بيروت، ط2، 1984م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدا لحميد، دار الفكر، دمشق.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين بن هشام الأنصاري(ت761هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1979م.
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، (337هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، 1986م.

(حرف الباء)

- البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط2، 1976م.
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت745هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، (ت794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ.
- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، 2002م.

- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت255هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.

(حرف التاء)

- تاج العروس، الزبيدي، (السيد محمد مرتضى)، (ت1205هـ)، دار ليبيا.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ت(616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، إحياء الكتب العربية.
- تحفة الطالبين في إعراب قوله تعالى (إنَّ رحمة الله قريب من المحسنين)، محمد بن علي بن طولون، تحقيق: د. زيان أحمد الحاج إبراهيم، جامعة البحرين.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك: جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن مالك، (ت672هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة/ 1967م.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، القاهرة، 1949م.
- التطور اللغوي التاريخي، د. إبراهيم السامرائي، دار الرائد، القاهرة، 1966م.
- التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة دار الرفاعي(الرياض)، 1998م.
- التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2003م.

- التفكير الصوتي عند الخليل، د. حلمي خليل، دار المعرفة، الاسكندرية، ط1، 1988م.
- التقابل الجمالي في النص القرآني، دراسة جمالية فكرية وأسلوبية، د. حسين جمعة، دار النمير، دمشق، ط1، 2005م.
- التكملة، أبو علي الفارسي(ت377هـ)، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، 1981م.
- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري: أبو الخير محمد بن محمد، (ت833هـ)، تحقيق: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986.
- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم، دار الضياء، الأردن، ط1، 200م.
- التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني(ت444هـ)، تحقيق: اوتوتريزل، دار الكتاب العربي بيروت، ط2، 1984م.

(حرف الجيم)

- جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري(ت310هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1374هـ.

- الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت671هـ)، دار الشعب، القاهرة.
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، 1980م.
- جمهرة اللغة، ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري(ت321هـ)، مكتبة المثنى، بغداد.

(حرف الحاء)

- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه (ت370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4، 1401هـ.
- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة (من رجال المئة الرابعة للهجرة)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982م.
- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي(ت377هـ)، علق عليه: كامل الهنداوي، دار الكتب، بيروت، ط1، 2001م.
- الحدود النحوية، الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى، ضمن كتاب رسائل في النحو واللغة، تحقيق: د. مصطفى جواد ويوسف يعقوب، وزارة الثقافة، بغداد، 1969م.

(حرف الخاء)

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جـني(ت392هــ)، تحقيـق: محمـد علـي النجار، عالم الكتب، بيروت.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي(ت 1093هـ)، ط1، بولاق.

(حرف الدال)

- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمـد، مطبعـة الخلود، بغداد، 1986.
- دراسات في العربية، أصولها، مراحلها التاريخية، بنيتها، لهجاتها، علاقاتها بأخواتها الساميات، لمجموعة من المستشرقين المعاصـرين، حررهـا فولفـد بتريش فيشر، نقلها إلى العربية وعلـق عليهـا: د. سـعيد حـسن بحـيري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جـني، د. حـسام سـعيد النعيمـي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م.
- دراسة الصوت اللغـوي، د. أحمـد مختـار عمـر، مطـابع سـجل العـرب، الكويت، ط1، 1976م.
- دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمـة صـالح القرمـادي، مركز الدراسات والبحوث، تونس، 1966م.

- درة الغواص في أوهام الخواص، الحريري، أبو محمد القاسم بن علي (ت 516هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، 1371هـ.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط2، 1963م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال محمد بشر، المطبعة العثمانية، ط3، 1972م.
- ديوان الأدب، الفارابي، إسحاق بن إبراهيم (ت350هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية، القاهرة، 1974.

(حرف الراء)

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي، أحمد بن عبد النور(ت702هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، 1975م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي: أبو فضل شهاب الدين السيد محمود(ت 1270هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(حرف السين)

- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس(ت324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1400هـ.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985.

- سر الفصاحة، محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي(ت466هـ)، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، 1953م.

(حرف الشين)

- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري (ت769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ط2، 1985م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن ملك (ت900هـ)، قدم له حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك، خالد بن عبد الله الأزهري (ت905هـ)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1954م، ومطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي.
- شرح الحدود النحوية، جمال الدين عبد لله بن أحمد الفاكهي(ت972هـ)، تحقيق: زكي فهمي الآلوسي، جامعة بغداد، بيت الحكمة.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، (ت688هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح المراح في التصريف، بدر الدين محمد بن أحمد (ت855هـ)، تحقيق: د. عبد الستار جواد، مطبعة الرشيد 1990م.

- شرح المفصل، ابن علي بن يعيش(ت643هـ)، المطبعة المنيرية، مصر، د. ت.

(حرف الصاد)

- الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا(ت395هـ)، تحقيق: أحمد صقر، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة د. ت.
- الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 2000م.

(حرف الظاء)

- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، د. أحمد سليمان ياقوت، شركة الطباعة العربية السعودية، ط1، 1981م.
- ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية ومواقعها في القرآن الكريم، د. فهمي حسن النمر، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1985م.

(حرف الطاء)

- طبقات القراء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت 748هـ)، تحقيق: د. أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ط2، 2006م.

(حرف العين)

- العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، الأب هنري فليش اليسوعي،

تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط1، 1966م.

- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب ودراسة: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، 1985م.
- علم الأصوات، د. كمال محمد بشر، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي، دار الكتب العلمية، بغداد، ط3، 2007م.
- علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، ط4، 1957م.
- علم اللغة العام (الأصوات)، د. كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ط5، 1979م.
- علم اللغة العربية، مدخل تأريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، د. محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(حرف الفاء)

- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، المكتب الاسلامي، بيروت، ط2، 1986م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري

(ت395 أو 400هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، جامعة المدرسين، قم، ط1، 1412هـ.

- فصيح ثعلب والشروح التي عليه، تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، المطبعة النموذجية، ط1، 1949م.
- فقه القرآن، قطب الدين الراوندي(ت573هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة الولادة، ط2، 1405هـ.
- الفكر الصوتي عند ابن دريد والكوفيين، د. خليل إبراهيم العطية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، دار الشؤون الثقافية والنشر، العراق، 1984م.
- في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1983م.
- في تاريخ العربية أبحاث في الصورة التاريخية للنحو ا لعربي، د. نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، 1976م.
- في الدراسات القرآنية واللغوية الإمالة في القراءات واللهجات العربية، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، 1952م، وكذلك طبعة الهلال، بيروت، 2008م.
- في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 2003م.

- في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، لبنان، ط2، 1986م.

(حرف القاف)

- القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، د. مي فاضل الجبوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2000م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، دار القلم، 1966م.
- القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة، الفيروز آبادي: القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، 1913م.

(حرف الكاف)

- الكتاب، سيبيويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه(180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط1.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت538هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية، د. محمد سالم محيسن، دار الجيل، ط1، 1992 م.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي(ت437هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1974م.
- الكلام انتاجه وتحليله، د. عبد الرحمن أيوب، مطبوعات جامعة الكويت، 1984م.

(حرف اللام)

- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. عبد العزيز مطر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966م.
- لحن العامة والتطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، القاهرة، ط1، 1967م.
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711م)، دار صادر، بيروت، ط1، د. ت.
- اللغة، ج، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1950م.
- اللغات السامية، ينودور نولدكه، ترجمة د. رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، المطبعة الكمالية، القاهرة، د. ت.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998م.
- اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مطبعة الرسالة.

▪ اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجنـدي، الـدار العربيـة للكتاب، ليبيا ـ تونس.

▪ اللـهجات العربيـة في القـراءات القرآنيـة، د. عبـده الراجحـي، مكتبـة المعارف، الرياض، ط1، 1999م.

▪ لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، د. غالب فاضل المطلبي، منـشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978م.

▪ لهجة قبيلة اسـد، د. علـي ناصـر غالـب، دار الـشؤون الثقافيـة العامـة، بغداد، ط1، 1989م.

▪ اللمع في العربية، أبو الفتح عثمـان بـن جـني، تحقيـق: فـائز فـارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1972م.

(حرف الميم)

▪ المثل السائر في أ دب الكاتب والشاعر، ابن الأثير: أبو الفتح ضـياء الـدين نـصر الله(ت637هــ)، تحقيـق: محمـد محيـي الـدين عبـد الحميـد، المكتبـة العصرية، بيروت، 1995م.

▪ المجاز وأثره في الدرس اللغوي، د. محمد بـدري عبـد الجليـل، دار النهـضة العربية، بيروت، 1986م.

▪ مجمع البيان في تفـسير القـرآن، الطبرسـي: أبـو علـي الفـضل بـن الحـسن (ت548هـ)، تحقيق: لجنة من العلمـاء، مؤسـسة الأعلمـي، بـيروت، ط1، 1415هـ.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الفتاح شلبي، القا هرة، 1969م. ، ورجعت إلى طبعة أخرى بتحقيق: محمد عبد القاهر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، ط1، 1972م.
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، والمطبوع مختصر في شواذ (القرآن) من كتاب البديع، وهو خطأ، ابن خالويه: أبو عبد الله الحسين (ت370هـ)، عني بنشره: ج. برجشتراسر، دار الهجرة، د. ت.
- المخصص، ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، (ت458هـ)، دار الكتب العلمية، ببيروت.
- المدارس الصوتية عند العرب النشأة والتطور، د. علاء جبر محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2006م.
- المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1972م.
- المدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة، القاهرة، 1979م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تصحيح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي(437هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ.
- مصطفى جمال الدين جهوده وظواهر لغوية في شعره، تحسين فاضل، المكتبة الأدبية المختصة، النجف، ط1، 2006م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، 1998م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1955م.
- معاني القرآن الكريم، النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، مطبعة باقري، ط4، 1326هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله(ت761هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت.

- المفصل في علم العربية، الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر، تحقيق: د. علي بوملحم/ مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.
- مقاييس اللغة، ابن فارس (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر، 1366هـ.
- المقتضب، المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
- الممتع في التصريف، ابن عصفور الأشبيلي(ت669هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوه، المطبعة العربية، حلب، ط1، 1970م.
- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط8، 2003م.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مطبعة الرسالة، مصر، 1955م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، المطبعة الفنية، القاهرة.
- من وحي القرآن، د. إبراهيم السامرائي، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، العراق، ط1، 1981م.
- المنصف شرح تصريف المازني، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط1، 1954م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

▪ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت1402هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

(حرف النون)

▪ النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط4، 1976م.

▪ النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: محمد بن محمد الدمشقي(ت833هـ)، مراجعة وتصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

▪ النكت في إعجاز القرآن، الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى (ت384هـ)، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر، د. ت.

▪ نهاية القول المفيد في علم التجويد، محمد مكي نصر، مطبعة الحلبي، القاهرة.

(حرف الهاء)

▪ همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د. ت.

الرسائل الجامعية:

▪ الإتباع الحركي في اللغة العربية، رسالة ماجستير، محمد توفيق عبد المحسن، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1986م.

- اختلاف الرواة عن نافع، دراسة لغوية، رسالة ماجستير، إياد سالم، كليـة التربية، جامعة تكريت، 2003م.
- التوابع في نهج البلاغة، دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، وداد حامد عطشان، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2007م.
- النعت في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، د. فاخر هاشم سـعد، كليـة الآداب، جامعة البصرة، 1995

البحوث

- أحكام الميم الساكنة. بحث منشور على الأنترنيت علـى الموقـع: www. al-eman. com
- الفاصلة القرآنية طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتهـا، د. زهـير غـازي زاهد، قيد النشر.

الإنسجام الصوتي في النص القرآني







9789957760557

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع . نشر . توزيع
العراق - بابل - الحلة - هاتف : 009647801233129
E-mail : alssadiq@yahoo.com

دار الرضوان للنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمان - العبدلي
هاتف : 1/5/ 79 36 465 6 962+
فاكس : 41 36 465 6 962+
info@redwanpublisher.com